



مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 108 - NINTH YEAR - FEB/MAR. 1986.

العدد (١٠٨) ـ جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ ـ السنة التاسعة ـ شباط (فبراير) / آذار (مارس) ١٩٨٦م .



في هذا العدد

- اللؤلؤ ، والمرجان ..
- الماس ، والياقوت ..
- الزمرد ، والفيروز ..
- اللازورد ، والكريستال .

هذه الأحجار الكريمة ، تعد مظهراً اجتماعياً ، وجمالياً ، وذوقياً .

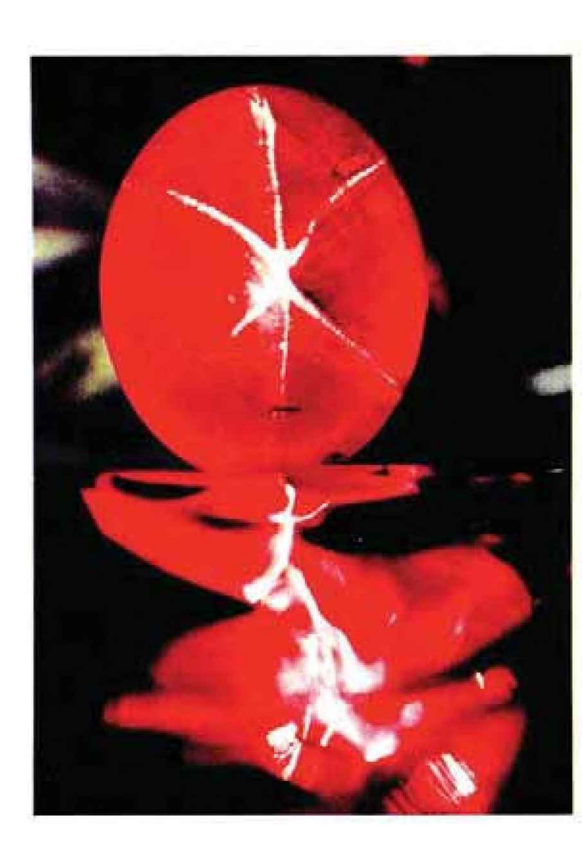
فهي مصدر تفاخر وتظاهر ، وعامل غيرة وشهرة ، وباعث إعجاب ودهشة ، وعنصر زينة ، وجمال ، ومظهر ثروة وغنى .

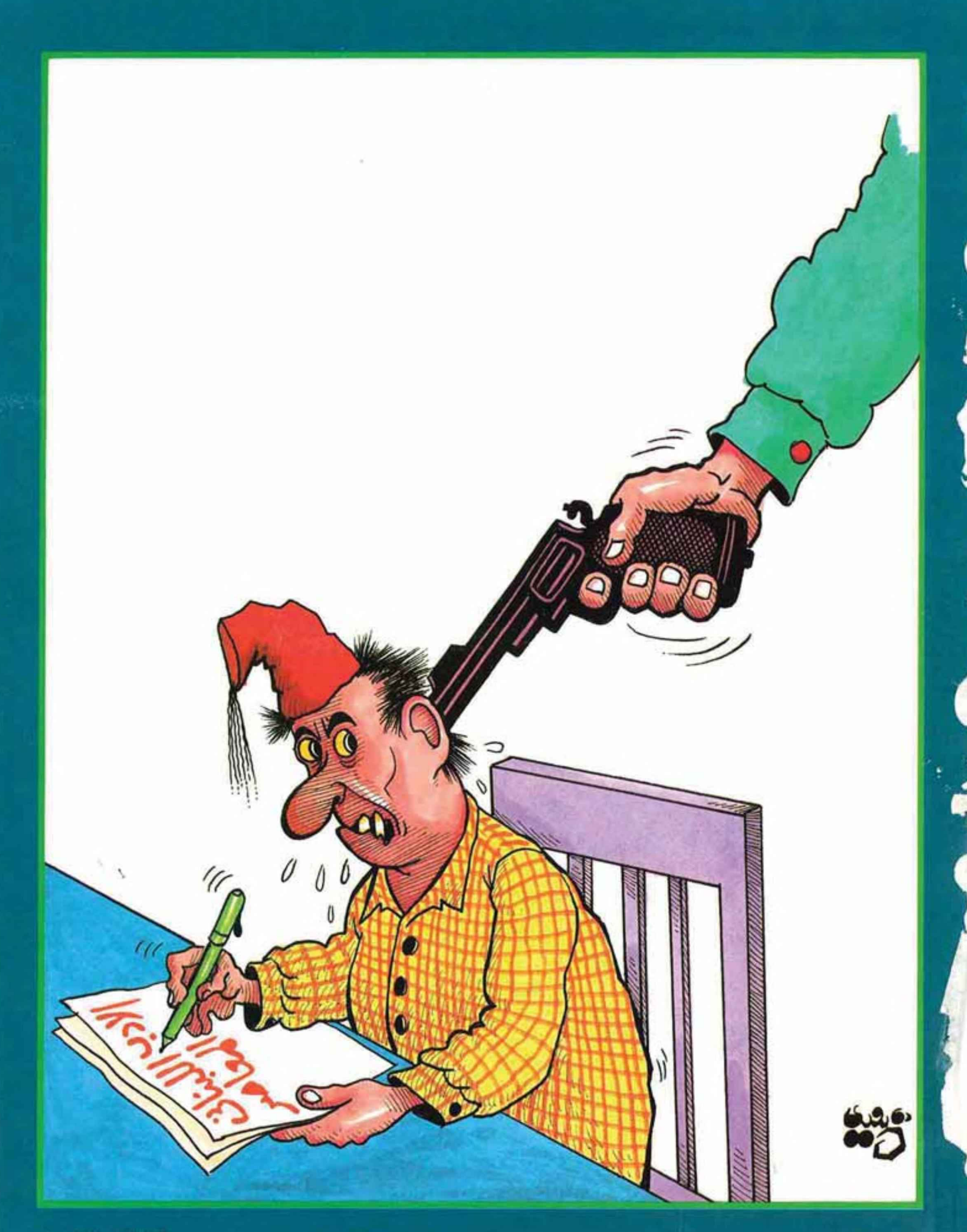
يتجمل بها الحسان ..

ويقتنيها الأغنياء .

ندرة الحقيق منها ، وارتفاع أثمانها ، وكثرة الطلب عليها .. شجع على تقليدها ، والتفنن في محاكاتها ، لدرجة يصعب معها ـ احياناً ـ تمييز الحقيقي من الصناعي ، لأول وهلة !

طالع ص (٧٥) .





كنوز الرمال

بقلم : دوراجين هامبلين
ترجمة : هشام أبوعودة

▲★ أحد قبور اللحيانيين (أصحاب مملكة ديدان القديمة) عام ٩٠٠ ق . م . وهو مزين برؤوس الأسود ★

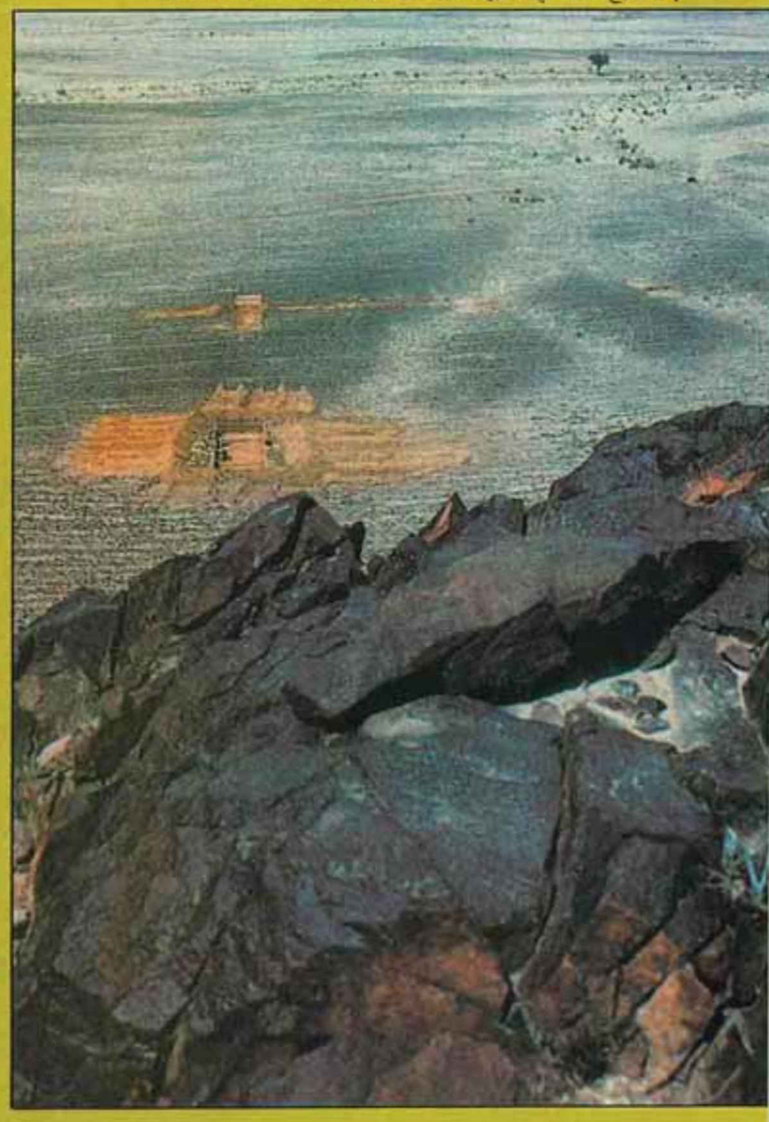
بين الصورة القديمة ، صورة قافلة الجمال الحزينة التي تحمل « العطور العربية » ، وبين الصورة الحالية لقوافل السيارات التي تجول فوق كثبان الرمال تكمن القصة الحقيقية لشبه الجزيرة العربية .

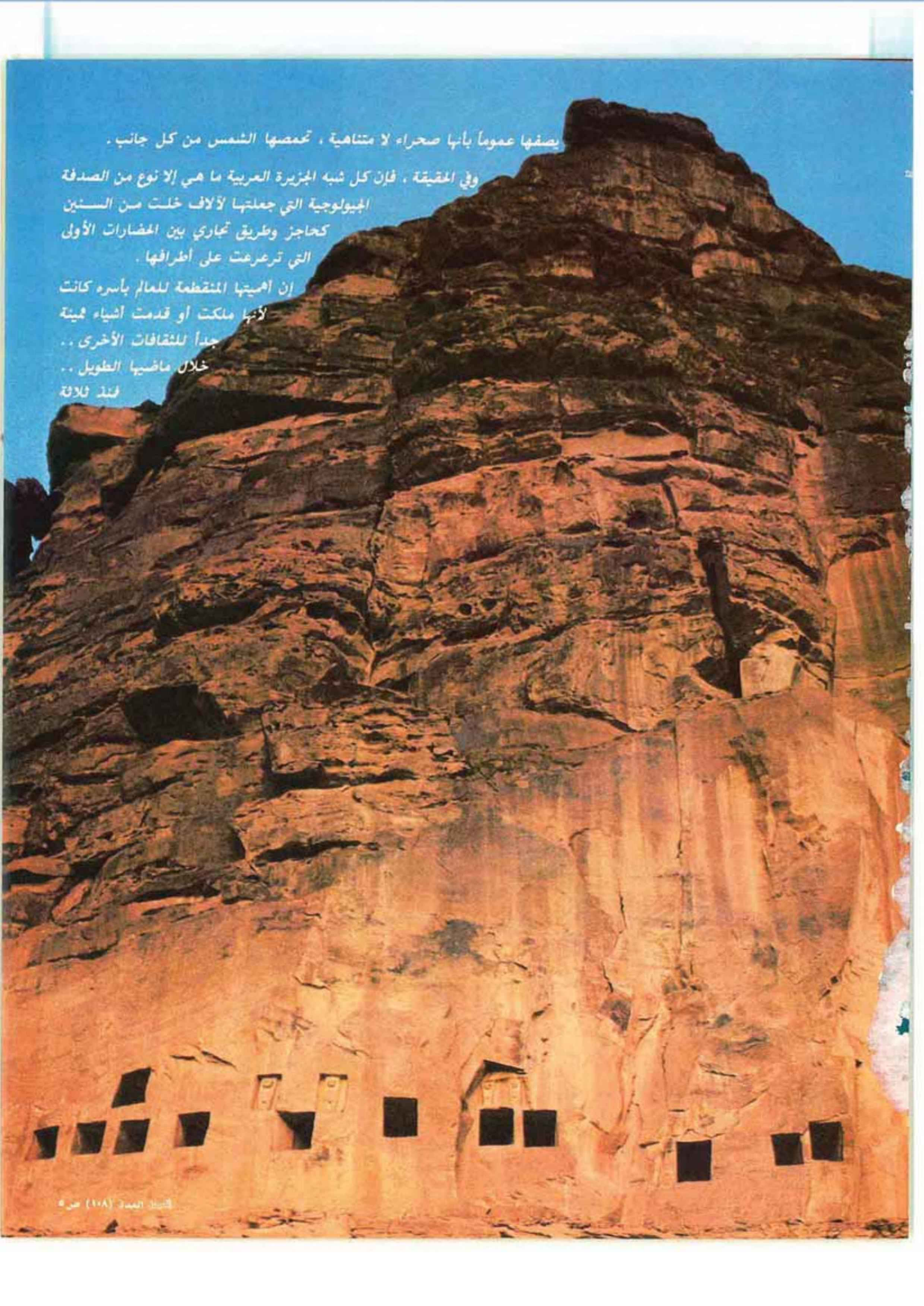
ومعظم الجزيرة العربية اليوم هي المملكة العربية السعودية ... مساحة شاسعة من الرمال تبلغ ربع مساحة الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن كثافتها السكانية سبع الكثافة السكانية .. أما الدخل فهو ضعف دخلها ... وبالرغم من وجود جبال يبلغ ارتفاعها تسعة آلاف قدم .

وجداول مائية وواحات متناثرة .

إلا أن الغرب

▼★ موقع الدوادمي الأثري ، يعود تاريخه إلى ثلاثمائة ألف سنة خلت ★

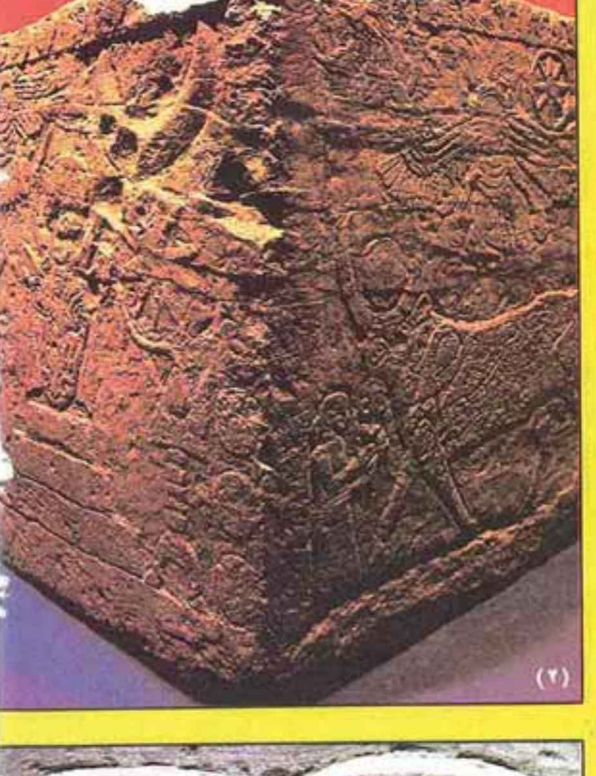




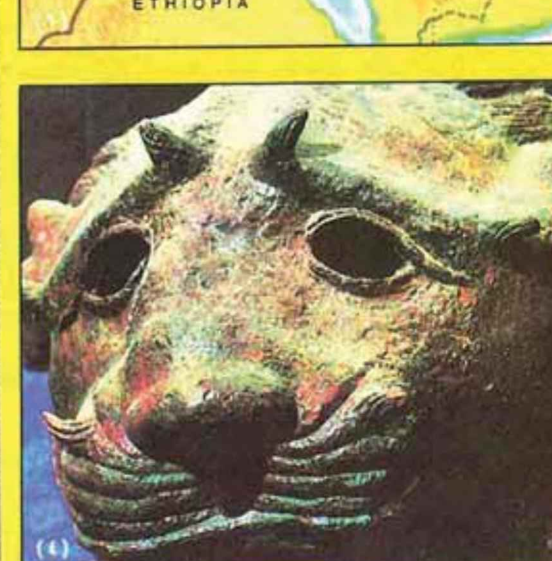
يصفها عموماً بأنها صحراء لا متناهية ، تحمصها الشمس من كل جانب .

وفي الحقيقة ، فإن كل شبه الجزيرة العربية ما هي إلا نوع من الصدفة الجيولوجية التي جعلتها لآلاف خلت من السنين كحاجز وطريق تجاري بين الحضارات الأولى التي ترعرعت على أطرافها .

إن أهميتها المنقطعة للعالم بأسره كانت لأنها ملكت أو قدمت أشياء ثمينة جداً للثقافات الأخرى .. خلال ماضيها الطويل .. فمنذ ثلاثة









(١)
★ خريطة تبين المواقع الأثرية للمملكة وطرق التجارة القديمة ★

(٢)
★ حجر الحمراء .. في «تيماء» القديمة ★

(٣)
★ منحوتة لرأس فتاة تدعى (الشلا) بالقرب من تيماء (القرن الخامس قبل الميلاد) ★

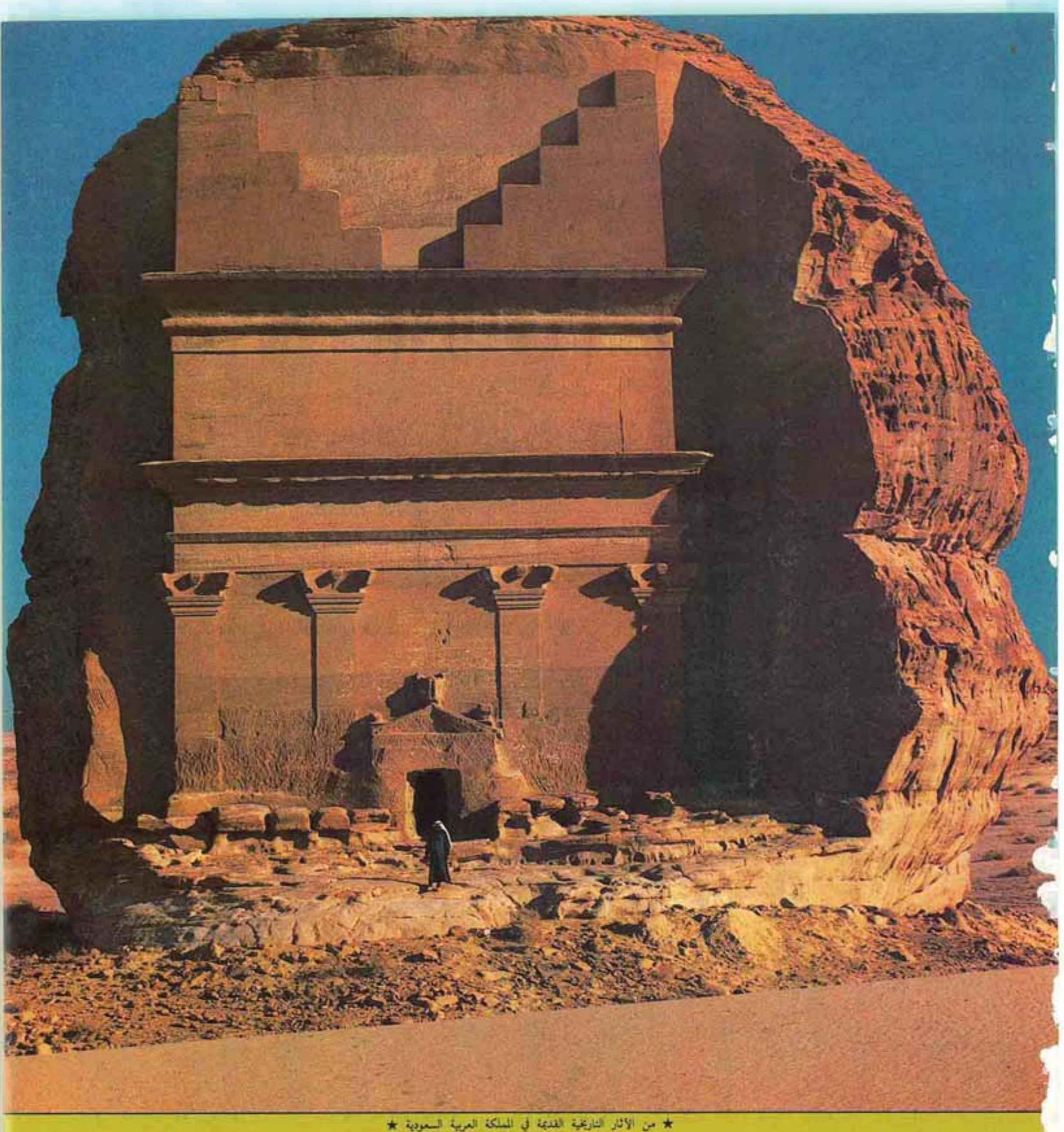
(٤)
★ رأس أسد برونزي (القرنين الثاني والثالث الميلاديين في جنوب الجزيرة) ★

آلاف سنة مضت كان البخور والمر والبهارات والذهب أهم عطاءاتها للعالم .. وهي تقدم له اليوم «**الذهب الأسود**» ... وبين هاتين الحقبتين كان **الدين الإسلامي** وما زال أهم عطاياها للعالم ، فمنها امتد الإسلام إلى خارج الجزيرة منذ حوالي ١٣٥٠ عاماً ميلادياً ، في فتح شامل من أعظم الفتوح التي سجلها التاريخ ، ليغير حياة سكان المشرق وسكان شمال إفريقيا .

لم يحدث على الإطلاق شيء منذ الألف سنة الأخيرة يعادل قوة الإسلام أو يضاهيها ، إذ إنه لم يُحدث زعزعة في الغرب فقط ، بل غيَّر الجزيرة إلى الأبد ... وجاء البترول .. محيطات منه تم اكتشافها في الثلاثينات من هذا القرن ، وبكل الثروة التي جاء بها البترول جاءت الرغبة في التحضير والتحديث مما دفع المملكة إلى قفزة مذهلة من القرون السابقة إلى القرن الحادي والعشرين تكنولوجياً وحضارياً .

أميال وأميال من الطرق الحديثة تتلوى كالثعبان في الفراغ اللامتناهي مزودة هنا وهناك بهواتف تعمل بالطاقة الشمسية ... أما في مدن المملكة ، فإن البلدوزرات تشق الطرق الحديثة ، وتبني الروافع عشرات الفنادق الضخمة على أحدث طراز ، ذات نظام الحجز اللآلي .

وفي مكان ما في هذا التفرع بين القديم والجديد ، وبين الحقيقة والأسطورة ، أوشك التاريخ الحقيقي والمعقد لشبه الجزيرة العربية على الضياع ، ولكن بدأ اكتشافه أخيراً على أيدي مجموعة من **علماء الآثار** .. إن جهود التنقيب عن الآثار في **المملكة العربية السعودية**



★ من الآثار التاريخية القديمة في المملكة العربية السعودية ★

بدأت منذ أقل من عقدين من الزمان ، ولكنها دلت حتى الآن على **أن هذه الصحراء العربية الأسطورية القاحلة لم تكن قاحلة أو مهجورة ، لا في الماضي ولا في الحاضر ... فهناك مدن مفقودة غابرة ذات أسوار حصينة وأبراج ، وذات قصور فاخرة ، وذات جدرانيات مصورة بالغة الروعة .. هذا بالإضافة إلى الأماكن المقدسة في الماضي والحاضر .**

وهناك سدود منيعة وقوية ما زالت قائمة منذ قديم الزمان ، لكن وديانها الآن خاوية ، وشبكات من قنوات الري التي كانت في الماضي الغابر تروي حقول القمح ، وتسقي قطعان الأغنام ، وتسد احتياجات القوافل التي كانت تتهادى على رمال الصحراء بين المدن

القديمة ... وهناك – حرفياً – أطنان من أدوات **العصر الحجري القديم**، وآلاف من الصور المحفورة على الصخور البارزة تُصوِّر الصيادين وأسماكهم، حيث كانت هذه المنطقة في يوم من الأيام بحيرة في **العصر البلستوسيني** Pleistocene Lake .. وبينما كان المستكشفون الأوائل وعلماء الحفريات قد كشفوا أسرار **حضارة ما بين النهرين** Mesopotamia، **ووادي الهند .. ومصر** ...، أبقتهم شبه الجزيرة العربية بعيداً نتيجة لنقص الطرق والمطارات والماء .. ولكن هذه الأمور قد تغيرت عندما بدأ تدفق الزيت، وعندما بدأت السعودية تكتشف نفسها وماضيها العريق.

«لقد كاد ركب الاستكشاف الأثري أن يفوتنا» هذا ما قاله أحد علماء الآثار السعوديين وهو متكىءٌ على سرير سفري نقّال داخل خيمة منصوبة على رمال الصحراء .. ولكنه أضاف: «ولكننا عاقدو العزم على اللحاق بالركب .. نحن الآن في الطور المبدئي في ترتيب واكتشاف بيتنا الأثري» .. هذا ما قاله **الدكتور عبد الله المصري، مدير الآثار والمتاحف بالمملكة** الذي تلقى علومه في الولايات المتحدة ... «نحن نقترب من حقبة هائلة غير معروفة للغرب .. وهي أيضاً غير معروفة لنا ..».

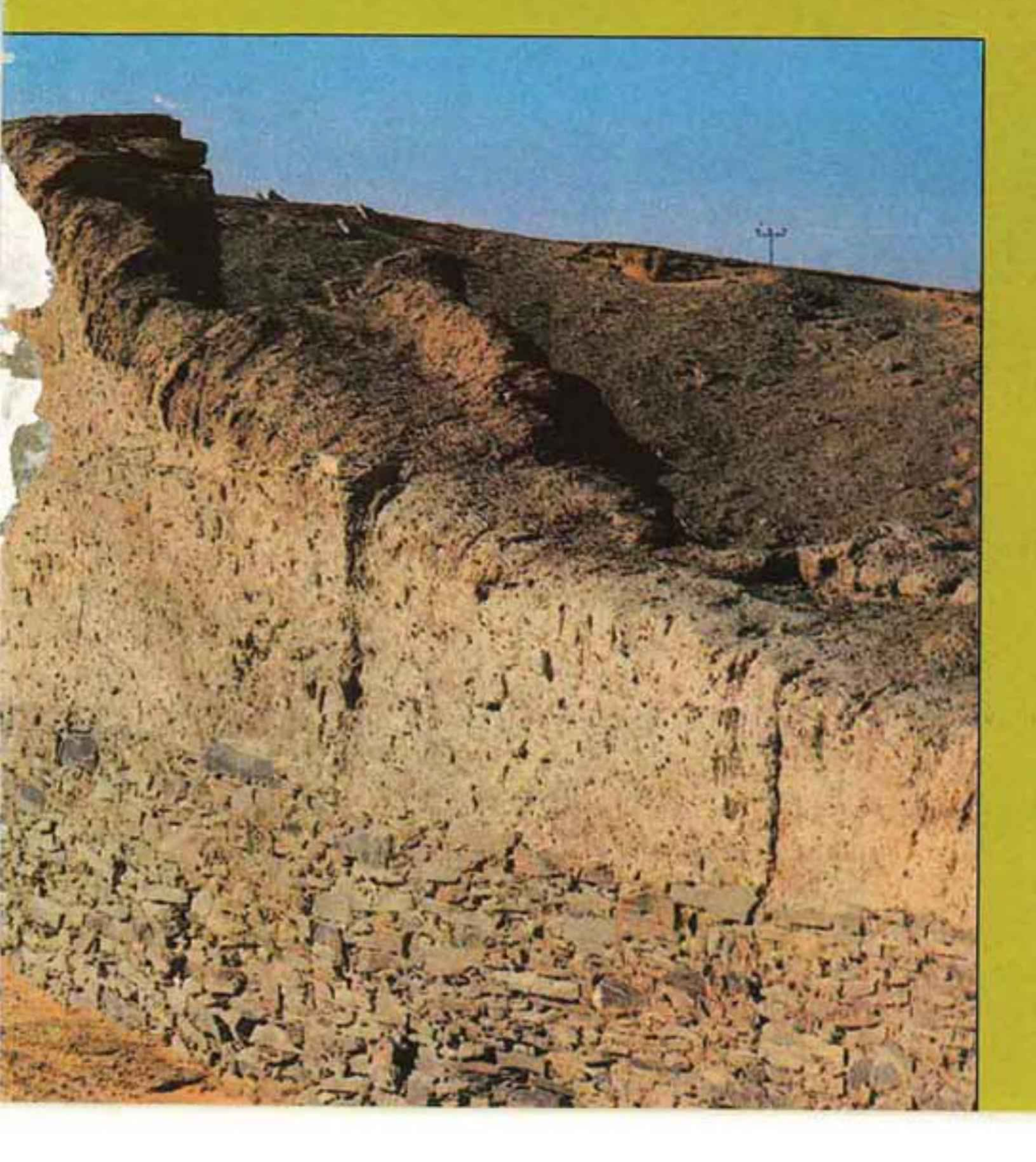
وللدكتور المصري منصبان، أحدهما كوكيل لوزارة المعارف للشؤون الثقافية والثاني كمدير للآثار والمتاحف ... ولقد بدأ مهمته الثقيلة في فبراير (شباط) من عام ١٩٧٥م، بإرسال فريق استكشاف مبدئي ليزور كل موقع بالمملكة تم الإبلاغ بأنه قد يحتوي على آثار قديمة ... وكانت النتيجة مذهلة، فقد تم اكتشاف العديد من الآثار وتصويرها دون اللجوء في كثير من الحالات إلى إزاحة التراب عنها .. وفي العام التالي نظّم الدكتور المصري مسحاً شاملاً مدته خمس سنوات، وفيه تم تقسيم المملكة إلى ستة مناطق أثرية تم استكشافها بفرق صغيرة منتقاة ... ولقد سافر الرجال إلى أقصى مسافة يستطيعونها بالطائرة أو السيارة، ثم واصلوا سيرهم على الأقدام في المناطق التي تصعب القيادة فيها .. ولقد كان حافزهم أنهم سيكونون المستكشفون الأوائل لهذه المناطق رغم أنهم في بعض الأحيان كانوا لا يجدون خرائط صحيحة أو رسمية للطرق ... ورغم هذا فقد كان لديهم الصبر والوقت والأناة لاستجواب كل عابر سبيل مر في طريقهم من القاطنين في هذه الأماكن النائية.

أثناء سنوات هذا المسح الشامل الخمس، وفي السنوات الثلاث التي تلتها، تم تكوين ملامح واضحة لثروة المملكة الأثرية ... في يوم من الأيام **منذ ١٥ أو ١٧ أو ربما عشرين مليون سنة خلت، كانت شبه الجزيرة العربية متصلة بشرق إفريقيا، وكانت حيوانات هائلة من الأفيال القديمة (الماموث) والزراف، ووحيد القرن، تجول بحرية من إفريقيا والجزيرة العربية حتى تصل إلى أطراف نيبال.**

وقبل حوالي ١٢ مليون سنة فقط، ظهر إنسان العصر الحجري (الصياد – جامع الطعام)، فما زالت معدّاته الحجرية من بلطات ومثاقب وكشاطات وسكاكين ورؤوس سهام تتناثر على رمال الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها ... حتى في هذا القفر المخيف المدعو **(الربع الخالي)**.

إن غنى المواقع الأثرية بالأدوات الحجرية مثل موقع **الدوادمي** (الذي يبعد مسافة نصف يوم بالسيارة غرب الرياض) تذهل العقل ... كما أن افتقار المواقع الأثرية إلى مبانٍ دائمة يدل على السكنى المؤقتة لأقوام العصر الحجري لهذه المواقع.

في العصر الحجري، كانت هذه الجداول والوديان الجافة تشمل بالمياه الجارية فيها، ولكن هذه الجنات الأرضية بدأت في الجفاف منذ



خمسة عشر ألف عام مضت . . . وعندما اضمحلت البحيرات واختفت ، واختنقت الأنهار والجداول بين كثبان الرمل ، أصبحت البداوة طريقة حياة في هذه الأنحاء . . . وعلى النقيض ، كان هناك أناس يعيشون في أكواخ من سعف النخيل على طول شواطئ الخليج العربي . . . ليس هناك تاريخ مكتوب ، ولكن هناك دليل قاطع على أن سكان هذه المناطق كانوا يتعاطون التجارة مع بلاد الرافدين قبل خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .

إن الدكتور المصري نفسه وأثناء عمل ميداني قبل أن يصبح مسؤولا ، اكتشف فخاراً منقوشاً ملوناً يُطلق عليه اسم « **فخار عبيد** » 'Ubaid Pottery الذي اكتشف مثيل له في جنوب منطقة ما بين النهرين . . وقد اكتشف هذا النوع أيضاً في حوالي ١٢ موقعاً على طول شطآن الخليج وعلى بعض الجزر مثل البحرين .

وأثناء موسم عام ١٩٨٣ م ، قام **الدكتور جوريس زارنز** Juris Zarins **من جامعة جنوب غربي ميزوري** الحكومية ، وهو زميل دراسة قديم للدكتور المصري في **جامعة شيكاغو** وأحد الخبراء المخضرمين في آثار المملكة ، قام بقيادة فريق لاستكشاف مقبرة شاسعة بالقرب من **الظهران** على بعد نصف ميل من **شاطئ الخليج** . . وقد كشف التنقيب عن الكثير من فخار ما بين الرافدين إلى **خنافس** Scarab **قدماء المصريين المقدسة** .

ويعتقد علماء الآثار بأن « **دلمون** » Dilmun الأسطوري الغامض الذي ذكرته **الأساطير السومرية** وجنات عدن الإنجيلية يرقد في مكان ما على الحافة الشرقية لشبه الجزيرة العربية أو ربما في **البحرين** .

وبعد بضعة آلاف من السنين ، نمت حضارات مختلفة في منتصف الجزيرة وجنوبها ، كما أن **سبأ** المذكورة في الكتب السماوية (Sheba أو Saba) موجودة الآن في **اليمن** . . . هذه هي نقطة الانعطاف للجزيرة العربية ، منطقة غنية تتوفر فيها المياه بكثرة . . وهي التي أنتجت مخطوطات عربية مميّزة حوالي عام ٧٠٠ ق . م .

في الشمال الغربي ، بالقرب من المدن الفينيقية ، ظهرت **مملكة « ديدان »** Dedan ، وتركت خلفها قبور الأسود المحفورة منذ ٢٥٠٠ سنة مضت على المنحدرات الصخرية الحمراء ، في قلب منطقة نحتتها الرياح والمياه . . هنا كانت المدائن التي لجأ إليها **موسى (عليه السلام)** ، حيث التقى بابنه **شعيب (عليه السلام)** عند البئر . . .

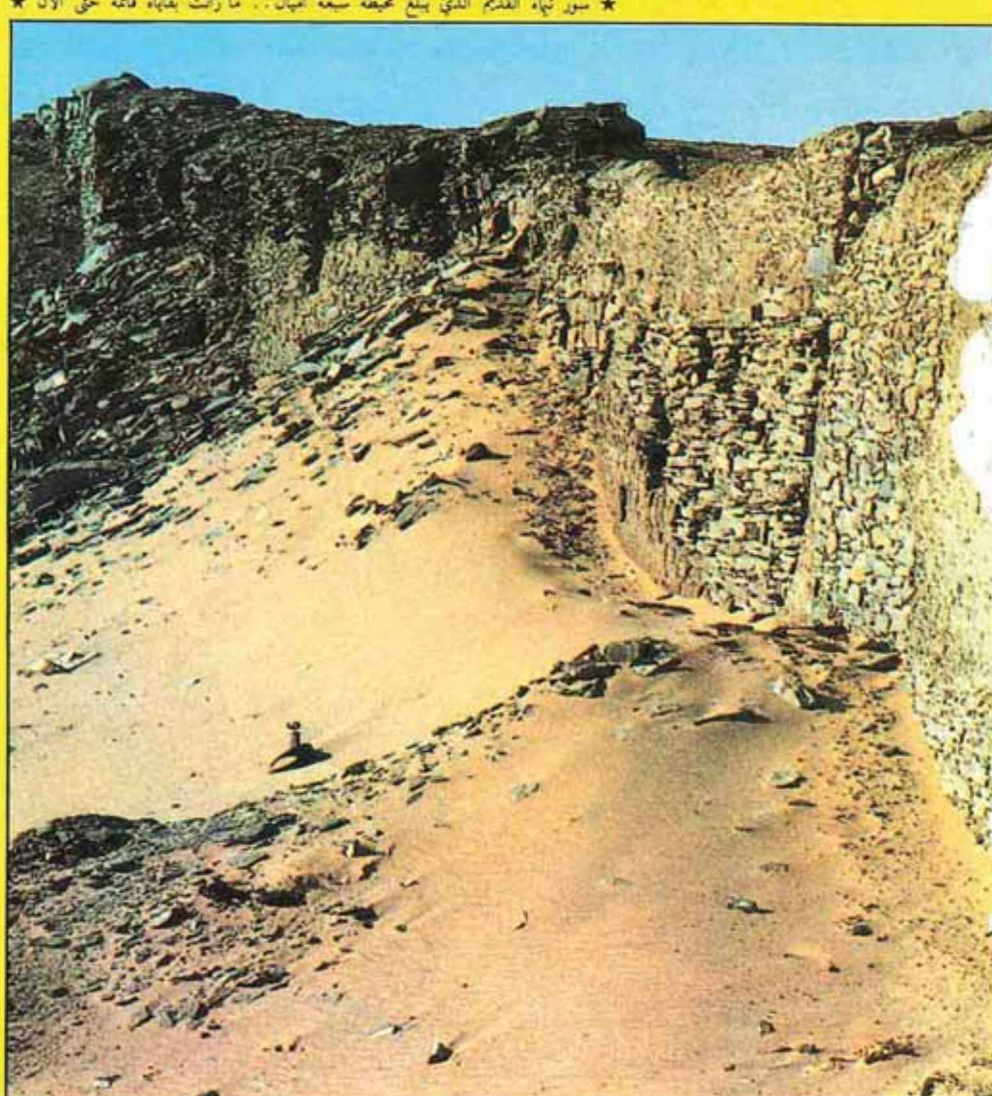
وحوالي عام ٢٥٠٠ ق . م ، استأنست قبائل شبه الجزيرة الجنوبية الجمل ، الذي كان له دوراً كبيراً في ربط الجزيرة ببعضها البعض .

وتروي **الوثائق الآشورية** التي يعود تاريخها إلى عام ٨٥٤ ق . م ، كيف أن « **جنديبو** » Gindibú مع ألف من راكبي الجمال من **أرض « عريبي »** Land of Aribi ساعدوا ملك « دمشق » ضد ملك الآشوريين « **شالمانيزر الثالث** » Shalmaneser III في **معركة « كركور »** Karkor .

والجمال ما زالت منظراً مألوفاً في المملكة ، تحط بجلال بالقرب من الوديان وبالقرب من ديار البدو . . . لقد كان الجمل مصدر حياة للبدوي ، فهو مصدر الحليب واللحم والخيام . . فكثيراً ما تجد في البادية خياماً مصنوعة من وبر الجمل . . . كما أنه كان وسيلة مواصلات في صحارى مقفرة لا يستطيع الإنسان قطعها بمفرده .

إنه الجمل الذي جعل « قافلة الصحراء » ممكنة . . . **إن طرق التجارة العظيمة كانت توجد بين حضارات الجزيرة العربية وبين الحضارات القائمة على وديان الأنهار على امتداد الخليج العربي والمحيط الهندي ، من قرطاجة وروما واليونان بعرض البحر الأبيض**

★ سور تيماء القديم الذي يبلغ محيطه سبعة أميال . . ما زالت بقاياه قائمة حتى الآن ★



المتوسط إلى **الشرق الأقصى** .. ولكن مياه **البحر الأحمر** كانت بالغة الخطورة لتعدد الشعب المرجانية وسفن القراصنة ... وهكذا فإن البضائع القادمة من الشرق كانت تُفرغ على ساحل شبه الجزيرة الجنوبي ومن ثم تُنقل من هناك إلى بقية بلاد البحر المتوسط عبر الجزيرة العربية ... إن قوافل الصحراء العظيمة وُلدت هنا ، وقبض سكان الجزيرة على زمام أكبر وأغنى تجارة في ذلك العهد ...

كانت هناك صموغ وراتنجات عطرية تستخرج من الأشجار والشجيرات التي كانت تنمو فقط في جنوب الجزيرة وفي إفريقيا القريبة ، وكانت تلك ذات أثمان باهظة في بلاد العالم القديم لاستخدامها في صناعة العطور وفي الأغراض الطبية وفي الاحتفالات الدينية ، وكأبخرة لطرد الحشرات الضارة والروائح الفاسدة .. وكانت هناك البهارات من الهند .. والزجاج البركاني الأسود « السَّبَج » Obsidian الذي كان يأتي من جنوب الجزيرة ومن تركيا .. وحجارة اللازورد الكريمة من أفغانستان ... وكان هناك الذهب أيضاً .

▲ ★ أحد الجداريات التي تم اكتشافها في (الفاو) تمثل طائفة النبلاء وتتجلى فيها براعة الرسام في استخدام الألوان ★

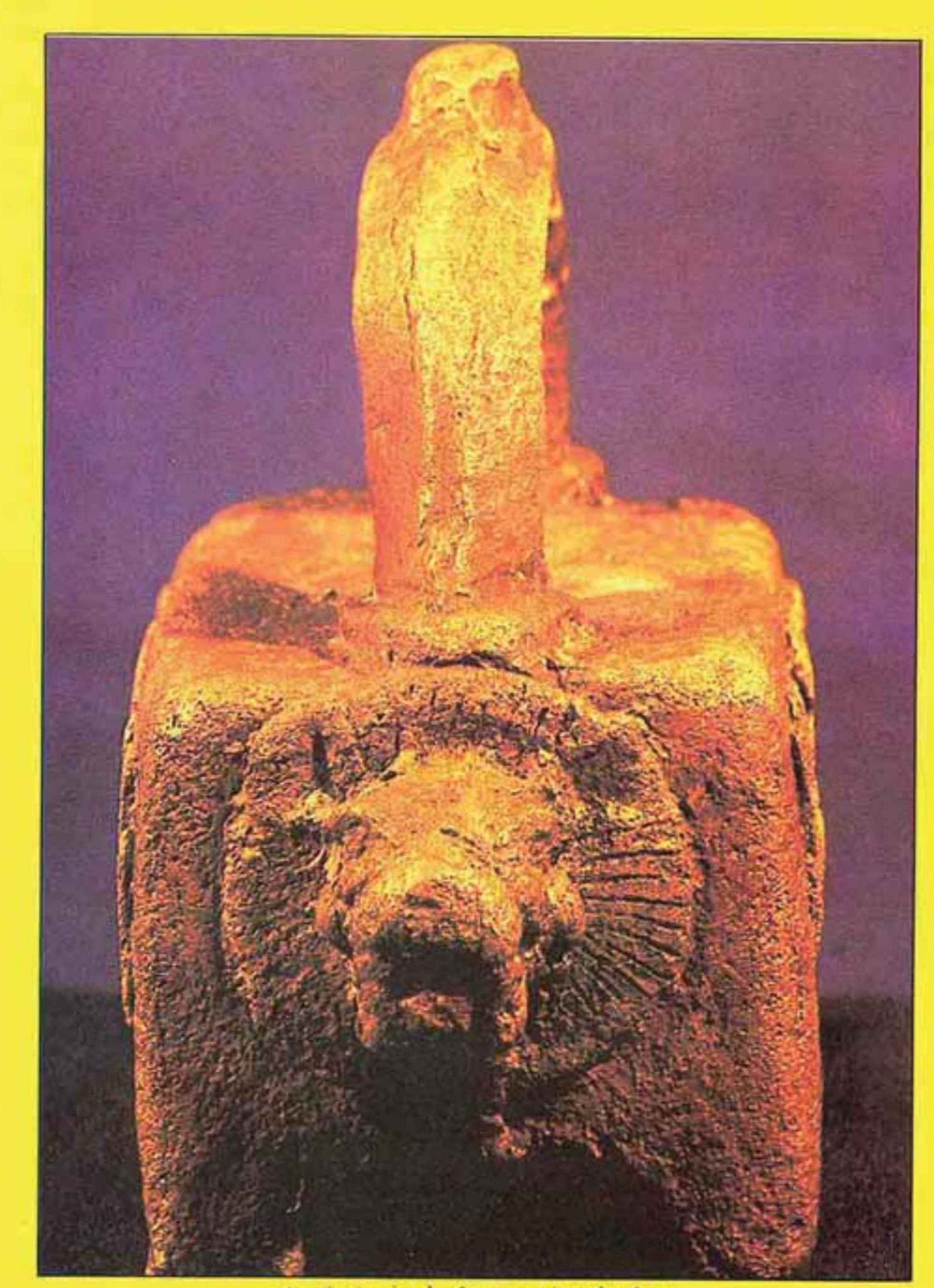


★ جمل برونزي اكتشف في أحد معابد الفاو يحمل نقوشاً بالخط المسند ★ ◄

مناجم الملك سليمان

في موسم عام ١٩٨٣ م ، قضى فريق مختلط من **علماء الآثار السعوديين ومن جامعة كولورادو الأميركية** شهراً صعباً في منطقة جبلية بعيدة ووعرة على حدود اليمن تقريباً ...

ولكن لعلماء الآثار وعلماء المعادن ، كان هذا الشهر يستحق هذا العناء ، إذ إن كلاً من المواقع العشرة التي تم استكشافها في هذه المنطقة أنتجت أطناناً من المعادن النفيسة ... وثبت أن هذه المواقع ما زالت غنية بخامات الذهب والنحاس والحديد .. وقد وجد الفريق أيضاً



★ أحد أثقال الموازين على شكل أسد في موقع الفاو ★

قطعاً أثرية يعود زمنها إلى عهود **الإغريق والبيزنطيين** وحتى **أوائل العهد الإسلامي**.

إن كثيراً من المؤرخين وعلماء الآثار ما زالوا يؤمنون بأن مناجم الملك سليمان الأسطورية توجد في مكان ما حول هذه المنطقة.

كل هذه الكنوز وجدت طريقها إلى السطح أو غاصت في أعماق نفس تلك الوديان والطرق التي طرقتها أقدام صيادي العصر الحجري والبدو الرحل ... قافلة تسافر إلى الساحل الغربي وأخرى إلى الشرق وثالثة تقطعها من الغرب إلى الشرق عابرة النصف العلوي من شبه الجزيرة ... مدن صغيرة بالقرب من الواحات أو الوديان التي تغذيها الينابيع نمت كالمراكز الدولية، غنية بالبضائع والثقافة والحضارة .. وواحدة من هذه المراكز تدعى «**تيماء**» Taima أو Tayma في الشمال، إذ كانت هذه المدينة كالزهرة اليانعة في الألف الأولى قبل الميلاد عندما رحل إليها **الملك «نابونيدوس» Nabonidus ملك الإمبراطورية البابلية الحديثة** (وهو أحد المصلحين في ذلك العهد) حيث اتخذها عاصمة له وبنى لنفسه قصراً فيها ما زال يرقد هناك في مكان ما تحت الرمال ينتظر استكشافه ... وكانت أسوار مدينة تيماء تبلغ سبعة أميال حولها .. أما بئرها العميقة المبطنة بالحجارة ما زالت تعج بالماء رغم أن عمرها ثلاثة آلاف سنة.

أما «**حجر تيماء**» Taima Stone المنقوش بالآرامية الذي يسجل قصة إنشاء طائفة دينية جديدة في تيماء القديمة، فقد وجده مستكشف فرنسي منذ مائة عام تقريباً وهو موجود في **متحف اللوفر بفرنسا** ... ولكن الفريق السعودي وجد حجراً آخر (انظر الصورة) مدفوناً في معبد الطائفة المذكورة الذي يشتمل على رموز وكتابات من **بابل ومصر ومنطقة ما بين النهرين** مما يشهد على التسامح الديني في تيماء، والذي ربما جذب الملك نابونيدوس في المقام الأول ..

إن الحفريات الأثرية الحقيقية الجادة لم تبدأ بعد في **تيماء** ولا حتى في **نجران** (مدينة القوافل في الجنوب) التي لا تقل مناطقها الأثرية إثارة، والتي كانت مسوّرة وذات أبراج وكانت مركزاً للمسيحية في الجزيرة خلال الألف الأولى للميلاد التي غزاها ملك يهودي في القرن السادس للميلاد ثم أنقذها مسيحيو الحبشة Abyssinia.

يقول الدكتور المصري: «نحن في حالة توقف عن الحفريات الحقيقية إلى حين إيجاد الإمكانات المناسبة ... نحن الآن في طور **بناء ستة متاحف في تيماء ونجران والهفوف والجوف والعلا** .. وهي ستكون مراكز أبحاث أكثر من كونها متاحف بالمفهوم القديم، وسيشتمل كل منها على مساكن وأماكن تخزين ومكتبات وتسهيلات للزوار» .. كلها ستكون في دولة غنية بما فيه الكفاية وطموحة بما فيه الكفاية لأن تنقب كل حبة رمل إذا تطلب الأمر.

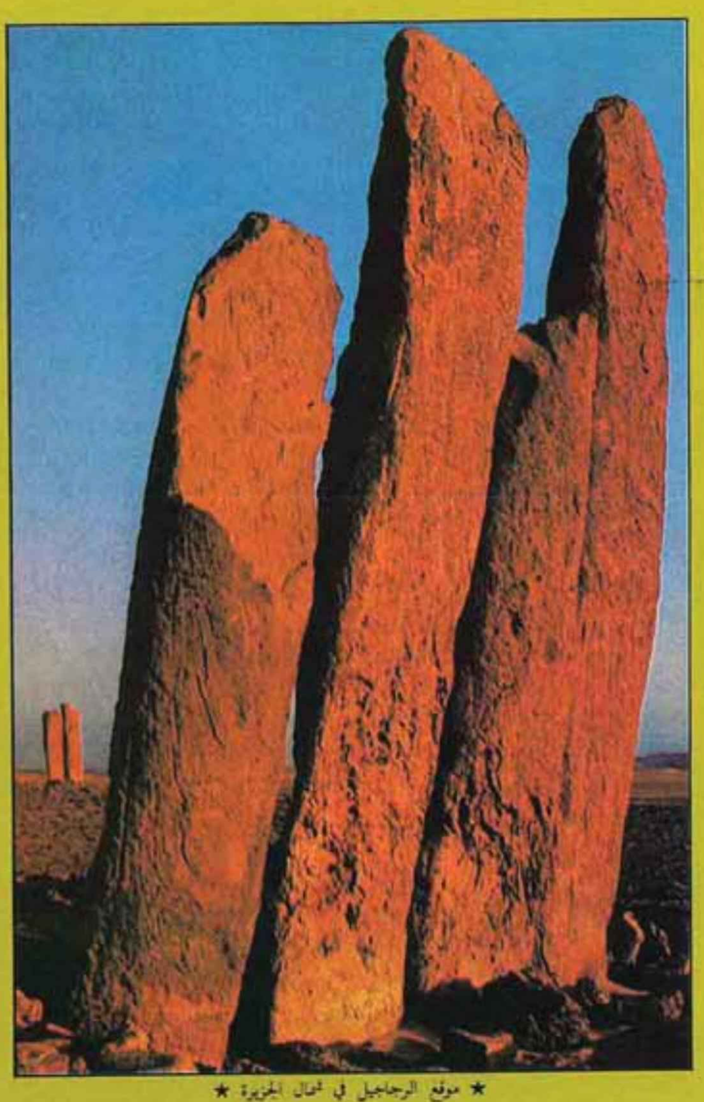
ويوجد في المملكة الآن موقع واحد تم الحفر فيه واستكشافه بالكامل، ألا وهو موقع **قرية «الفاو»** Fau، وهي على بعد مائة

وعشرة أميال شمال شرقي نجران ، وتقع على نفس طريق القوافل .. كانت عظيمة في الألف الأولى قبل الميلاد ، وبالرغم من أن مؤرخو وجغرافيو حقبة ما قبل الإسلام وما بعده نادراً ما ذكروها ، إلا أنها لوحظت أول ما لوحظت في الأربعينات من هذا القرن بواسطة **شركة أرامكو** ... وفي عام ١٩٧٢م ، **قام أحد أساتذة جامعة الرياض (جامعة الملك سعود) وهو الدكتور عبد الرحمن الأنصاري باستكشاف موقع الفاو ..**
ولقد تمكن الأنصاري (وهو عالم آثار ومختص بالنقوش الأثرية القديمة Archaeologist and Epigraphist) من أن يُنشئ فرعاً صغيراً لدراسة الآثار بقسم التاريخ بكلية الآداب بالجامعة ، وبدأ في استخدام موقع الفاو لتدريب الطلاب على الطبيعة .. إذا كان هناك موقع يلهم هؤلاء الحفارين الصغار ويزرع الصبر والأناة في قلوبهم ، إنه موقع « الفاو » ... ففي أحد عشر موسماً من مواسم العمل ، أثمرت الحفريات عن **اكتشاف « السوق »** ، وقصر ذي جدران ملونة ، ومعبد عالي الجدران بدون سقف وبه تماثيل برونزية تعكس ثقافة وادي النيل ، والبحر المتوسط ، وسورية ، وجنوب شبه الجزيرة العربية .. كما تم اكتشاف بعض قبور الأغنياء ، ونقوش ، وقنوات مياه ، وأواني فخارية ، ونقود مسكوكة .

إنها معجزة صغيرة تلك التي حدثت ، فإن عمر قسم الآثار هذا لم يتعد السنوات الست ، لقد أصبح من أكبر أقسام جامعة الملك سعود في عام ١٩٨١م .

وبينا استمر العمل الجاد في موقع الفاو ، فإن بقية جهاز الآثار اتجه للعمل في جهات أخرى عديدة ... **لقد افتتح متحف صغير للآثار ـ لكنه جيد التنظيم ـ في الرياض** .. كما تم إعداد ستة أفلام مدة كل منها نصف ساعة باللغتين العربية والإنجليزية لاطلاع المواطنين وزوّار المملكة على قصة الآثار فيها ... وقد تم رسم الخطط ورصد الأموال لبناء متحف آخر كبير يستخدم فيه نظام استجلاب المعلومات بالحاسب الآلي Computerized Retrieval System عن كل المعروضات ومواقع التنقيب .

وهناك **مجلة « الأطلال »** Journal Of Saudi Arabian Archaeology التي بدأت في الصدور عام ١٩٧٧م ، باللغتين العربية والإنجليزية والتي اكتسبت احترام المختصين في العالم لدقتها المتناهية في رسم خرائط التنقيب والرسومات والصور وتفاصيل التقارير الميدانية .. كما اتجه قسم الآثار إلى الاستكشاف والحفاظ على المعالم الإسلامية ماضيها وحديثها خوفاً من فقدانها في غمرة التقدم التكنولوجي العالي والانفجار العمراني بطول البلاد وعرضها الذي يخشى المسؤولون أن يقضي ليس على الآثار فقط ، بل على القيم القديمة وعلى التراث .


★ موقع الرجاجيل في شمال الجزيرة ★

وحتى الآن ، فإن أهم كشف أثري إسلامي ـ باستثناء **آثار مكة المكرمة والمدينة المنورة** ـ ذلك الموقع الذي يمتد بطول ستمائة ميل داخل المملكة فقط (وهناك المزيد منه داخل العراق) ، ألا وهو **« درب زبيدة » أو « طريق الحجيج »** الذي كان في أوجه لعدة قرون بين مكة المكرمة وبغداد ، وكانت شهرة هذا الطريق فائقة ؛ إذ كان مجهزاً بالآبار ، والأحواض ، ومضافات للحجاج وأماكن للراحة ... **ولقد سُمي باسم زبيدة تشريفاً لزوجة الخليفة هارون الرشيد في القرن التاسع الميلادي** ، إذ وجهت اهتمامها الشخصي وثروتها وثروة زوجها لتحسين إمكانات ذلك الطريق الصحراوي



★ موقع وادي الصرار .. ويبدو عظام أحد الحيوانات القديمة المنقرضة التي كانت تعيش في هذه البقعة قبل خمسة عشر ألف قرن ★

الطويل ولتسهيل الرحلة الشاقة على حجاج بيت الله الحرام من المؤمنين .

الحجاج على طريق القوافل

في الحقيقة ، إنه الإسلام ومواقعه المقدسة والطرق المؤدية إليها هي التي حمت المملكة العربية السعودية من النسيان في القرن السابع للميلاد .. فالحروب المستمرة على أطرافها ، وانهيار الممالك القديمة العتيدة لعبت دوراً عظيماً في التجارة الدولية .. فإن روما المسيحية تطلبت بخوراً أقل مما تطلبته روما الوثنية .. وزيادة على ذلك وطدت طرق الإمداد الخاصة بها بعيداً عن أراضي الجزيرة العربية .

اضمحلت التجارة وماتت ، ولكن **الرسول محمد صلى الله عليه وسلم** نشر دعوة الحق وبدأ فيضان الحجاج يصب من **فارس والهند ومصر وإسبانيا وتركيا ،**

وتحولت طرق القوافل التجارية القديمة إلى طرق للحج ، وانتعشت المدن في الجزيرة العربية من جديد .

ولكونه موقفاً رئيسياً على طريق الحج في الماضي إلى مكة المكرمة من مصر وسورية ، فإن موقعاً يجري مسحه الآن وتقييمه شمال مكة منذ أوائل عام ١٩٨٣ م . . . هذا الموقع اسمه « **الجموم** » Jumum وهو مشتق من اسم قرية سعودية قريبة من الموقع . . هذا الموقع القديم هُجر منذ مائتي عام خلت لسببٍ ما زال مجهولا . . . وقد عثر الفريق على حمام رخامي مدفون في رمال الموقع ، وعلى الأجزاء السفلية لبناية ضخمة جداً وبالقرب منها « **بركة** » وهي أكبر بركة من نوعها تكتشف في المملكة حتى الآن ، إذ يبلغ اتساعها ثلاثمائة قدماً وعمقها حوالي العشرة أقدام .

وفي موقع آخر شمال شرقي الرياض ، قام فريق آخر بقيادة **الدكتور محمد جزدار والدكتور دانيال بوت** D. Pott (الذي كان يعمل في **جامعة هارفارد** ، ويعمل الآن في **جامعة برلين** المفتوحة) باستكشاف أطلال أكبر مدينة أثرية في الجزيرة العربية وتدعى « **ثاج** » Thaj ، وهي تبعد مسافة خمسين ميلاً عن مستوطنات الخليج العربي التي كانت تتعاطى التجارة مع منطقة ما بين النهرين بين الألف السادسة والألف الثالثة قبل الميلاد ، ولكنها بقيت خلال **الحقبة الهيلينية** (٣٠٠ ق . م ، إلى ٢٠٠ م) ، كطريق تجاري بين الهند وجنوب الجزيرة وحتى فارس وآشور . . . لقد كانت مدينة ذات أسوار ، وذات أبراج للمراقبة والحماية تمتد خارج حدودها . . ولقد تم اكتشاف أدوات لصهر المعادن وسك النقود فيها . . وقد قضى رئيس الفريق الدكتور جزدار أياماً في خنادق التنقيب لاستخراج الفخار الهيليني الموجود بكثرة في هذا الموقع ، ومع ذلك فإنه يقول : « لم نكتشف شيئاً حتى الآن من شأنه أن يجعل الناس يقفزون من فوق مقاعدهم دهشة » . . . لقد وجدوا رؤوس ماشية وجمال صغيرة مصنوعة من الصلصال ، وقاعدة محرق للبخور ، وتمثال طوله سبع بوصات .

وعلى بعد أقل من ١٢ ميلاً من ثاج ، في إحدى مناطق التلال الرملية ، وجد فريق سابق كنوزاً من الأحافير Fossils وبقايا الحيوانات المتحجرة التي عاشت في **العصر الميوسيني** Miocene (**انظر الصورة**) . . وقد تم العثور في هذا الموقع على أحافير يعود عمرها إلى ١٥ ــ ١٧ مليون سنة . . . **وفي مكان لا يبعد كثيراً عن هذا المكان ، وقبل عشر سنوات ، تم اكتشاف أجزاء من عظم الفك وبعض أسنان حيوان الـ Dry-opithecus المنقرض يعود عمرها إلى ١٢ مليون سنة ، وهذه البقايا ولسوء الحظ انتهى المقام بها في المتحف البريطاني** .

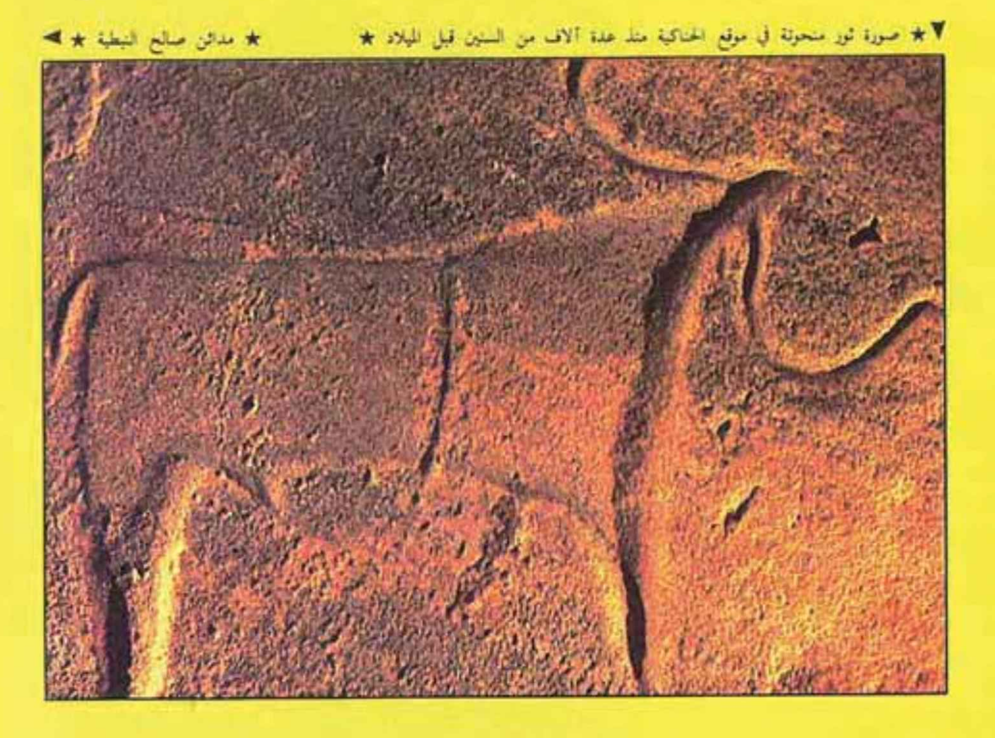
وفي عام ١٩٨٣ م ، قام فريق أثري كبير بالعمل في **المنطقة الشمالية الغربية للمملكة بالقرب من الحدود الأردنية** ، حيث يوجد هناك الكثير من قبور « **أسود ديدان** » Dedan والواجهات العظيمة **لمدائن صالح النبطية** المنقوشة في الصخور ، كما يوجد هناك بقايا **قلعة المماليك الطينية** ، وعلى مقربة توجد **سكة حديد الحجاز** التاريخية التي بناها الألمان للأتراك ودمرها **لورنس العرب** في الحرب العالمية . . . ولكن الكنوز الحقيقية لهذه المنطقة هي مدائن صالح التي يعرفها الغرب لتشابهها مع القبور النبطية في البتراء .

وهناك **فريق دولي (سعودي ، ألماني ، أردني ، فليبيني)** يتخذ واحة قديمة مركزاً له ألا وهي **مدينة « العلا »** التي كانت عاصمة لمملكة ديدان قبل ثلاثة آلاف سنة . . وهذه الواحة العظيمة التي أبقت على حياة المدينة خمسة آلاف عام تقريباً ما زالت خضراء حتى اليوم ، وما زلت ترى حتى اليوم أسوار الحصن الذي بناه أحد القادة المسلمين قبل ١٣٠٠ عام أيام **الأمويين** .

يقول الدكتور المصري : « كل ما عملناه حتى الآن هو البداية ، إن السباق بين تحديث الدولة وبين الحفاظ على تاريخها الطويل قائم » . . .

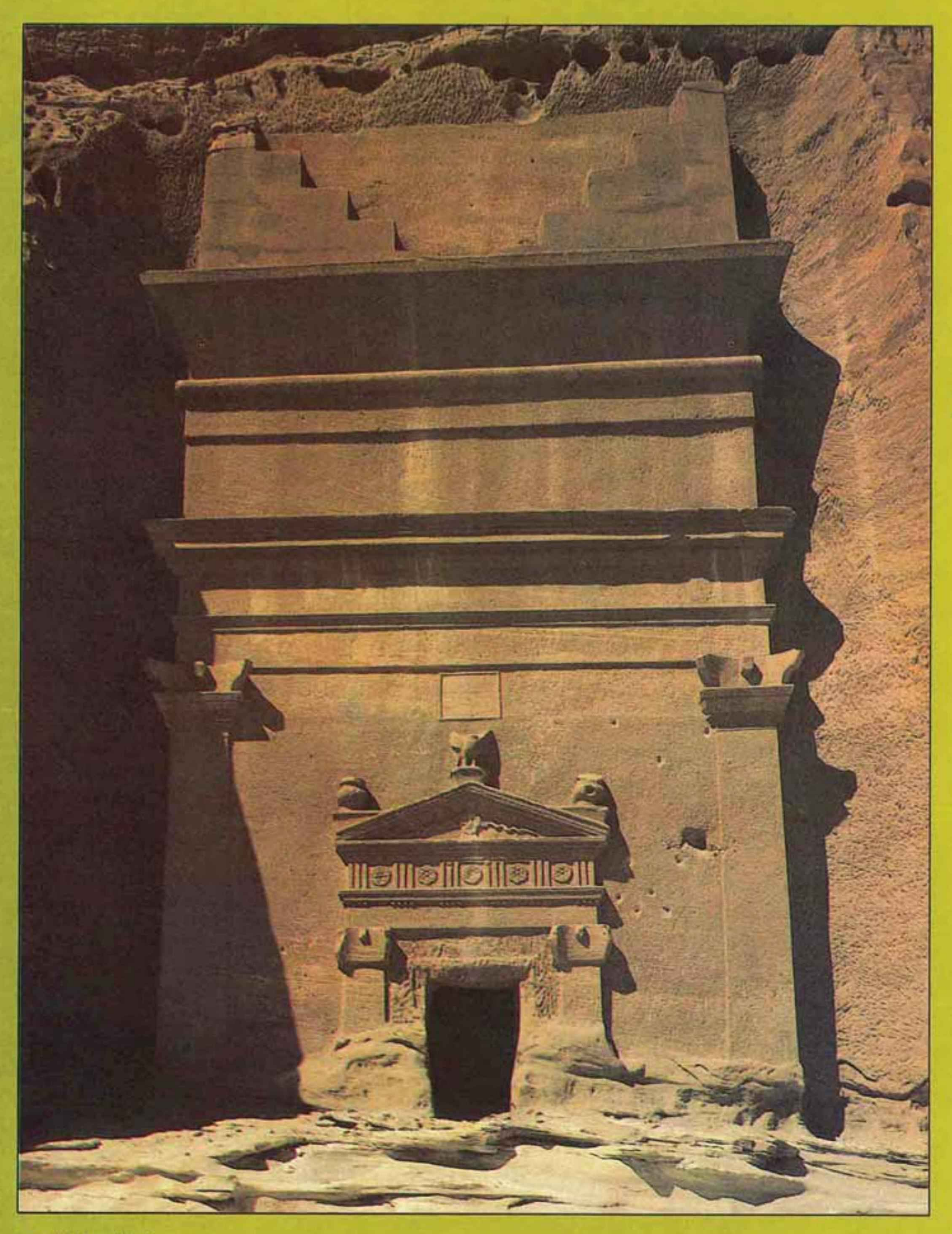
وعموماً فإن السعودية سيكون لها يوماً حصيلة أثرية كبيرة ستكون بمثابة الكنز السياحي والتاريخي الذي سيضاف إلى كنوزها العديدة الأخرى .

نُشر هذا المقال باللغة الإنجليزية في مجلة « سمثونيان » الأمريكية بعددها الصادر بتاريخ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٨٣ م .



▼★ صورة ثور منحوتة في موقع الحناكية منذ عدة آلاف من السنين قبل الميلاد ★

★ مدائن صالح النبطية ★ ◄



لوحة وفنان

اللوحة : الساعة

● في هذه اللوحة يصور الفنان موضوعاً يبدو للوهلة الأولى أنه موضوع مباشر ، أي إنه يصور ساعة الحائط التي تعلّق على جدران المنازل ، وبذلك يصور موضوعاً جمالياً من الناحية التشكيلية .. إلا أن الفنان اتخذ من الساعة موضوعاً يشغل بال كل إنسان على سطح هذه الأرض .. فالساعة هنا ليست هي التي تحدد بها الوقت ، أي الساعات والدقائق التي نحياها أو نمر بها ، وإنما المقصود بها هو يوم الساعة .. أو ساعة الامتحان الكبير .. أو اليوم الآخر ، يوم الحساب .. ويستخدم الفنان للدلالة على موضوعه رموزاً غير واضحة ، نستدل عليها بأحاسيسنا ومشاعرنا بعضها عضوي والآخر هندسي .. فالإطار العضوي الذي يحدد الساعة ويحيط بالأرقام هو كاللغط المتساقط أو كأجزاء من عظام ، أو كرؤوس بشرية متدلية ، وهو العنصر الوحيد الذي يدل على الإنسان في اللوحة .. وتغطي تلك الأشكال المتدلية بعض الأرقام ، ويسقط البعض الآخر من أسفل الأرقام ، ويتوسط الساعة مقصاً بدلا من عقاربها ، والمقص هنا دلالة رمزية على القصاص .

● استخدم الفنان دلالات رمزية هندسية أيضاً للتركيز على العنصر الأساسي في اللوحة .. فصور مستطيلات متتالية ومتنوعة الأحجام تتدرج من الكبر إلى الصغر لتقود عين المتلقي إلى بؤرة تتوسط اللوحة هي دائرة الساعة المتضمنة في مركزها المقص .. أما المستطيلات فتبدأ من بعدي اللوحة إلى المستطيل الأصفر الذي يكاد أن يتوسط اللوحة ، ثم إلى المستطيل الأسود ، ثم إلى المستطيل الأزرق الذي يتضمن خطوطاً متوازية تتدرج في سمكها حتى تصل إلى خط رفيع .. والانتقال عبر المستطيلات يقودنا إلى الانتقال عبر الخطوط التي تصل إلى خط رفيع ، وذلك التدرج يوحي بعملية التلاشي .

● اللوحة استاتيكية ، والتكوين متزن ، ولم يوفق الفنان في استخدام التجاويف الخشبية المرسومة في الخلفية نظراً لأنها تشتت عين المتلقي عند النظر إلى اللوحة .. أما الألوان فهي ذات هارموني «متوافقة» وتتضمن الشقين الساخن والبارد ، وقد استخدم الشق البارد فقط كدلالة رمزية للتأكيد على مضمون موضوعه .

الفنان : صالح أحمد الأستاذ



● ولد عام ١٩٥٧ م ، بالإمارات العربية المتحدة .

● شارك في العديد من المعارض منها :

★ معرض الديكور المنزلي بكاليفورنيا عام ١٩٨٣ م .

★ المعرض الفوتوغرافي بأورانج ـ كاليفورنيا عام ١٩٨٣ م .

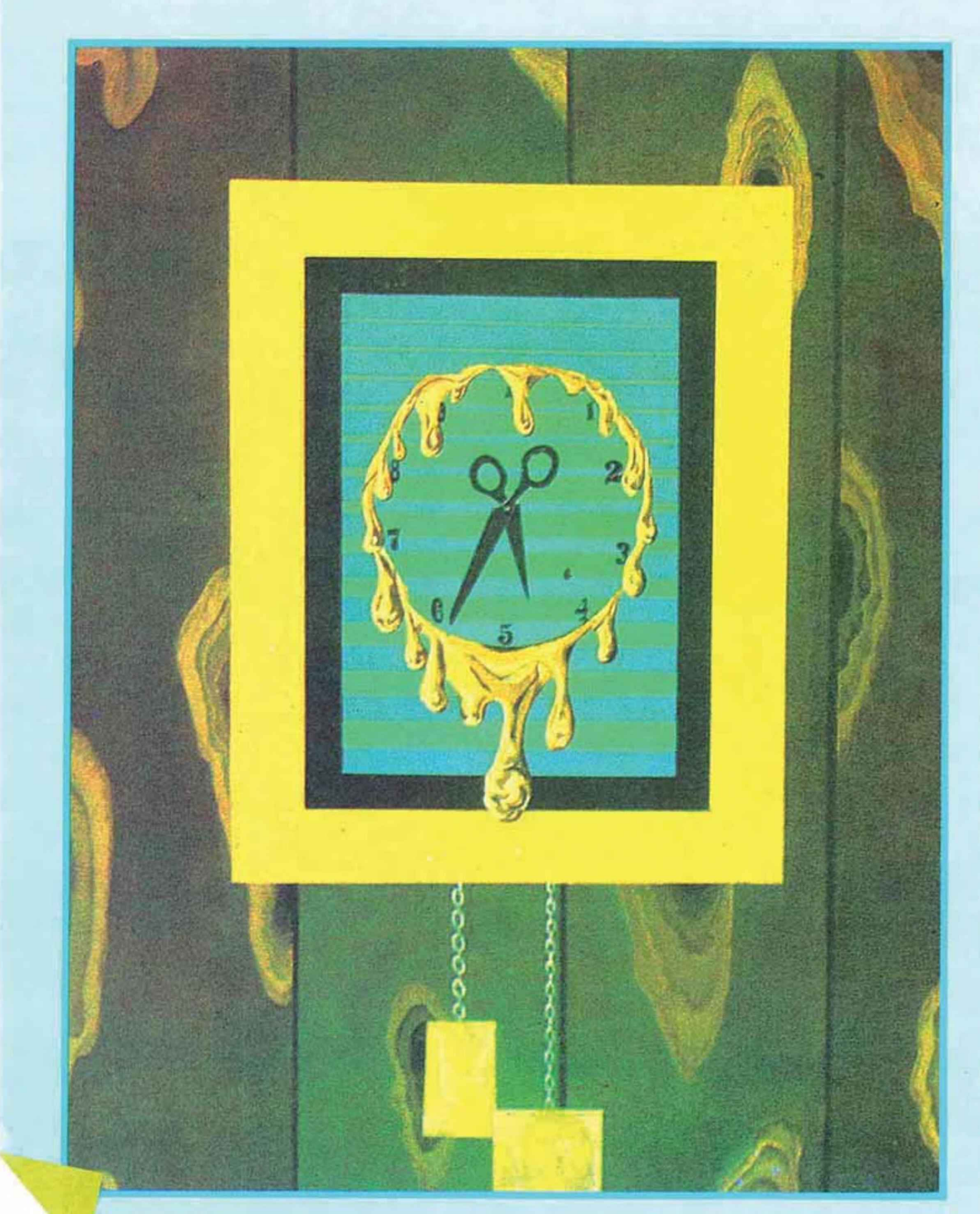
★ معرض فن التصوير الفوتوغرافي بنيويورك عام ١٩٨٤ م .

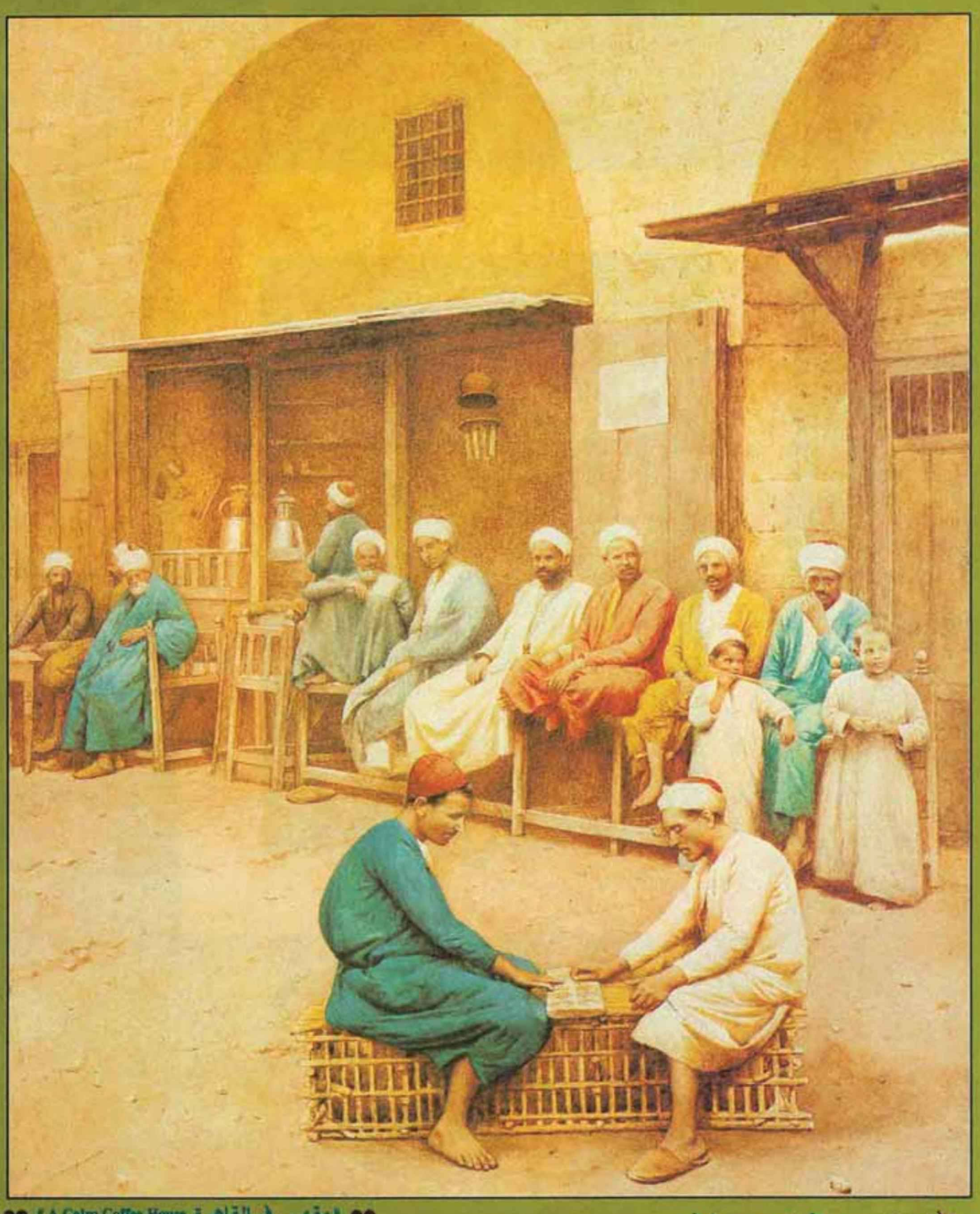
★ معرض رعاية الشباب الثاني بدبي عام ١٩٧٦ م .

★ معرض فناني جنوب كاليفورنيا «لوس انجلوس» .

● وضع رسومات وتصاميم للوسائل التعليمية بوزارة التربية والتعليم والشباب .

● صمم ديكورات منزلية ، وحصل على عدة جوائز منها : الجائزة الأولى في تصميم الـ «بوست كارت» بمعرض جنوب كاليفورنيا «لوس انجلوس» .





●● «مقهى في القاهرة A Cairo Coffee House» ●●

الشرق ** في عيون الغرب

● أنريكو تارجي ● المدرسة الإيطالية ● رسم بالألوان المائية ●



أخلاق وآداب

شعر: محمد حسن عواد

أيها الترب خذ نصيحة خِدْنٍ
طاهر القلب صادق الكلمات

كن حليف الصلاح والصدق دوماً
واتبع نهج المعجزات

لا تكن قاهراً فؤاد حزين
أرهقته نوائبُ الحادثات

واسِ إن قدرتَ بالمال واعلم
أن هذي من أعظم القربات

واجتنب غيبةَ الورى فهي شؤم
في حياة المغتاب ثم الممات

واتّقِ الظلمَ إنه لوبالٌ
ويجرُّ الظلوم للظلمات

وهنا يا أخيُّ ذنب عظيم
يكسب العار أهله في الحياة

والذي يجتنيه يكسبه الذل
وتضحي حياته كالوفاة

وهو تحقيرك المعلم من غذّا
ك بالعلم مع جميل الصفات

وتصدى يزيح عن قلبك الجهل
ليصفو من ضلة وسبات

وهداك النهجُ القويمُ بما
أهدى إليك المعارفَ الغاليات

عن ديوانه « آماس وأطلاس »



أبو زيد البلخي

حدثت قرائي فيما مضى ، ان ابا حيان التوحيدي ، كان معجباً ـ الإعجاب كله ـ برجال ثلاثة ، هم : الجاحظ، وابو حنيفة الدينوري ، وابو زيد احمد بن سهل البلخي .

اما الجاحظ، فقد اكثرت واكثر الناس من الحديث عنه ، واما الدينوري ، فقد تحدثت عنه بما فتح الله لي من حديث .. وبقيت في النفس رغبة ان احدثهم عن الفارس الثالث ، اعني ابا زيد .. بقدر ما تتسع لذلك مراجعي ، على قلتها . وهذا الرجل لم يؤت عند المتاخرين ذلك الحظ الذي اوتيه الفارسان الأولان ، فلا يكاد يبين له اسم ، مع ان ابا حيان يقول عنه : «لم يتقدم له شبيه في الأعصر الأول ، ولا (يُظن) انه يوجد له نظير في مستانف الدهر .. » . وقد احسن ابو حيان ، حينما استعمل كلمة (لا يُظن) .. وإلا فإن العبقرية لا تزال ولادة .. !

وفي البحث عن اخبار ابي زيد البلخي ، وجدت فيما بين يدي من مراجع ان ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ = ١٢٢٥ م ، استفاض في الترجمة له في الجزء الثاني من كتابه الكبير (معجم الأدباء) ص ٦٤ وما بعدها ، معتمداً على عدة مصادر منها النديم في الفهرست ، وسالخص فيما يلي ترجمته كما استقيتها من معجم الأدباء :

١ ـ ولد ابو زيد احمد بن سهل البلخي ، بقرية تدعى شامستيان من رستاق نهر غرينكي من انهار بلخ ، وكان ابوه معلماً للصبيان بها ، وعمل هو ايضا معلماً للصبيان ، ونشا فقيراً ، منقطعاً للعلم ، حتى رفعه علمه .

٢ ـ كان بعض الموسرين يساعدونه على التحصيل ، فقد حكى عن نفسه فقال : «كان الحسين بن علي المرزودوزي واخوه يجريان عليّ صلات معلومة دائمة ، فلما صنفت كتابي في البحث عن التاويلات قطعاها عني . وكان لأبي علي محمد بن احمد بن جَيْهان من خرخان الجيهاني ، وزير نصر بن احمد الساماني جوار يدرها علي ، فلما امليت كتاب القرابين والذبائح حرمنيها ، وكان الحسين قرمطياً ، وكان الجيهاني ثنوياً» .

٣ ـ كان يرمى بالإلحاد ، ولعل ذلك كان نتيجة إمعانه في الدراسات الفلسفية ، حتى قادته دراساته إلى الحيرة الفكرية ، «وزل به ذلك عن النهج الأوضح» ، فمال تارة إلى الإمامية الشيعية ، وتعلق تارة بالنجوم ، ولكن عاد فاهتدى ، هداه الله لأقوم السبل ، فاستمسك بعروة من الدين وثيقة ، وكان حسن الصلاة ، حسن الاعتقاد ، ونسب إلى الاستقامة والاستواء ، فلم يُعثر له في مصنفاته الجمة على كلمة تدل على قدح في عقيدته ، وكان يتنزه عما يقال في القرآن الكريم ، إلا الظاهر المستفيض من التفسير والتاويل ، كما اصبح يتحرج من تفضيل الصحابة بعضهم على بعض ، وابتعد عن الشعوبية .

٤ ـ ترك عدداً كبيراً من المصنفات ، سردها محمد بن إسحق النديم (لمن شاء ان يرجع إلى الفهرست ، طبعة رضا تجدد ، ص ١٥٣) .

٥ ـ وضع ابو سهل احمد بن عبيد الله بن احمد كتاباً في اخباره لخص عنه ياقوت ، وقال : «ما ارى ان احداً جاء من خبر ابي زيد باحسن مما جاء به ، اثابه الله على اهتمامه بالجنة» .

كما افادنا ياقوت نفسه ، ان لأبي محمد الحسن بن محمد الوزيري كتاباً ـ ايضا ـ في اخبار ابي زيد البلخي .

٦ ـ عندما ايسر ابو زيد ، ومال إلى اقتناء الضياع ، والنظر إلى الأولاد والأعقاب ، اختار قريته شامستيان من قرى بلخ ليشتري فيها ضيعة ، صرف إليها همته وعنايته ، بقيت ردحاً من الزمن في ايدي احفاده واقاربه . وقد اقتناها بثمن لآلئ ثمينة لها قصة ، خلاصتها ، ان الأمير احمد بن سهل بن هاشم ، كان ببلخ وعنده ابو القاسم عبد الله بن احمد بن محمود الكعبي ، وابو زيد ، ذات ليلة ، وكان بيد الأمير عقد لآلئ نفيسة ، حمل إليه من الهند ، فافرد منها عشرة اعداد ناولها ابا القاسم ، وعشرة اخر ناولها ابا زيد قائلاً : هذه اللآلئ في غاية النفاسة ، فاحببت ان اشرككما فيها ، فشكرا له ذلك ، ووهب الكعبي لآلئه لأبي زيد قائلاً : إن ابا زيد ، وهو من هو ، مهم بشانهن ، فاردت ان اصرف ما برني به الأمير إليه ، لينتظم في عقده ، فقال الأمير : نعماً فعلت ، ورمى بالعشرة الباقية إلى ابي زيد ، وقال : خذها فلست في الفتوة باقل حظاً من ابي القاسم ، واوصاه الا يغبن في ثمنها لأنها ابتيعت من الهند بثلاثين الف درهم ، فاجتمعت الثلاثون عند ابي زيد برمتها ، فباعها بمال كثير ، وصرف ثمنها إلى الضيعة .

اقول : الكعبي كان وزيراً للأمير احمد بن سهل سمّي ماضياً ، اما ابو زيد فكان كاتبه .

٧ ـ مر بنا ان الوزيري كان قد وضع كتاباً في ترجمة ابي زيد ، وقد نقل عنه ياقوت ، وقال إنه رآه واختلف إليه .. وقد وصفه فقال : كان ربعة ، نحيفاً ، مصفاراً ، اسمر اللون ، جاحظ العينين ، فيهما تاخر [ضعف وقصر] ، ومثل بوجهه آثار جدري ، صموتاً سكّيتاً ، ذا وقار وهيبة .

ومن هذا الوصف ، يتضح لنا أن أبا زيد كان جاحظ العينين . ونقل ياقوت عن كتاب النظائر لأبي حيان ، أنه كان يقال له في العراق : جاحظ خراسان . وهكذا نرى ان ابا حيان كان معجباً بجاحظين ، احدهما جاحظنا المعروف ، والأخر جاحظ خراسان .

٨ ـ يؤخذ من أخباره ، أنه كان ذا عقب ، وله أولاد وأحفاد ، كما مر بنا في خبر الضيعة . وله ابن اسمه (الحسين) سيأتي ذكره في خبر وفاته . وابن آخر اسمه (محمد) . فقد عرف من أحفاده : علي بن محمد بن أبي زيد .

٩ ـ عرف من رحلاته في طلب العلم ، أنه سافر إلى العراق ماشياً ، ومكث هناك ثماني سنين ، وطوّف في البلدان المتاخمة لها . وكان من أساتذته أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي ، وقد حصل منه علوماً جمّة . وكان من تلامذته الوزيري السالف ذكره .

١٠ ـ صنف نحو سبعين كتاباً في فنون مختلفة .

[أقول : إن الزركلي بعد أن عدد بعض أسماء كتبه ، لم يذكر أن شيئاً منها قد طبع إلا كتاب (البدء والتاريخ) ، الذي قال إن أكثر أهل التحقيق على أنه لمطهر بن طاهر المقدسي!] .

١١ ـ عندما عاد أبو زيد إلى بلده في بلخ ، انتشر بها علمه ، فلما وصل إليها أحمد بن سهل بن هاشم المروزي ، وأصبح حاكمها ، أراده للوزارة فاعتذر ، (اتخذ الكعبي وزيراً ، وجعله هو كاتباً ، وعظم محلهما عنده ، وفرض للوزير في الشهر ألف درهم ورقاً (فضة) ، ولأبي زيد خمسمائة درهم ورقاً ، فكان أبو القاسم يأمر الخازن بزيادة مائة درهم لأبي زيد من راتبه فيصل إلى أبي زيد ستمائة درهم .. وكان يأخذ لنفسه مكسرة ، ويأمر لأبي زيد بالوضح الصحاح (السليمة) .

وهكذا نرى من هذه القصة .. ومن قصة الألف أية مكانة كانت لأبي زيد عند الوزير وعند الأمير .

١٢ ـ أما أخلاق أبي زيد وأدبه ، فقد نقل ياقوت من كتاب تلميذه أبي محمد الحسن بن الوزيري قوله :

«كان أبو زيد ضابطاً لنفسه ، ذا وقار ، وحسن استبصار ، قويم اللسان ، جيل البيان ، متثبتاً ، نزر الشعر ، قليل البديهة ، واسع الكلام في الرسائل والتأليفات ، إذا أخذ في الكلام أمطر اللآلي المنثورة . وكان قليل المناظرة ، حسن العبارة ، وكان يتنزه عما يقال في القرآن ، إلا الظاهر المستفيض من التفسير والتأويل ، والمشكل من الأقاويل . وحسبك ما ألفه من كتاب نظم القرآن ، الذي لا يفوقه في هذا الباب تأليف» اهـ .

ونأخذ من هذا النص ، أنه كان لأبي زيد شعر ، ولكنه قليل .. وكانت له بديهة حاضرة ولكنها ـ أيضاً ـ قليلة .

١٣ ـ والحديث عن البديهة يسوقنا إلى قصتين طريفتين روينا عنه ، مع الأمير أحمد بن سهل .. سميه ، ذلك أنه دخل عليه أول دخوله فسأله عن اسمه ، فقال : أبو زيد ، فعجب (أي الأمير) من ذلك ، سأله عن اسمه ، فأجاب عن كنيته ، وعدّ ذلك من سقطاته ، فلما خرج ترك خاتمه في مجلسه عنده ، فأبصره ، فازداد تعجباً من غفلته ، فأخذه بيده ، ونظر في نقش فصه ، فإذا عليه [أحمد بن سهل] ، فعلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للموافقة الواقعة بين اسمه واسمه ، وأنه أخذ بحسن الأدب ..» .

هذه واحدة .. أما القصة الثانية .. فيبدو أنها كانت بعد أن أصبح جليساً للأمير ، وعلم الأمير قدره وعلمه .. فقد لقيه الأمير في طريقه ، وقد أجهده السير فقال له : عييت أيها الشيخ! فقال أبو زيد : نعم أعييت أيها الأمير! فنبهه أنه لحن في قوله : (عييت) ، إذ العي في الكلام ، والإعياء في المشي .

١٤ ـ أما ما روى ياقوت من شعره ، فقد نقل عن المرزباني ، أنه رثى الحسن بن الحسين العلوي ، وقد توفي ببلخ ، بهذه الأبيات :

إن المنية رامتنا بأسهمها ... فأوقعت سهمها المسموم بالحسن
أبو محمد الأعلى فغادره ... تحت الصفيح ، مع الأموات في قرن
يا قبر إن الذي ضمنت جثته ... من عصبة سادة ليسوا ذوي أفن
محمد وعلي ثم زوجته ... ثم الحسين ابنه والمرتضى الحسن
صلى الإله عليهم والملائكة المقربون طوال الدهر والزمن ..

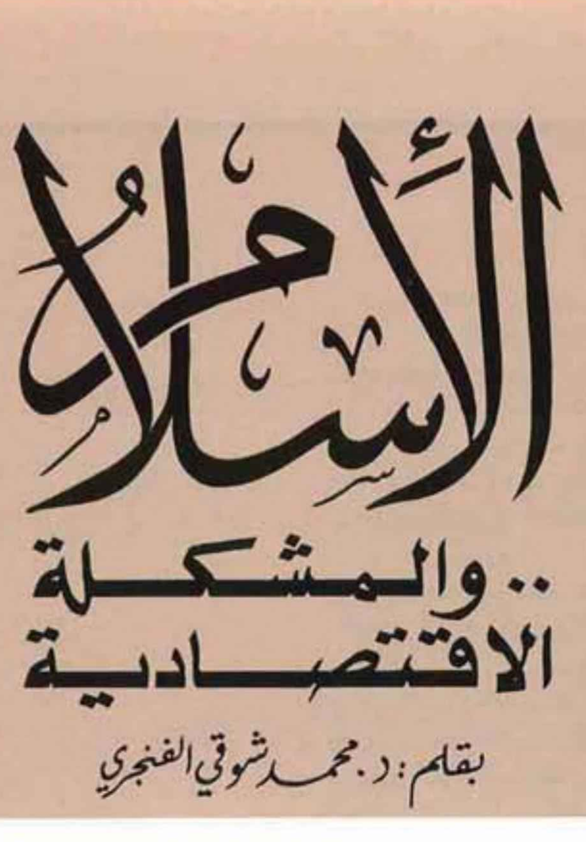
وكما نرى فإن هذا النظم ليس فيه من نفحات الشعر شيء .

وهناك بيتان أوردهما أيضاً ياقوت من إنشاد أبي زيد :

لكل امرئ ضيف يسر بقربه ... وما لي سوى الأحزان وهم من ضيف
تناءت بنا دار الحبيب اقترابها ... فلم يبق إلا رؤية الطيف للطيف

ولكن ياقوت لم يقل إن أبا زيد أنشدهما لنفسه .. كما أنه قد شكك في نسبة الأبيات الأولى إليه .





الإسلام .. والمشكلة الاقتصادية

بقلم : د. محمد شوقي الفنجري

من مشكلات الحياة ، سعي كل فرد أو كل جماعة في توفير أسباب معيشتها ، وبالأخص إشباع حاجاتها المادية وهي «متعددة» ، بينما ما لديها من موارد وأموال «محدودة» . فالمشكلة الاقتصادية تتمثل في تعدُّد الحاجات وندرة الموارد .

وبعبارة مبسطة ، إن المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الفقر الذي لا يعدو كونه مظهراً من مظاهر زيادة الحاجات على ندرة الموارد .

مشكلة الفقر

ومشكلة الفقر وإن كانت قديمة ، لازمت الإنسانية منذ فجر التاريخ ، إلا أننا لم نشعر بوطأتها إلا تدريجياً ، بزيادة حاجات الإنسان تبعاً لدرجة تطوره وتقدمه . فالإنسان الأول رغم قلة موارده ، لم يكن يشعر بوطأة الفقر نظراً لقلة حاجاته وتطلعاته .

وقضية الفقر نسبية ، تختلف باختلاف الزمان والمكان . ولا شك أن فقير العصر الحاضر ، يعتبر غنياً بالنسبة إلى إنسان العصور القديمة . كما أن متوسط الحال في **مصر أو الهند** يعتبر فقيراً بالنسبة لمتوسط الحال الأميريكي .

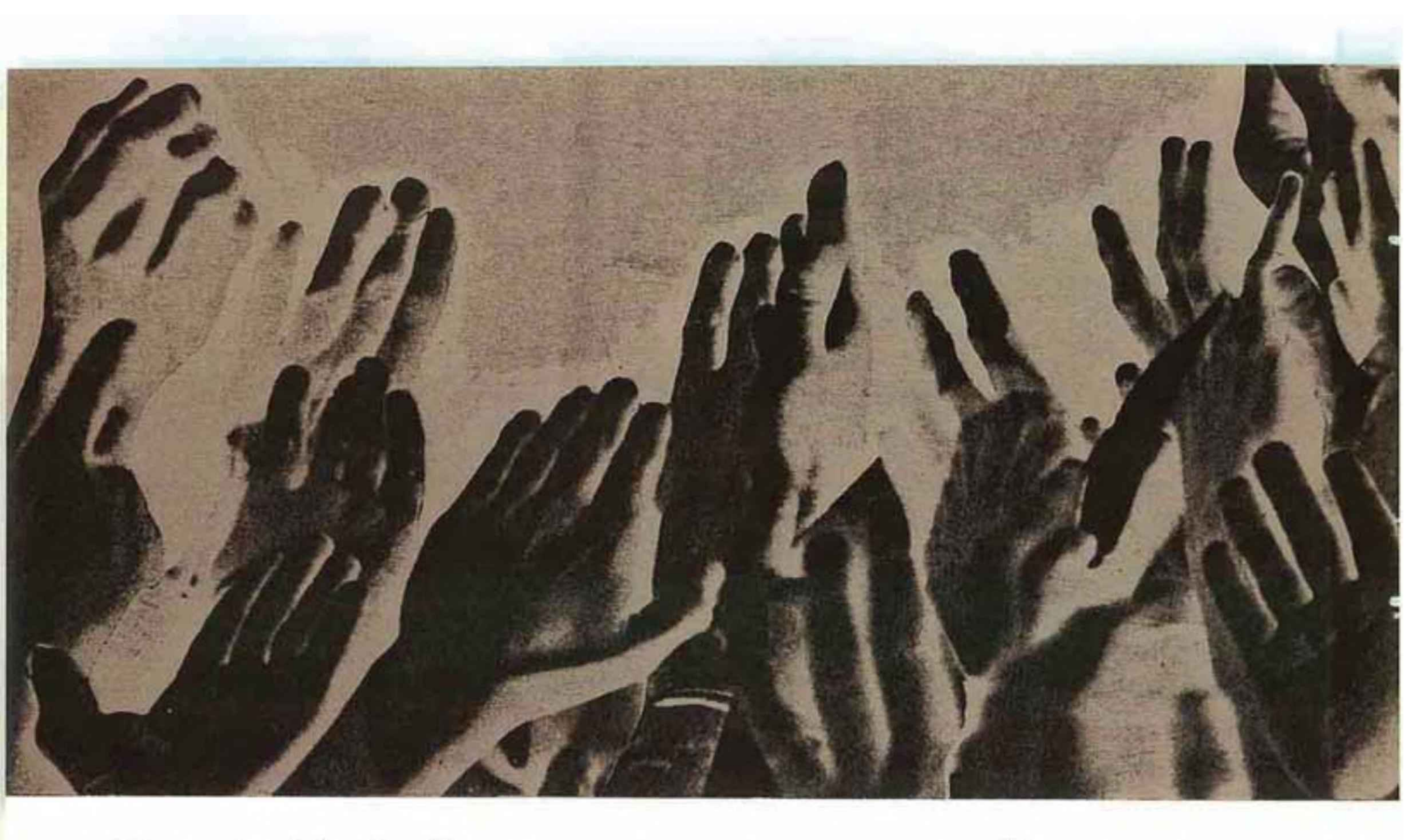
وقد بلغت مشكلة الفقر ذروة حدتها متأخراً في عصرنا الحالي ، وذلك بحكم سهولة اتصال الناس بعضهم ببعض ، وظهور الفوارق مع ازدياد الوعي الاجتماعي . فالفلاح في القرية ذات الاقتصاد المغلق لم يشعر بفقره إلا حين اتصاله بعالم المدينة . ومجتمع كاليمن قبل انفتاحه على العالم الخارجي ، لم يكن في عزلته يشعر بفقره أو تخلفه الشديد .

حقيقة مشكلة الفقر

ولا تتمثل مشكلة الفقر ، كما يتصور البعض في ظاهرة الجوع والحرمان ، أو العجز عن إشباع الحاجات الأساسية للمعيشة ، مما يعبِّر عنه الفكر الاقتصادي التقليدي باصطلاح **حد الكفاف** Minimum Vital ، وإنما تتمثل في عدم بلوغ المستوى اللائق للمعيشة ، بحسب ما هو سائد في المجتمع ، مما يختلف باختلاف الزمان والمكان ، وهو ما أدركه الفكر الاقتصادي الإسلامي بظهور الإسلام منذ أربعة عشر قرناً ، وعبَّر عنه باصطلاح **حد الكفاية** M. D'AISANCE ، أو **حد الغنى** . M. DE RICHESSE

ومن ذلك يتبيَّن أن الفقير في الإسلام ، فرداً كان أم دولة ، هو من يعيش في مستوى تفصله هوة سحيقة عن المستوى المعيشي السائد في المجتمع المحلي ، أو العالمي . أي هو من لا يتوافر له المستوى اللائق للمعيشة بحسب الزمان والمكان ، وباصطلاح الفكر الاقتصادي الإسلامي ، هو من لا يتوافر له «حد الكفاية» ، أو «حد الغنى» ، لا «حد الكفاف» .

واصطلاح «حد الكفاية» ، أو «حد الغنى» وإن لم يرد صراحة في أحد نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية ، إلا أنه يستفاد من روح هذه النصوص . وقد ورد صراحة في تعبيرات أئمة الإسلام ، وكذا في مختلف كتب الفقه القديمة ، لا سيما بمناسبة بحث الزكاة . فيقول الخليفة الثاني **عمر بن الخطاب** : «**إذا أعطيتم فاغنوا**»[1] ، ويقول الخليفة الرابع **علي بن أبي طالب** : «إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر **ما يكفي** فقراءهم»[2] . ويقول **الإمام الماردوي** في الأحكام السلطانية : «فيدفع إلى الفقير والمسكين من الزكاة ما يخرج به من اسم



الفقر والمسكنة إلى أدنى **مراتب الغنى** »[٣]، كما يقول : « تقدير العطاء **معتبر بالكفاية** »[٤]. ويقول الإمام **السرخسي** في كتابه (المبسوط) :

« وعلى الإمام أن يتقي الله في صرف الأموال إلى المصارف ، فلا يدع فقيراً إلا أعطاه من الصدقات ، حتى **يغنيه وعياله** ، وإن احتاج بعض المسلمين ، وليس في بيت المال من الصدقات شيء أعطى الإمام ما يحتاجون إليه من بيت المال »[٥]. ويقول الإمام **الشاطبي** في (الموافقات) : « الكفاية تختلف باختلاف الساعات والأحوال »[٦]. وقد جرى المثل العربي (صيانة **النفس في** كفايتها) .

ونخلص مما تقدم ، أن المشكلة الاقتصادية في الفكر الإسلامي هي عدم توافر حد الكفاية لكل فرد ، أي المستوى اللائق للمعيشة ، مما يختلف باختلاف الزمان والمكان ، لا مجرد حد الكفاف واستيفاء الضروريات الأساسية للحياة . ومن ثم كان الحل الإسلامي لمشكلة الفقر هو ضمان حد الكفاية لكل فرد يوفره لنفسه بعمله وجهده ، فإن لم يستطع ذلك لسبب خارج عن إرادته كمرض أو عجز أو تعطل .. إلخ ، تكفلت له بذلك الدولة من مال الزكاة ، ويعتبر ذلك « حق مقدس لكل فرد كإنسان » ، أياً كانت ديانته ، وأياً كانت جنسيته ، طالما تواجد ذلك الفرد في مجتمع إسلامي . بل هو شرعاً حق الله ، الذي يعلو فوق كل الحقوق ، وفي إنكاره أو إغفاله إنكار للدين نفسه لقوله تعالى ﴿ **أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين** ﴾[٧]، وقوله عليه الصلاة والسلام : « من ترك ديناً أو ضياعاً ـ أي أولاداً صغاراً ضائعين لا مال لهم ـ فإلي وعلي »[٨].

وهو ما عبّر عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، بقوله : « ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه »[٩]. وعبّر عنه السلف بقولهم : « السلطان ولي من لا ولي له »[١٠].

تصور الإسلام لسبب المشكلة الاقتصادية وموقفه منها

ولقد كان للإسلام تشخيص معيّن وتصور خاص ، لسبب المشكلة الاقتصادية يختلف عن التصور والتشخيص الرأسمالي والاشتراكي ، وبالتالي اختلفت الحلول والمواقف مما نبيّنه فيما يلي :

١ ـ في الفكر الرأسمالي :

سبب المشكلة الاقتصادية هم الفقراء أنفسهم ، سواء لكسلهم أو لسوء حظهم بشح الطبيعة أو قلة الموارد ، فقضية الفقر هي أساساً **قضية قلة إنتاج** .

وقد رتبوا على ذلك أن على الدولة أن تبيح الحرية المطلقة للجميع ، لينتجوا ويكسبوا ويغتنوا دون قيد أو شرط . وإن على من خانه الحظ أن يرضى بواقعه ، فهو نصيبه وقسم الله له .

٢ ـ وفي الفكر الاشتراكي :

سبب المشكلة الاقتصادية هم الأغنياء أنفسهم باستئثارهم دون الأغلبية الكادحة لخيرات المجتمع ، وبالتالي نشوء التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع ، فقضية الفقر هي أساساً **قضية سوء توزيع** .

وقد رتبوا على ذلك نظراتهم في الصراع بين الطبقات ، والتركيز على





تغيير أشكال الإنتاج بتصفية الملكية الخاصة والقضاء على الأغنياء البورجوازيين بحسب تعبيرهم .

٣ ــ أما الفكر الإسلامي :

فمرد المشكلة ليس هو **الفقر أو قلة الموارد** ، كما ذهب التصور الرأسمالي . كما أنه ليس سببها هو **الأغنياء أو التناقض** بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع ، كما ذهب التصور الاشتراكي . وإنما هي **أولا** مشكلة القصور في استغلال الموارد الطبيعية لا قلة هذه الموارد ، وهذا ما عبّرت عنه الآية الكريمة **﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفّار ﴾**[11] . وهي **ثانياً** مشكلة إثرة الأغنياء وسوء التوزيع لا الملكية الخاصة ذاتها ، وهو ما عبّرت عنه الآية الكريمة **﴿ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في ضلال مبين ﴾**[12] . وقد أثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ما جاع فقير إلا بما شبع غني » ، وعن السلف الصالح : « ما من سرف إلا وبجواره حق مضيع » . **فمشكلة الفقر في التصور الإسلامي هي في محصلتها النهائية مشكلة الإنسان نفسه ، وفساد نظامه الاقتصادي سواء من حيث ضعف الإنتاج أو سوء التوزيع .**

وقد رتّب الإسلام على ذلك ضرورة تنمية الإنتاج مع عدالة التوزيع ، وأن أحدهما لا يغني عن الآخر ، فوفرة الإنتاج مع سوء التوزيع هو احتكار واستغلال لا يسلم به الإسلام ، كما أن عدالة التوزيع دون إنتاج كاف هو توزيع للفقر والبؤس ، مما يرفضه الإسلام . فالمشكلة الاقتصادية في الإسلام **ذات صفة خاصة مزدوجة** ، أو هي كالعملة ذات وجهين : أحدهما يتعلق بوفرة الإنتاج ، وثانيهما يتعلق بعدالة التوزيع ، على أن ذلك لا يمنع الباحث في الاقتصاد الإسلامي من التركيز على أحد الوجهين بحسب ظروف بلده ومجتمعه ، فيرى مشكلة الفقر في إحدى الدول أو المجتمعات الإسلامية ، هي مشكلة إنتاج وتنمية أكثر منها مشكلة توزيع وعدالة ، بينما يراها في دولة أو مجتمع إسلامي آخر هي مشكلة توزيع وعدالة أكثر منها تنمية وإنتاج . ولا يؤدي به ذلك أن يكون متبعاً في الحالة الأولى الفكر الاقتصادي الرأسمالي ، أو أن يكون متبعاً في الحالة الثانية الفكر الاقتصادي الاشتراكي ، طالما هو لا يساير في الأساس الفكرين الوضعيين في تصور المشكلة الاقتصادية ، كما أنه لا يتفق معهما في كيفية حلها .

كذلك ثمة أمر هام يرتبه الإسلام في حله للمشكلة الاقتصادية ، فهو لا يقف بالنسبة للفقراء موقف الإثرة واللامبالاة ، شأن الفكر الاقتصادي الرأسمالي . كما أنه لا يقف بالنسبة للأغنياء موقف الكراهية وتغذية الصراع ضدهم ، شأن الفكر الاقتصادي الاشتراكي . وإنما هو يعمل على التقريب بين الفئتين ، وبالتالي إحلال التعاون والتكامل بينهما ، لا التناقض والصراع . **ثم هو في النهاية ، وعلى خلاف كافة المذاهب الوضعية ، لا يستهدف من حرصه الشديد على تنمية الإنتاج وعدالة التوزيع ، مجرد تحقيق الرخاء المادي ، أو الجانب الاقتصادي ، وإنما هو يستهدف** أساساً الجانب الروحي والخلقي ، وبعبارة مختصرة ، يستهدف الإسلام إعلاء كلمة الله ، بحيث يكون الجميع بحق خلفاء الله في أرضه ، يبغون وجهه ورضاه والعبودية له تعالى ، لا شياطين تتصارع تبتغي وجه الطاغوت والعبودية للمادة . . والله الموفق .

الهوامش

(١) ابن حزم : المحلى ، طبعة دار الاتحاد العربي للطباعة بالقاهرة ، الجزء السادس ، ص ٢٢١ من طبعة سنة ١٩٦٨م .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر سنة ١٩٦٦م ، ص ١٢٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٥) السرخسي : المبسوط ، مطبعة دار السعادة سنة ١٣٨٧هـ ، الجزء الثالث ، ص ١٨ .

(٦) الشاطبي : الموافقات ، المطبعة السلفية في مصر سنة ١٣٤١هـ ، الجزء الأول ، ص ١٠٤ .

(٧) سورة الماعون ، الآيات ١ ــ ٣ .

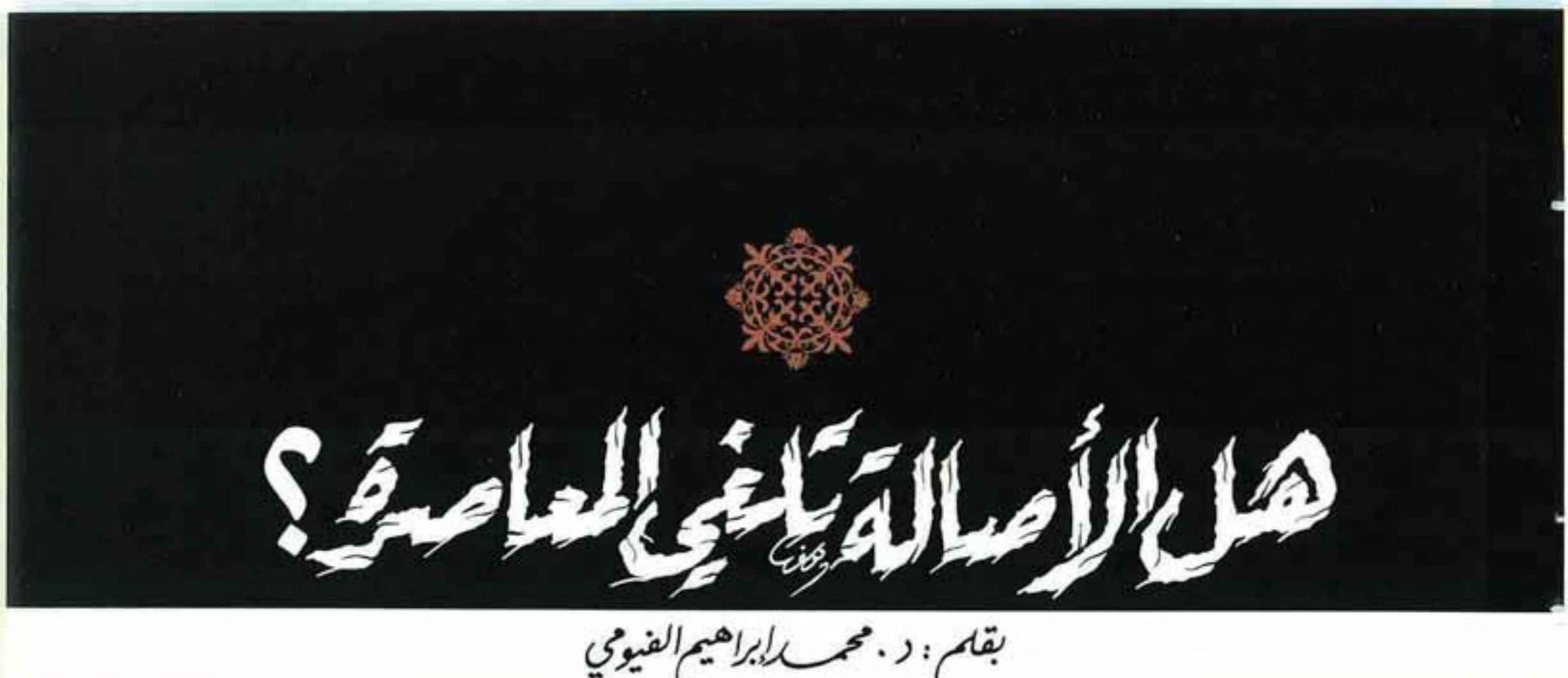
(٨) رواه الشيخان .

(٩) الشريف الرضي : نهج البلاغة ، دار المعرفة للطبع والنشر ببيروت ، طبعة بدون تاريخ ، ص ١٠١ .

(١٠) المستدرك على الصحيحين في الحديث ، للإمام محمد النيسابوري المعروف بالحاكم ، الناشر مكتبة النصر الحديث بالرياض ، الجزء الثاني ، ص ١٦٨ .

(١١) سورة إبراهيم ، الآية ٣٤ .

(١٢) سورة يس ، الآية ٤٧ .



بقلم: د. محمد ابراهيم الفيومي

... تردد سؤال في دوائر الفكر الإنساني عن العرب وتاريخهم.. هل قدّم العرب المسلمون الأوائل للحضارة الإنسانية عطاء يستحق من المرء أن يقف عنده؟، أم أنّ هؤلاء البدو الذين انطلقوا من الجزيرة العربية.. ما عرفوا النور لو لم تكن لهم تلك المماحكات مع الفكر اليوناني: فلسفة.. ورياضة.. وعلوماً..؟.

ما بال أولئك.. يحاولون التجريح لحضارتنا تارة.. ولفكرنا طوراً.. ولتطلعات أمتنا مرة أخرى، ترى من ينكر علينا أننا هضمنا الفكر الإنساني، وأضفنا إليه جديداً في كل شيء؟.

ثمة أكاذيب كبرى في التاريخ.. ولكن عطاء أمتنا العربية المسلمة كان حقيقة.

وفي تلك هوية الإنسان العربي، وهوية انتمائه إلى تاريخه، وإذا لم يمتلك هذا الإنسان هوية الانتماء التي تميّزه عن الآخرين.. فجدير به أن يكون عرضة للضياع والتمزق والقلق، ثم إلى السقوط في مهب التيارات العاصفة، تقذف به كيفما تشاء نتيجة حتمية لهذا التمزق.

ونحن الأمة العربية المسلمة، لا يليق بنا إلا أن نصل أسباب تقدمنا بأسباب أصولنا المعرفية والفكرية على ألا يتحول هذا الموروث العظيم إلى «صنم» نتحجر أمامه... أو نحرق البخور له.. جامدين في أماكننا لا نريم.. فالتراث حركة متجددة مشعة ومضيئة في الأجيال إذا أردنا ذلك.

من هنا يطرح هذا البحث قضية أساسية ومركزية تواجه الإنسان المعاصر، ولا سيما بعد النقلة الحضارية التي طرأت على المستويات والصعد: **الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية**.. هذه القضية هي العودة إلى «**الأصالة**» كنوع من أشد أنواع الانتماء الإنساني.

على أنه في المقابل، تقف مسألة «**المعاصرة**»، ومواجهة العصر والحداثة التي تغزو حياتنا اليومية.

فهل نحن حقاً معاصرون؟ بمقدار ما نحن منتمون إلى أصالتنا؟ أم ننطلق من فراغ؟.. وهل تعني المعاصرة أن ندخل العصر مجردين من تراثنا العربي والإسلامي؟. وهل تعني العودة إلى التراث التشبث بكل الموروث الحضاري؟ ترى كيف نعود إلى هذا التراث؟.

هل هي عودة المأخوذ المستلب؟ أم عودة المتسائل الطارح قلقه، والباحث بين تضاعيف هذا التراث عن أسئلة شافية لأدواء هذا العصر؟.

هل نأخذ كل ما ورد في هذا التراث؟ أم هي عودة انتقائية؟.

القضية.. والتطرف

يتطرف البعض ويقول: علينا أن نرفض كل ما ورد في التراث.. بدعوى أننا حين ندخل العصر، لا بد لنا أن نندمج معه، فنطرح جانباً كل ما يشدنا إلى الماضي، ونقوم بعملية التهوية الكاملة.

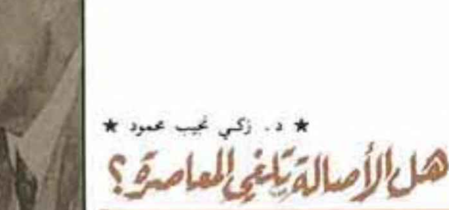
والبعض الآخر يتطرف فيقول:

... لا.. علينا أن نرفض المعاصرة جلة وتفصيلاً، لأنها نوع من الاستلاب الحضاري بمعطيات الغرب.. وعلينا أن نتمسك بتراثنا ولندخل هكذا؟.. وهناك من يقف بين هؤلاء وهؤلاء.

لذلك علينا أن نبدأ بالتعريف.. ماذا تعني «**المعاصرة**»، و«**الحداثة**»، ومفهوم **التراث والأصالة**؟... لا شك أن قضية الأصالة طرحت مقابل دعوتين:

الدعوة إلى التراث فقط، أو التحديث فقط، ولكل من هاتين الدعوتين أنصار، غير أننا لا ندخل في التفاصيل، كي لا يرهقنا الجري وراء





★ هنري كوربان ★

★ د. زكي نجيب محمود ★

هل الأصالة تلغي المعاصرة؟

الدفاع بمقدار ما نريد أن ندخل في أصل القضية، وهو أن الذين يدعون إلى المعاصرة يؤمنون بالولاء الغربي بمعنى الانتماء إلى الاتجاهات الغربية بكل أصنافها. كذلك الذين يدعون إلى التراث مبالغون، لأن الإنسان لا يستطيع مطلقاً أن يكون معاصراً وهو يعيش في ضمير الماضي. هذا هو الصراع الحقيقي، كذلك الذين يدعون إلى المعاصرة يبالغون، لأنهم يتصورون أننا نشأنا من فراغ. هذا، من شأنه أن يؤدي إلى توتر بين الطرفين، الأمر الذي يرتب على هاتين الدعوتين فواصل أقيم بناؤها على كثير من التنابذ.

فمثلاً الذين يدعون إلى التراث، يصمون أهل المعاصرة بألقاب التقدمية واليسارية، وكذلك هؤلاء يصمون الذين يدعون إلى التراث بألقاب أخرى كالرجعية، والتزمت.

ولكن لو أردنا أن نفصل بين هؤلاء وهؤلاء، فإننا نجد من يدعو إلى المعاصرة منبتاً عن الماضي موصولا بحاضره فقط، والذي يدعو إلى التراث نجده كذلك منبتاً عن العصر موصولا بماضيه.

فكلاهما منقطع عما يدعو إليه، والمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.. هناك من يرى أن القول **بالوسطية** هو المخرج الوحيد من الطريق المسدود، وكما يقولون نتجنب بذلك سوء الفهم. وحين نطرح القول بالوسطية للمناقشة، بمعنى أن نأخذ من التراث شيئاً، ومن المعاصرة شيئاً عن طريق الانتقاء، سنجد أنفسنا أمام مشكلة البحث عن معيار الانتقاء، **بمعنى على أي معيار أخذنا هذا من التراث وتركنا ذاك؟، وأخذنا هذا وتركنا ذاك من المعاصرة؟**. سوف نقع مرة ثانية في دائرة اختلاف مليء بالتعصب حول المعيار الفاصل بين الصالح من التراث أو المعاصرة، ولا سيما أن هناك أنصاراً للمعاصرة سوف يبالغون في معيارهم؟ وأنصار التراث سوف يبالغون كذلك في معيارهم، فندخل بسبب ذلك في دوامة حول استفهامات قد تنهك العقل، **وإذن فليست ثمة دعوة للوسطية.**

وإنما دعونا نستجيب لطبيعة الإنسان والأشياء لفرض قوانينها، ذلك لأن ثمة اختلافاً بين حضارتين: **الحضارة الأوروبية** تأخذ قوتها من المعاصرة فقط مهملة بقية جوانب الروح، أما **الحضارة العربية الإسلامية**، فتستمد قوتها من المواءمة بين حاجات الروح وحاجات الحياة. هنا يظهر الاختلاف، **فلنستجب إلى أصالتنا الإسلامية**.. إذن لنرتد إلى **الأصالة** لنأخذ منها قوة متجددة.

ومن **المعاصرة**: الحركة والتوظيف لكل الممارسات الحضارية.. تراثنا العربي الإسلامي كان ممارسة وحضارة ولم يكن ذكريات فقط، ولكي يعيش الإنسان معاصراً لعصره، فلا بد أن يمتد إلى آفاق الماضي، كي يستطيع أن يأخذ برنامجه، أو أن يوظف معالم حضارته القديمة في الحضارة المعاصرة. فالتراث والمعاصرة وجهان لعملة واحدة، **لذلك ندعو إلى التفاعل بينهما بكل ما تعني كلمة التفاعل من آفاق.**

الانتماء.. والولاء

من هنا نطرح هذه القضية من خلال الحركة الدؤوب بين القديم والحديث وهي: مسألة الانتماء والولاء. فلا يمكن إذن، أن نبدأ من فراغ، ولا سيما إذا أخذنا في الاعتبار، أن الحركة الأوروبية لم تدع أنها بدأت من فراغ، وإنما أخذت ما ينفعها من اللاتينية والإغريقية والإسلامية، حتى استوت مقوماتها من خلال ارتدادها إلى الماضي بحثاً عن التجربة ومقوماتها المنهجية منذ تاريخها.

فحين نذهب إلى أي بلد أوروبي، نجد الإيطالي في فرنسا يستعمل سيارة إيطالية، والفرنسي في إيطاليا يستعمل سيارة فرنسية، وذلك لأنه يعتز بطابع تكنولوجيته الخاص، حتى السيارة فهي متميزة في إيطاليا، أو في فرنسا للمحافظة على التميز الحضاري وانتمائه. **أما نحن، عن أسف لا نكاد نتلمس هويتنا الحضارية وتميزنا العظيم.**

وأنا أعتقد أننا إذا تمسكنا بفكرنا العربي ولغتنا العربية، نستطيع أن نحقق ولاءنا لأصالتنا. إننا نقف حيارى أمام المعاصرة، لأنها تجعلنا نعاني أزمة أمام تراثنا، فالإنسان العربي غير متفاعل بالشكل المطلوب مع حضارته سواء من حيث التفكير أو اللغة، ولها نسوق مثالا هو موقفنا من لغتنا، فنحن نتحدث بلغة: لهجة دارجة، ونكتب ونقرأ في مدارسنا بلغة عربية، ولا نجد لها استعمالا في الحياة المعاشة، وحياتنا التكنولوجية ليست من اللغة التي نتفاهم بها أو نكتبها، إنما هي لغة غربية: إنجليزية أو فرنسية.. إلخ.

فهنا نقطة أساسية هي أن اللغة العربية لا نجدها على ألسنتنا في الممارسة العامة، بل نتحدث بلهجات محلية.

على أني أعتقد أن اللغة العربية ليست عاجزة إطلاقاً عن مواكبة العصر، فاللغة صالحة، وإنما العجز كامن فينا نحن.

وكذلك نضع أمامنا ما يمكن أن نطلق عليه **«متغيرات العصر»** تحملها كتب ونظريات تجاوزها الزمن وألغاها، وأبطل ما جاء بها، إما باكتشاف حقائق أكثر صحة ودقة، أو بتخطي ما جاء فيها.. فهناك ضرورة لغربلة وانتخال التراث، فنبعث المضيء والمشرق منه، ونطرح ما كانت دعوته إلى الانحطاط والاضمحلال، وذلك لا يتم بشكل بنّاء إلا إذا ألفنا بيننا وبين تراثنا حواراً إيجابياً، فلا نتركه عرضة لتراكم غبار الزمن عليه، كما لا يمكن أن نعتمده كله. **كيف يكون مقبولا أن نأخذ بكتب ونظريات بعض الجغرافيين العرب الأوائل مع ما ثبت الآن أن هناك حقائق علمية تناقض ما قالوا به؟.**

... وهناك كتب لابن سينا،



★ جلال العشري ★



★ أرسطو ★

والزهراوي، وجابر بن حيان، اعتبرت إلى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، كتباً معتمدة في التدريس، ولكن الآن ومع تقدم الاكتشافات العلمية على كل صعيد صارت نظريات متواضعة، فلا يمكن التشبث بها إلا لكونها تشكل تراثنا.

والآن ومع تقاصر المسافات، وتكاثر وسائل الاتصال وسرعتها، أصبح التراث الإنساني العام تراثاً للجميع. وكما يقال ليست المعرفة مقتصرة على وطن أو أمة.

فأنا أفهم المعاصرة على أنها منهاج وليست انتقاء من هذا لذاك، ومن ذاك لهذا. إذ كيف أنتقي وأنا لست محكماً على القديم.. بمعنى لا ينبغي أن أعطي نفسي لكوني معاصراً حق الحكم على القديم بأن هذا يتفق مع العصر وهذا لا يتفق، لأن الإنسان الذي يمنح نفسه هذه السلطة ما زال غير متلائم مع عصره، وغير متلائم مع الماضي.

أما حين تكون المعاصرة منهاجاً، فهو الذي يحدد لي ما هو المطلوب من التراث وفق المكتشفات العلمية. هذا كله فيما ليس داخلاً في الثوابت منه.

الانتقاء.. والاختيار

... ومن الذين اعتمدوا منهج الانتقاء والاختيار مع احترامنا وتقديرنا له **الدكتور زكي نجيب محمود**، حين ألّف كتابه **(تجديد الفكر العربي)**.. حمل قلمه وأراد أن يجدد في الفكر - طبعاً له نظرات قد نوافق على بعضها ونختلف معه على بعضها الآخر -، وهذا شأن الإنسان مع كل فكر. لكننا نأخذ عليه، أنه حين أراد بيان وجهة نظره في الفلسفة الإسلامية، اعتمد على كتاب **(هنري كوربان)**، في الفلسفة الإسلامية وهو مترجم إلى العربية، وكان عليه الرجوع إلى مصادر الفلسفة الإسلامية ذاتها، ثم يردف برأي **«هنري كوربان»** ما دام يريد الحكم على التراث فبحثه يقتضيه الرجوع إلى المصادر، ولا شك أن نظرة الانتقاء تعني بشكل جوهري: **الأخذ والترك**، وما أتركه يلزمني الحكم عليه واضطهاده، وما آخذه يجب عليّ أن أتعمق داخله، وفي هذا عنت شديد. **فالتناقض في الواقع ليس في التراث، ولا في المعاصرة، وإنما في فكر الإنسان المعاصر، فهو لا يعيش حضارته إلا بقدر ما يستهلك منها.. بمعنى أنه لا يدخل بعقله في آفاق المخابر، ولا في آفاق التجارب العلمية، وغير مشارك كذلك في التنظير العلمي.**

هو يعيش حياته قلقاً مشدوهاً بالحاضر غير واع لتاريخه الذي مارسه.. **إنه الإسلام الذي قلب حياة ذلك البدوي، لينشر في الآفاق حضارة ومعرفة، وجادل الفكر الوثني وصرعه وانتصر عليه، لا نظن أنه مهما كتب أعداؤه ضده سوف ينالون منه. فالإسلام دين الحياة ودين الممارسة.** فأنا لا أقول بالوسطية بين التراث والمعاصرة، وإنما أقول: إن الحكم التقويمي بالمعقول أو اللامعقول، يحدده العصر نفسه، بمعنى أنه ثمة قضايا إذا تجاوزت تاريخها وأصبح ليس لها نظير معاصر فهي متطلب عصري، وربما كانت الأهواء الشخصية قد أدرجتها في أعداد الآراء غير المعقولة.

... فآراء **ابن ماجه** هي من التراث، أرى أنها تحمل كياناً فكرياً جديراً بالمناقشة، لأنه يتصور وجود **مدينة فاضلة** يعيش فيها الإنسان، وأنا قد لا أتجاوب مع آرائه وأتخيل أنها عديمة الفائدة.. والواقع أنني أستفيد منه دراسة المنحنيات الفكرية التي تربط المفكر بعصره أو تفصله.. وتثير في الذهن أسئلة منها: **لماذا يهرب المفكر من عصره إلى مدينة يتخيلها يعيش فيها متوهماً أنها كنف السعادة؟.**

مثل هذه الاستفهامات ضرورية، لأنني محتاج إلى بناء فكري متكامل، أحتاج إلى البناء الخيالي والعقلي، ومتى عاش الإنسان بعقله فقط؟، **وهذا هو معنى المنهج، فالتراث مهم، لأنه يعطينا منهجاً إصلاحياً لحاضرنا. ويزداد هذا المنهج الإصلاحي تفاعلاً مع رواد الإصلاح بفضل مقررات قواعد القياس، والاستحسان، وسد الذرائع.**

مثل هذه القواعد، لم توضع عبثاً، وإنما هو جهد إنساني وضعه أسلافنا ليواكبوا بين الإسلام وحاجات العصر.. وعندما كنت أدرس في فرنسا، وجدت تراثنا العربي والإسلامي مفهرساً فهرسة جيدة، ومعنى به عناية شديدة ازددت به زهواً، وأنا غريب في ديار الفرنسيين، ووجدت فيه ذاتي، **فهلا ننهض بجمع تراثنا دراسة وتبويباً ولدينا الإمكانات والحمد لله، بعبء تبعته.. ومن أجل أن يستقيم المنهج، فلا بد أن تزدهر روح النقد والتحليل، وإلا أعطينا الحقيقة والكذب نفس السلطة.**

قال الأستاذ **جلال العشري** في كتابه **«ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة»**، (ص ١١): «ومن هنا كانت ثورة نقّاد الأدب العربي الإسلامي - إلى جوار الأصوليين من الفقهاء، ومتكلمي الإسلام - على معطيات الثقافة اليونانية، سواء في النقد ممثلاً في كتاب الشعر، أو في الفكر كما هو ممثل في كتب المنطق والإلهيات. فهم بعد أن نقلوا كتاب الشعر وهضموه وحذا حذوه بعض النقّاد من أمثال **قدامة بن جعفر**، الذي حاول وضع علم للشعر وعلم للنثر، يقومان على الفروق الشكلية التي مكن لها **أرسطو** بمنطقه في كل ميادين المعرفة، سرعان ما لفظوه ونحوه وأعلنوا تنصلهم منه، سواء في الأدب أو في نقد الأدب، وكل ما بقي من تأثير **أرسطو وقدامة**، ظل واقفاً عند علوم اللغة المختلفة من نحو وبلاغة وعروض، وهذه كما لاحظ الدكتور **مندور** بحق من أدوات النقد، ولكنها ليست إياه، لأن النقد الأدبي نشأ عربياً وظل عربياً صرفاً.



هل الأصالة تلغي المعاصرة؟

★ د . محمد مندور ★

تماماً كما حدث على الصعيد الفلسفي ، عندما انبهر بعض مفكري الإسلام من أمثال **الفارابي وابن سينا وابن رشد** ، انبهروا بمعطيات الفلسفة اليونانية حتى تمثلوها تمثلاً أبعدهم عن جوهر الفكر الإسلامي ، وحقيقة صراعه مع واقع المجتمع في ذلك الحين .

الأمر الذي ترتب عليه ظهور نوع من **الاغتراب الروحي** العميق بين هؤلاء المفكرين بثقافتهم **المشائية** من جهة ، وبين المجتمع العربي بمتطلباته الإسلامية من جهة أخرى ، فكان أن لفظهم المجتمع العربي الإسلامي وأعلن أنهم لا يمثلونه في شيء ، وأنهم دوائر منفصلة تعبّر عن فكرها الشخصي ومزاجها الخاص» .

ونحن نرى ذلك ضرورة من ضرورات المعاصرة كي لا تستولي علينا روح الشك ، فنقذف بقيمنا كما نقذف بالأشياء ، ونتولى عن ماضينا ، وإذا تولى الناس عن الماضي وتراءى لهم غير مؤكد أو غير صحيح ، سحبوا الثقة منه وجرفهم عن الماضي تيار عاصف من الشك في إسلامهم غير مبالين بقيم هؤلاء الأسلاف وماضيهم وتتأرجح أحكامهم :

بين الخطأ في الحكم ، وبين الكذب على الأسلاف . وإذا اهتزت علاقتنا بالماضي ، يحدث ما يماثل الانهيار الشديد في الذاتية والهوية ، وصار الناس لا يرون شيئاً مؤكداً إلا الحاضر . وأما المستقبل فيكون قد انتقل إليه سراب الشك من الماضي .

الإسلام .. والفكر المعاصر

ولا يطول بنا الكلام حول الأصالة والمعاصرة دون أن نعرض للموقف الفكري المعاصر من الإسلام ، لذلك نتجه إلى معالجة هذا السؤال من واقع خطنا الفكري وهو : **ما مشكلتنا مع الإسلام ؟** .. قد تكون نابعة من جهلنا له بالرغم من أننا مسلمون .. لو صدق هذا الاحتمال ، وقد يكون صادقاً .. لو صدق لانحصر حلنا حول كفاح الجهالة وبث المزيد من المعرفة ، وانحينا باللائمة على المؤسسات التعليمية والتربوية ، ونادينا بمزيد من النشاط الثقافي والتعليمي . لكن مشكلتنا مع الإسلام ليست من هذا القبيل ، لأننا نعلم أن المسلم منذ أن يولد يتلق دينه من أبويه عقيدة ، وما ينبغي أن يكون عليه سلوكه ، ويتلقاه في **المسجد** ، ويتعلمه في **المدارس** ، **والجامعات** وفق مناهج الثقافة الإسلامية ، ثم أخيراً تنشره عليه الكتب والمجلات . على أي حال ، هذه وجهة نظر لها أنصارها يدافعون عنها ، وفي سبيل الدفاع عن وجهة نظرهم ، يركزون على تقصير **أجهزة الإعلام** ، وإلقاء التبعية على مؤسسات التعليم ..

أو أن مشكلتنا مع الإسلام هي نوع من اضطراب في العلاقة التي تربط بين المسلم وإسلامه وبين حضارته ، أو بمعنى آخر هي جمود المسلم ، أي عدم تجاوب المسلم مع الإسلام من ناحية ، ومع الحضارة من ناحية أخرى .

وهذا لا نخاله ناتجاً إلا من توهم الخوف على الإسلام من أن تحتويه أو تهزه أو تعصف به تيارات المذاهب الحضارية ، التي تقوم أساساً على نوع من الاعتبار الإنساني ، وتأخذ في اعتبارها قيمة التجربة الإنسانية . ومما لا ريب فيه أننا لو استسلمنا لعقيدة الخوف لوقعنا في نفس المشكلات التي وقعت فيها أوروبا قبيل عصر النهضة ، وتحولنا بالإسلام إلى أن نرفض به المواقف العقلية ، ونتجمد حول مواقف الرفض وتصبح وظيفتنا مع الإسلام هي إلغاء وظيفة العقل الأساسية وهي : الفكر والتفكير مع أن ديننا ليست فيه طاعة سلبية أو معتقدات باطلة .

يبدو أن أغلب الناس تصوروا أن تلك مشكلتهم مع الإسلام ، لذلك رأينا كتابات كثيرة حول المذاهب العقلية الإنسانية والإسلام ، وتصوروا أنهم بذلك أدوا ما عليهم نحو تصورهم لمشكلتنا مع الإسلام . هكذا خيل إليهم ، ولهم أن يتخيلوا ، لكن عليهم أن يعلموا أنهم أبعد الناس فهماً عن قضية التجاوب بين الإسلام والحضارة من جانب ، وأشد مناقضة لأنفسهم أخيراً .

أما عن بعدهم عن فهم قضية التجاوب ، فهم كما يعلمون أن الإسلام منوط بالعقل والتفكير ، وكما يقول العقاد التفكير فريضة إسلامية . وإذا وضح ذلك فلا خوف على الإسلام من العقل وتياراته .

أما عن مناقضتهم لأنفسهم ، فإن منهجهم اقتضاهم مناقشة تيارات العقل الفكرية بنصوص إسلامية ، فلو كان الإسلام ملغياً للعقل ووظيفته ، لأباح المسكرات وكل ما يشله عن يقظته ، ولما وجدنا من بين نصوص الإسلام ما يجادل تيارات العقل الفكرية .

لذلك نقول : إنه لا خوف على الإسلام ، من هذا الجانب ، وليست مشكلتنا معه وفق هذا التصور .

إن مثل هذه الكتابات تصور لنا جبهات غير حقيقية لمشكلتنا مع الإسلام ، كما تشير إلى انقسامات في الأمة الإسلامية في الفكر والتطبيق .

ونحب أن نطيل النظر حول موقفنا الفكري من تلك القضايا ومنهج معالجتها من خلال المؤلفات الدينية والإسلامية ، التي تكثر يوماً بعد يوم وتغري القارئ المثقف عناوينها المختلفة ، ولا يكاد النظر يمتد إليها إلا ويرتد مطمئناً من فيضها الزاخر .

فيضاً يؤذن بازدهار الثقافة الدينية في عالمنا المعاصر ، الذي يتميّز بالحركة غير العاقلة في بعض جوانبه ، وما زالت كثرتها تبعث تساؤلات من عدة جوانب لدى من يحب بحثها كظاهرة تلفت النظر ، منها : **هل هذه الكثرة صادقة النية فيما تكتب ؟ .**

هل هذه الكثرة عالجت موضوعات ترفع من شأن توظيف الإسلام بين الأيديولوجيات المعاصرة ؟ .



★ الفارابي ★



★ ابن رشد ★

هل حاولت الطبقة التي نهضت بالكتابة عن الإسلام أن تبحث عن ضرورة الحوار الفكري كما يفعل مناصرو الأيديولوجيات الأخرى؟.

هل حاول الذين هم أنصع فكراً في الفهم الراشد في الميدان الاجتماعي للإسلام أن يشيروا إلى ما يجب الكتابة فيه؟.

يرسل الخاطر أسئلة بقصد ومن غير قصد، مبعثها السيل الجارف من المؤلفات الإسلامية التي تغمر المكتبات والميدان الثقافي، ومع ذلك ما زلنا في مفترق الطريق **لماذا؟.**

إننا ما زلنا في مسيس الحاجة إلى فهم مشكلتنا، ثم إبرازها لنجمع الدعوة إليها وعليها، **فما المشكلة؟** إذا صدق الأساس النفسي لهذه الأسئلة، فإن الأمر يصبح بحاجة إلى شرح وإبراز النوايا الطيبة للصدق النفسي، كي لا يرى غيرنا أنها من سوء الظن أو مرض الوهم.

إن بعض هذه الكتب تكفل بمحاربة الإلحاد مع أن الإلحاد مشكلة قديمة، وظاهرة تواكب ظاهرة التدين في قوتها. والظاهرة قد تظهر في شكل من الاستهزاء إما تظرفاً وتجدداً، وإما مجوناً وفسوقاً، وإما شكاً ورفضاً للعقائد والمقررات الدينية.

أما الإلحاد في عالمنا المعاصر، فهو شيء غير ذلك.. نراه يظهر في شكل مذهب عقائدي له دعاته ومذاهبه ومؤسساته التي تخدمه.. لهذا التطور في شكل الإلحاد ووسائل الدعوة إليه، نهضت له النهضة الدينية، وكثرت في سبيل مناهضته المؤلفات الدينية، يقول الجاحظ: **«ومن البلاء أن كل إنسان من المسلمين، يرى انه متكلم (من علماء الكلام)، وأنه ليس أحد أحق بمحاجة الملحدين من أحد».**

وتعتبر الدعوة إلى مناهضة الإلحاد: **دعوة الأديان جميعاً: الإسلام والمسيحية واليهودية**، دون تفريق بينها، فمناهضة الإلحاد هدف جميع الأديان السماوية من حيث هي أديان سماوية، فهل نستطيع من وحدة الهدف هذه أن نجعل من مكافحة الإلحاد بشتى ألوانه، دعوة عالمية تتبناها الأديان جميعها، **هل إلى ذلك سبيل؟** إنها دعوة تقتضي توحيد الجهود إن كنا صادقين، ثم بعد ذلك ننظر إلى ما يتميز به الإسلام عنها وهو شمول نظامه:

الديني، والسياسي، والاجتماعي، وذلك ما لم تزعمه الأديان الأخرى لنفسها.

هذه الشمولية التي ينفرد بها الإسلام، تحتم علينا أن ننظر من جديد، حول تقييم موقفنا من النظم الأخرى، التي تعتبر جهداً عقلياً وتراثاً بشرياً وجاءت إلينا من أوسع أبوابها من خلال حركة الكتب، التي قامت تحمل تبعة مناصرة الإسلام مقابل حركة مكافحة الأديان، بينما مكافحة الأديان مواقف غربية وطبيعة في بعض أفراد الإنسان.

ومن وجهة نظرنا، أن الكتاب الإسلاميين الذين حصروا موقفهم الثقافي في الدفاع ضد الماركسية وحدها، قد قصر بهم النظر ـ إن كانوا مؤمنين ـ عن فهم شمولية الإسلام، أو لعب بهم الهوى إن كانوا سياسيين.

أما الذين قصر نظرهم عن فهمهم الصحيح لقضية التجاوب الفكري، الذي رأيناه بحكم بعض مؤلفاتهم، فإنه يظهر عليهم حينما عرضوا لمكافحة الماركسية أنهم أخذوا عليها:

الدعوة إلى التحلل من الدين، ومن قواعد الإيمان الديني أخذوا هذا الجانب بالنقد والرد، ثم وقفوا عند هذا الحد دون أن يمتد نظرهم إلى إبراز نظام الإسلام المتكامل.

وأما الذين لعب بهم الهوى، فهم الذين شايعوا وجهة النظر السياسية التي ترفض التعاون مع روسيا، فراحوا يجندون الإسلام لمكافحة روسيا الشيوعية.

ترى بعد تلك التجربة هل أفادت **كتب مكافحة الإلحاد الماركسي قيمة علمية إلى الإسلام؟، وهل قللت من موجة الإلحاد عند الملحدين؟.**

ربما تكون الإجابة غير مرضية، سواء كانت من جانبي، أم كانت من الجانب الآخر.

... لا شك أن الواقع، معي: أنها كتابات قاصرة غير متكاملة، لأن بعضها خدم السياسة، والبعض الآخر حصر الإسلام على أنه دعوة كالمسيحية واليهودية، إذ هما يفزعان لمحاربة الإلحاد فقط. **أما الإسلام فينشط لمحاربة الإلحاد لإحلال نظامه المتكامل محل أي نظام آخر.**

ثم هل مشكلة الإسلام هي الماركسية؟ أم ماذا؟.

حقيقة مشكلة الإسلام مع الماركسية هي مشكلته مع جميع النظم الأيديولوجية دون تفريق بينها، إذ إنها في نظر الإسلام سواء..

إن النظام الغربي غير النظام الإسلامي.

إن النظام الشيوعي غير النظام الإسلامي.

إنها نظم ترتد إلى الجهد العقلي، ومن الحقائق الثابتة أن الإسلام نظام له ماض تاريخي، وتجربة تطبيقية امتدت إلى مئات من السنين، موفقة كل التوفيق يرى ونرى معه أن له موقفين متلازمين:

موقف ينهض له الإسلام داعياً ضد الإلحاد، وضد الظلم وضد آفات التأخر وداعياً إلى التعاون الثقافي لصالح الإنسانية.

وموقف تطبيقي حين يرعاه المسلم في سلوكه والدولة في نظامها.

إن الإسلام قائم بيننا في حياتنا اليومية، نراه مطبقاً بشعائره بين العالم الإسلامي من صلاة وزكاة



★ الجاحظ ★

وصوم وحج ، هذا الجانب لا يحتاج إلى جهد في الدعوة . . إن الفرد المسلم يقوم بتأدية تلك الشعائر فلا خوف عليه من الإلحاد ، وبالتالي فلا مسؤولية تلحق الأفراد في ذلك ، فمن هنا تصبح مشكلتنا ليست الماركسية وليست الرأسمالية ، **إنما مشكلتنا هي القدرة على توظيف الإسلام والتعاون الثقافي لإبراز نظريته الاجتماعية والسياسية ، وتلك مسؤولية القلم ، وتلك أيضاً مشكلتنا في العالم الإسلامي .**

إننا لسنا في حاجة إلى كثير فلسفة ، بقدر ما نحن في حاجة إلى فقهاء يصوغون نظرية العدل الإسلامي :

العدل الاجتماعي ، والعدل السياسي ، وإلى حكام يرون مع الفقهاء ضرورة التطبيق لنظام الإسلام المتكامل . وإذن فمحاولة حصر الإسلام حول مكافحة الماركسية وحدها ، وتجنيد جهود علمائه حول ذلك فقط ، لعبة تبعتها الدعايات المغرضة ليتوزع ولاء العالم الإسلامي ، وتتبعثر الاتجاهات للوطن العربي ، ويدور الفكر الإسلامي حول مهمات جدلية تدور حول الموضوع ولا تدخل فيه .

بذلك يحاول كل من المعسكرين أن يشغل العالم الثالث الإسلامي عن رسالته ، بينما الإسلام لا يعادي الغرب ويفرح بروسيا ، ولا يعادي روسيا ويفرح بالغرب .

ويمكن أن نقيم علاقاتنا السياسية من غير أن نتأثر بتيارات النظم المختلفة على أسس من النظام الإسلامي إذا حاولنا إحياءه ، **أما تفضيل النظام الشرقي على النظام الغربي ، أو الغربي على الشرقي إذا صح من وجهة النظر الفلسفية ، فإنه ليضر بوحدة العالم الإسلامي ، إذ إنه سوف يقسم العالم الإسلامي إلى قسمين :**

قسم يتبع النظام الشرقي .

وقسم يتبع النظام الغربي .

. . . **ويصبح القسمان معاً من ناحية أخرى متقاعسين عن حمل مسؤولية الإسلام وتطبيقه .**

فلكي لا نقع تحت وطأة الخلافات ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين المعسكرين ، ينبغي على العالم الثالث الإسلامي أن يرصدهما بعمق وأصالة ، حتى لا ينفت تحت وطأة سنابكهما فيتفرق شمله بين المعسكرين الغربي منه والشرقي . فتنقسم رقعة العالم الإسلامي بين المعسكرين وتتفرق أمته بدداً . ثم يجب ذلك على النظام الإسلامي فيشيع من قبل من لا يهمه أمر الإسلام أنه أصبح عديم النفع ، وهذه دعوى يشارك في تقريرها المعسكران معاً ، لمحاولة احتواء العالم الإسلامي بين معسكريهما ، ثم يفرضان نفسهما عليه بإعلان حق الوصاية .

من خلال أيديولوجيتهما وعلى دول الإسلام والعرب أن يبوءوا بوزر ما بينهما من صراع ، ستتكفل الأيام بإظهار شكله الحقيقي الذي سوف يكون من أهم أسباب حرب ماحقة ثالثة .

أما إذا نظر العالم الإسلامي في ذلك بعمق وأصالة ، فإن عليه أن يعيد بعمق ثاقب ، رؤية جديدة تخلق في نفسه وثبة روحية تحيي في نفسه اليقين بنظامه الإسلامي المتكامل ، ويثق به نفسه من الاستسلام للخلافات التي بين المعسكرين .

والعالم الإسلامي بنهضته ووحدته وتطبيقه لنظام الإسلام ، سوف يكون لقمة مسمومة لا يطمع فيها الغربي أو الشرقي . . وبوحدته ستذوب الخلافات بين المعسكرين ، لأن الخلاف بين النظامين لا يأخذ شكل الصراع إلا من أجل احتواء العالم الإسلامي من وجهة النظر الاستراتيجية . . **إذن وحدة العالم الإسلامي واستقلاله بنظامه سوف يقلل من صراع المعسكرين ، ويعود بالإسلام قوة مؤثرة فعالة موجهة ، وتلك هي على الحقيقة مشكلتنا مع التراث والمعاصرة .**

على أي حال ، فإن الحركة الثقافية في المجتمع الإسلامي ، نمت وأصبح لها تميزات لمستويات المدارس الفكرية خصب بها العقل الإسلامي ، كما أصبح الجو الإسلامي مشحوناً بتيارات التراث الفلسفي ، وتيارات الفكر الديني ، ومن التزاوج بين الثقافات الوافدة والأصيلة ، ظهر على المستوى الثقافي سمة في المضمون والشكل ، يعني بعد أن كان المسلم يلم بالفكر الإسلامي فقط ، أصبح يلم أيضاً بتيارات الفلسفة المعاصرة ، إما بقصد الاستفادة ، وإما بقصد الرد والنقد .

وعليه في كلتا الحالتين أن يلم بالفكرين معاً ، كذلك ظهر على المستوى الثقافي قضايا لم تطرح من قبل في الفكر الإسلامي مثل :

١ ـ قضايا المال وتوظيفه في الإسلام .

٢ ـ قضايا السلوك الإنساني والإسلام .

٣ ـ قضايا الاجتهاد وملاحقته بتيارات العصر .

٤ ـ المذاهب المعاصرة وحركة تقييم الإسلام لها .

وبالرغم من عدم الاستقرار الذي ظل ملازماً لدول العالم الإسلامي والعربي من حيث الوجه السياسي والاقتصادي والثقافي وتيارات الغرب الوافدة . فإن الإسلام ظل المركز الثابت لدوائره الثقافية .

ويفيد في هذا المقام أن نشير إلى بطلان القول الذي يرمي الإسلام بالتزمت والجمود . لأن الإسلام رعى شؤون الإنسان الثقافية . ورعى العقل الإنساني حين حفظ عليه حريته . وكفل له شؤون فكره . وعندما يرتقي العقل العربي سوف يكون من أولى مهامه العمل على إيجاد نظرة جامعة إلى مكونات الثقافة في ظل الإسلام .

جهود علماء العرب في دراسة الأصوات اللغوية

بقلم : د. سميح أبو مغلي



★ ابن سينا ★ ★ سيبويه ★

صحيح أن علم الأصوات اللغوية ، بوصفه علماً مستقلاً له مناهج وأصول ، لم يعرف إلا في نهاية القرن الماضي ، وبداية القرن الحاضر ، عندما ازدهرت العلوم اللغوية ، وظهرت مدارس ونظريات بلورت علم اللغة الحديث ، ولكن من المؤكد أن أفكاراً ونظريات في الصوت اللغوي قد جادت بها قرائح علماء اللغات هنا وهناك منذ القديم .

ولقد شهد علماء الغرب لبراعة العرب القدماء ، وتفوقهم في مجال الدراسات الصوتية ، فقد قال برجستراسر : « لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان : العرب والهنود » . وقال فيرث : « لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين : العربية والسنسكريتية » .

والحقيقة أن علماء العرب والمسلمين ، قد أسهموا في هذا المجال منذ وقت مبكر ، ولعل تلك القصة المعروفة عن بداية وضع نظام للتفريق بين حركات الإعراب هي أول إسهامات العرب في الدراسات الصوتية .

ومجمل هذه القصة أن **أبا الأسود الدؤلي** المتوفى سنة ٦٩ هجرية ، عندما تردد في تلبية طلب **زياد بن أبيه** والي البصرة ، في وضع نظام للتمييز بين حركات الإعراب خوفاً على كتاب الله من اللحن والتحريف ، أجلسوا في طريقه رجلاً يقرأ القرآن الكريم بشيء من اللحن ، فقرأ قوله تعالى ﴿ **أن الله بريء من المشركين ورسوله** ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٣) . قرأها بكسر اللام في (رسوله) ، ففزع أبو الأسود الدؤلي وطلب كاتباً ، وأخذ يرشده ويأمره بقوله : « خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد ، فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه ، وإذا كسرتها فانقط واحدة أسفله ، وإذا ضممتها فاجعل النقطة بين يدي الحرف . فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين » (وهو علامة التنوين) .

فمن خلال قصة نقط الشكل هذه ، نرى أبا الأسود يضع أساساً من أساس التفريق بين الحركات المختلفة ، وذلك بالإشارة إلى وضع شفتي المتكلم . ومن المعروف أن تصنيف الحركات في الدرس الصوتي الحديث

جهود علماء العرب في دراسة الأصوات اللغوية

يعتمد ـ فيما يعتمد عليه ـ على هذا الأساس الفسيولوجي ، الذي أدركه أبو الأسود الدؤلي في ذلك الزمن القديم . وبالإضافة إلى ذلك نرى أبا الأسود يهم بوضع علامات ثانوية للشكل ذات أهمية خاصة في نظام الكتابة ، وهو وضع نقطتين علامة للتنوين .

ولا بأس من التأكيد على أن استخلاص الحقائق وتصنيفها ووضع القواعد الخاصة بها عن طريق الملاحظة الذاتية introspection ، أو التجربة الشخصية ، أو الانطباع الذهني الناتج عن هذه التجربة ، يُعدُّ نهجاً سليماً في دراسة الأصوات ، ولم تزل الدراسات الصوتية الحديثة ، تُعدُّ الملاحظة الذاتية بطريق النطق الفعلي ، والاستماع إلى هذا النطق هو الوسيلة الأساسية في البحث الصوتي على كل مستوياته ، وفي كل مراحله . وعلى هذا ، يمكن القول إن الدراسات الصوتية عند العرب ، كانت أجود الأعمال اللغوية من حيث منهج التفكير وطريقة الدراسة .

ومع أن **الخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت ١٧٠ أو ١٧٥ هـ) ، عرض للدراسات الصوتية في مقدمة معجمه ـ العين ـ عرضاً يوحي بأنها لم تكن سوى مقدمة عابرة ، أراد من خلالها الدخول إلى عمله الأصلي ، وهو ترتيب معجمه ـ العين ـ ترتيباً صوتياً ، إلا أنه يُعدُّ رائد الدراسات الصوتية في العربية ، فقد كان أول من وزع الحروف (الأصوات) على مخارجها ، ونسب كل صوت (أو مجموعة) منها إلى حيِّز (مخرج) معيّن من أحياز النطق .

ثم إن الخليل بن أحمد ـ بأذنه الموسيقية المرهفة ـ أدرك العلاقة بين الحركات القصار والحركات الطوال ، وأدرك أنها علاقة في الكم duration لا في الكيف ، وبناء على ذلك ، جعل للفتحة ألفاً صغيرة مضطجعة فوق الحرف ، وللكسرة ياء صغيرة تحته ، وللضمة واواً صغيرة فوقه .

والخليل بن أحمد ، وضع علامات الشدة والسكون وهمزة القطع وهمزة الوصل ، وهذه الرموز والعلامات ، ما كانت توضع إلا بناء على تفكير صوتي وتذوق لقيم الأصوات . ومن نافلة القول أن نذكر بأن اهتماماته الصوتية ، هي التي هدته إلى استنباط بحور الشعر وقواعد الأوزان العروضية .

ثم إن **سيبويه** (ت ١٨٠ هـ) ، أورد بعض القضايا الصوتية في معرض دراسته لظاهرة الإدغام في الصرف ، وظاهرة الإدغام ـ في حقيقة الأمر ـ ظاهرة صوتية صرفية في آن واحد . وقد استغل الدارسون بعد سيبويه دراسة الأصوات في دراسة الإدغام ومشكلاته ، وقد تمكنوا من ربط هذه الظاهرة بالأصوات ربطاً علمياً دقيقاً .

جهود ابن جني

ثم جاء **ابن جني أبو الفتح** (ت ٣٩٢ هـ) ، فاستعمل المصطلح **«علم الأصوات»** في كتابه النفيس **«سر صناعة الإعراب»** ، للدلالة على دراسة الأصوات والبحث في مشكلاتها المختلفة على نحو ما جاء في الدرس الصوتي الحديث . زد على هذا أنه أدرك علاقة هذا العلم بالموسيقى حيث يقول : **«لعلم الأصوات والحروف تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم»** .

واستطاع ابن جني أن يدرك معنى الجهاز النطقي ووظيفته وطبيعته ، فهو يشبِّهه بالناي ، ويوازن بين عملية النطق وما ينتج عنها من أصوات بحركات أصابع اليد على ثقوب الناي . فكما أن هذا التحريك من وضع للأصابع ورفع لها ينتج نغمات مختلفات ، فكذلك أعضاء النطق ، حين تعترض الهواء أو تسمح له بالخروج من هذه النقطة أو تلك . يقول في هذا الشأن : «ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصدائها ، شبه بعضهم الحلق والفم بالناي . فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً ، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة ، وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات ، وسُمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه . فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة» .

ويعقد ابن جني فصلاً خاصاً في كتابه (سر صناعة الإعراب) ، تحت عنوان (**ذوق أصوات الحروف**) ، يشرح فيه كيف نتذوق الحروف (الأصوات) ونحاول نطقها ، ويبيِّن أهم خواص الحروف المختلفة من حيث كيفية مرور الهواء حال النطق ، ويشرح مزايا الأصوات الانفجارية والاحتكاكية والحركات الطويلة والقصيرة .

كما أوضح ابن جني في كتابه هذا العلاقة بين الحركات القصار والحركات الطوال والنسبة بينها ، وقسم مخارج الأصوات العربية ، وقسَّمها إلى ستة عشر مخرجاً بشكل يدل على قوة ملاحظته وذكائه النادر . وقد سمَّى الحركات الطويلة بالمصوتات أو الحروف المصوتة ، وهو بهذا يراعي خاصة مهمة من خواص الحركات عامة ، وهي خاصة قوة الوضوح السمعي so....ity ، وقد تبعه في تسمية الحركات الطويلة **بالمصوتات ابن كمال باشا** من علماء القرن التاسع الهجري ، في شرحه لكتاب «مراح الأرواح» للمولى **شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز** .

كما استعمل ابن جني في كتاب «**الخصائص**» المصطلح (**صامت**) consonant ليعني كل ما ليس حركة أو حرف مد، وتبعه في ذلك كل من ابن كمال باشا **وابن سينا**.

السكاكي والزجاجي وابن سينا

وبعد ذلك، يأتي السكاكي ليدرس في كتابه (**مفتاح العلوم**) الأصوات، ويصنفها من وجهة نظر مختلفة، ثم يختم بحثه الصوتي بإيراد رسم توضيحي لجهاز النطق عند الإنسان، موزعاً الحروف على الأجزاء المختلفة لهذا الجهاز، وهو عمل يدل على إدراك ووعي بقيمة الأصوات، وعلى معرفة دقيقة بمخارج النطق المختلفة للأصوات العربية، وهو عمل عظيم بمقياس ذلك الزمن القديم، الذي تم فيه وضع هذا الرسم البياني التوضيحي.

ثم نرى **الزجاجي** في كتابه (**الجمل**) يتناول الأصوات أيضاً، بوصفها مقدمة لموضوع الإدغام في الصرف، حيث يقول: «فأول ذلك معرفة مخارج الحروف ومراتبها وتقاربها وتباينها ومهموسها ومجهورها وسائر ذلك من أنواعها».

ولقد تفوق الزجاجي على غيره من اللغويين بالتعرض لقواعد الهجاء والإملاء، وهي مسائل تدخل في نطاق علم الأصوات بلا شك.

ثم تأتي (**رسالة ابن سينا في إحداث الأصوات**)، لتفصل في الوصف الفسيولوجي التشريحي لأعضاء النطق.

هذا، وتدخل معظم الدراسات الصوتية عند العرب في إطار ما يعرف في علم اللغة الحديث **بالفونولوجيا**، وهو علم وظائف الأصوات، فقد جاءت تلك الدراسات مركزة على الوحدات الصوتية من صوامت وحركات، وقليلاً ما عرضوا للأحداث الصوتية المادية.

أهداف تعليمية

وكانت للعرب في دراساتهم الصوتية أهداف تعليمية، تتمثل في القصد إلى تجويد النطق وحسن الأداء فيه، وبخاصة فيما يتعلق بأداء القرآن الكريم.

وجاء نظام الكتابة في العربية مبنياً على حقائق صوتية، من حيث وضع رمز واحد مستقل لكل فونيم (وحدة صوتية)، وهذا النظام يتمشى مع إحداث منهج في التفكير الصوتي الذي يهدف - فيما يهدف - إلى تأسيس نظم كتابية للغات خالية من الاضطراب والتعقيد، ومن أهم مميزات هذه النظم، أن تكون على وفق المبدأ المشهور: «رمز واحد لكل فونيم». كما يشير هذا النظام في وضع الأبجدية العربية إلى مدى إدراكهم لطبيعة الأصوات وخواصها، وإلى قدرتهم الفائقة على التمييز بينها بالرغم مما بين بعضها من تشابه كبير، كالتمييز بين السين والصاد، أو الثاء والذال، حيث ينحصر الفرق في الترقيق والتفخيم، أو في الهمس والجهر.

كما استطاع بعضهم أن ينظر في اللهجات ووجوه الاختلاف بينها على أساس ما لاحظوه من فروق صوتية في هذه اللهجات.

وكذلك استطاع علماء البلاغة أن يفيدوا من الدراسات الصوتية إفادة ظاهرة، عندما تكلموا عما سموه (**التلاؤم والتنافر**) بين الحروف، وراحوا يضعون قواعد وقوانين عامة لهذين الضربين من التأليف، حتى يكون الأمر واضحاً أمام المنشئين للكلام نثراً ونظماً. وقد حاول هؤلاء العلماء - على خلاف في مناهجهم - أن يربطوا هاتين الظاهرتين (وغيرهما)، بصفات الأصوات ومخارجها، وما تتسم به من مميِّزات أخرى.

ومن جهود العرب في الأصوات، أيضاً، التوصل إلى رموز لأصوات عربية صرفة، أو رموز تحتاجها اللغة العربية، وهذه الرموز مجموعة في قولهم (ثخذ ضظغ)، وذلك علاوة على ما أدخله علماء العربية على الأبجدية من تعديلات مثل علامات التشكيل والنقط.

ركائز البحث

١ - معجم العين للفراهيدي، تحقيق الدكتور عبد الله درويش، مصر.
٢ - الكتاب لسيبويه.
٣ - سر صناعة الإعراب لابن جني، ج١، تحقيق السقا وزملائه.
٤ - الخصائص لابن جني.
٥ - شرح مراح الأرواح لابن كمال باشا، مطبعة البابي الحلبي ١٩٣٧م.
٦ - تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية لحفني ناصف، ٦٦ - ١٩٧٦م.
٧ - مفتاح العلوم للسكاكي.
٨ - الجمل للزجاجي، تحقيق ابن أبي شنب، ط٢، باريس ١٩٥٧م.
٩ - النكت في إعجاز القرآن للرماني، تحقيق محمد خلف الله أحمد وزغلول سلام.
١٠ - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي.
١١ - المثل السائر لابن الأثير.
١٢ - دراسات في علم اللغة للدكتور كمال بشر، دار المعارف ١٩٧٣م.
١٣ - علم اللغة العام - الأصوات - للدكتور كمال بشر.

سنابل الجنوب

شعر: سعد البواردي

هـُناك .. في الجنوب من لبنانْ
يُولـَدُ الأحرارُ ..
سنابلٌ .. سامقةُ الأطوال ..
والظـّلال ..
حـُمرة الثمارْ ..
من حبـّهـا العظيم
يطـْعـَمُ المساءُ .. والنـّهارْ
من حبـّها العظيم
ينـْزِعِ الكبارُ .. والصـّغارْ

•

هناك .. في الجنوب من لبنانْ
جذوةٌ .. مشبوبةُ الأوارْ
وُقـُودها جماجمٌ من بذْرة التـّتار
وطـُعْمـُها معاولٌ تـُحطـّمُ الأسوارْ
عن الـمذاقِ الحنظليّ ..
اسألوا «كوهين» .. و «العازارْ»

•

هـُناكَ .. في الجنوب من لبنانْ
يزأر الثـّوارْ ..
يثأرُ الثـُّوارْ ..
يُعطونَ للجلاد درساً
في «فصول» .. النار
هـُمْ قرروا صنعاً .. وما
بخلتْ لما صنعوا أقدارْ

•

هـُناكَ .. في الجنوب من لبنانْ
يُولدُ التاريخُ ..
نابضاً .. مُجلـّلاً بالغارْ ..
تهزُّها كلتا يديه
راية «اليرموك» ..
أو «حطـّين» ..
أو «ذي قارْ» ..

•

هـُناكَ .. في الجنوب من لبنانْ
يذرف «اليهودُ» دمعهـم
يُهرقون دمهـُمْ ..
في ذلـّةِ الصـّغار ..
ضريبة .. رهيبة ..
مُثقـَلةُ الأوزارْ ..

•

«سنابل» الجنوب .. إنـّها
«قنابلٌ» من مدفع الثـّوارْ
من قبضة الإصرارْ
تـُعيدُ في لـُحـُونـِها لنا
معزوفة الأحرارْ
من دونها كل الذي
اوحتْ به الأوتارْ
من دونها حناجر
سلاحها الهـُتافُ .. والأشعارْ ..

•

إذا الهـَوانُ شانَ «أمسنا»
فيومُنا أعطى لنا «العطـّارْ»
اريجه في «صُورْ» .. أنفاسُهُ
تـُقبـِّلُ الاحرار في «أنـْصارْ» ..



لقاء العدد

محمد الأخضر عبد القادر السائحي

التراث والإبداع



شهدت الجزائر منذ الاستقلال تنامياً ملحوظاً في النشاط والإنتاج الثقافي والفكري واكبه ظهور رعيل من المفكرين والأدباء والشعراء الذين سجلوا وجوداً بارزاً في ساحة الفكر العربي . ونحاول من خلال لقائنا هذا مع أحد أقطاب الحركة الفكرية في الجزائر أن نتلمس بعض جوانب هذا النشاط وأهم العوائق التي تقف في طريقه ، وعن رأيه في أزمة الفكر والثقافة العربية بصفة عامة .. إنه المفكر محمد الأخضر عبد القادر السائحي .

مسيرة فكر

●● ماذا عن مسيرتكم الفكرية ، وأعمالكم المطبوعة ، واهتماماتكم الحالية .. ؟

● كان القرآن الكريم أول خطواتي في عالم القراءة والكتابة برعاية والدي ، رحمه الله ، في واحة بين مدينتي **(توغرت)** و **(ورقلة)** بالجنوب الشرقي الجزائري .. وما زال القرآن سندي في أدغال الفكر وغاباته المختلفة . ثم انتسبت إلى **(جامع الزيتونة)** بتونس ما بين سنوات ١٩٤٩ م ، و١٩٥٦ م ، في دراسة منتظمة إلى شهادة (التحصيل) . وكانت ثورة التحرير أهم كتاب قرأه الشعب الجزائري في نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٤ م ، (٦ ربيع الأول ١٣٧٤ هـ) ، فهل للشاعر غير طريق شعبه .. ؟

أنهيت دراستي العالية في **كلية الآداب بجامعة الجزائر** بعد الاستقلال دفعة ١٩٦٩ م .

تتمثل حياتي الفكرية في مجموعات شعرية وقصصية وأعمال للمسرح طبع منها حتى الآن :

١ ـ **(مأساة الإنسانية في الجزائر)** محاولة لفهم حركة النضال قبل ثورة أول نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٤ م ، طبعته مكتبة النجاح ـ تونس ١٩٥٧ م .

٢ ـ **(ألوان من الجزائر)** مجموعة شعرية طبعتها الشركة الجزائرية مرازقة وبودواو سنة ١٩٦٨ م ، ثم أعادت طبعها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ١٩٨٢ م .

٣ ـ **(ألحان من قلبي)** مجموعة شعرية طبعتها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع عام ١٩٧١ م ، ثم أعادت طبعها في عام ١٩٨١ م .

٤ ـ **(الكهوف المضيئة)** طبعت عام ١٩٨١ م ، و١٩٨٣ م .

٥ ـ **(واحة الهوى)** طبعت عام ١٩٧٢ م ، و١٩٨٥ م .

٦ ـ **(أغنيات أوراسية)** طبعت عام ١٩٧٩ م .

٧ ـ **(بكاء بلا دموع)** طبعت عام ١٩٨٠ م .

٨ ـ **(من عمق الجرح يا فلسطين)** طبعت عام ١٩٨٢ م .

٩ ـ **(كان الجرح .. وكان يا ما كان)** رواية طبعتها المؤسسة الوطنية للكتاب عام ١٩٨٣ م .

١٠ ـ **(أمدغ)** مجموعة قصصية طبعتها

المؤسسة الوطنية للكتاب عام ١٩٨٤م.

وهناك مساهمات أخرى في أعمال أذكر منها:

١ ــ الإشراف على إنجاز كتاب (**كيف تحررت الجزائر..؟**) الذي أصدرته وزارة الثقافة والإعلام احتفالا بالذكرى الخامسة والعشرين لثورة أول نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٤م ــ وطبعته **الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر ١٩٧٩م**.

٢ ــ إعداد الجزء الأول من كتاب (**نماذج من الشعر الجزائري المعاصر**) أصدرته **مجلة (آمال)** عام ١٩٨٢م.

أما أعمالي التي تنتظر الطبع فهي:

١ ــ (**نوفمبر الصوت والصدى**)، دراسة وتحليل لبعض الأشعار التي كانت صدى للثورة.

٢ ــ (**بكر بن حماد التاهرتي**) شاعر المغرب العربي في القرن الثالث للهجرة.

وهما عملان في دائرة (**الموسوعة التاريخية للشباب**) التي ساهمت بها **وزارة الثقافة والسياحة في احتفالات الذكرى الثلاثين للثورة**.

٣ ــ (**روحي لكم**) تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث.

٤ ــ (**اقرأ كتابك أيها العربي**) مجموعة شعرية ثامنة.

٥ ــ (**نحن الأطفال**) مجموعة أناشيد وأشعار للأطفال والشباب.

٦ ــ (**الشاعر الزنجي وأخواتها**) مجموعة تمثيليات للإذاعة والمسرح.

أما عن اهتماماتي الحالية فهي موزعة في ثلاث شعب:

١ ــ عملي في وزارة الثقافة والسياحة في إطار الاهتمام بالتراث عامة، والتراث المتعلق بالثورة الجزائرية خاصة.

٢ ــ ما تتطلبه مني مسؤوليتي في اتحاد الكتّاب والصحفيين والتراجمة.

٣ ــ مراجعة وتنقيح نصوص مشاريع كتب جديدة في ميادين الشعر والمسرح والتراجم حتى تستوفي شكلها النهائي وتأخذ طريقها إلى النشر بإذن الله قبل نهاية السنة الجارية.

طبعاً إن هذا التقسيم ليس بالضرورة هو الخط اللازب لحياتي، وإنما هي المحاور الأساسية، ففي الغالب أهتم في الفجر بعد صلاح الصبح بكتاباتي ثم تأخذ الصبيحة أعمال الوزارة، وأتفرغ في المساء إلى متطلبات الاتحاد بعد قيلولة لا يحول بيني وبينها إلا أمر هام جدًّا جدًّا.. ولكن يحدث أن يكون العكس بالنسبة للاتحاد والوزارة. هذا كله في الظروف العادية، أما إذا حدث أن كان هناك طارئٌ هام يفرض التفرغ له فإنه يصبح سيد الموقف، من ذلك أنني أنظم وقتي حسب مواعيد مضبوطة إذا لم أكن في فترة إبداع شعري، أما إذا كنت داخل الزمن الشعري فإن المقاييس العادية تختفي تاركة المجال لمقياس واحد هو الانسياق الشعري، فما دامت الكتابة مواتية فإنني أكتب دون أي اعتبار للساعة حتى تستعصي الكتابة أو تكتمل القصيدة، فعند ذلك أتدارك مخططاتي ومواعيدي لأن لحظة الإخصاب الشعري هي لحظة الجنون الواعي التي لا ينبغي تفويت فرصتها ولو على حساب صحتي وأسرتي التي أرجو أن تسمح لي إهمالي لحقوقها أحياناً وسوء معاملتي لأفرادها إبان الكتابة.

●● من هم المفكرون والشعراء الذين قرأتهم أكثر من غيرهم..؟

● إن التراث الأدبي الإسلامي والشعر العربي بجاهليته وعهوده الإسلامية المختلفة عصوراً ورقعاً أرضية هو مخزني الذي لا ينفد، غير أني أريد أن أكون ذلك البدوي الذي يتعامل مع الحضارة بقدر ما تسري فيه عناصر الحب والوفاء والشهامة، **فالحضارة عندي سلوك مطلوب**.. ومطلوب باستمرار. **أما البداوة فهي مرفوضة إلا في جوانبها الأخلاقية**. ونظرة واحدة إلى حافلات نقل المسافرين عندنا وعند الأوروبيين تبين بوضوح أثر الحضارة لديهم وفعل البداوة لدينا.

من هذا المنظور يأتي **الشعر الجاهلي** المنسوب للصعاليك وأشعار **العذريين** وأقطاب الشعر **كبشار بن برد وأبي النواس ومسلم بن الوليد والبحتري والمتنبي والحصري والشريف الرضي وأبي العلاء المعري وبكر بن حماد التاهرتي وابن زيدون وابن حمديس الأندلسي**، في طليعة من تعاملت مع روائع شعرية لهم إن لم أكن قد غصت في دواوينهم غوص البحّار المتيّم بالأصداف بعيدة الغور حتى يحصل على اللؤلؤة النادرة الوجود.

كما شدّني الإمام **أبي حامد الغزالي** في عظمته، وما زلت معجباً حتى الآن بسبقه للزمن واهتدائه إلى أنه يجب (**إحياء علوم الدين**)، وأن الشك والتجربة طريق لليقين، وأنه رفض كل تعاون مع أصحاب النوايا المسبّقة، إذ لا يمكن الوصول معهم إلى نتيجة، فهم الصمّ البكم العمي الذين لا يعقلون.

إن **أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون** يأخذ حيّزاً كبيراً من تفكيري، فهو المفكر الذي ألمس معاناته يومياً في الحياة العربية الإسلامية. إن الرجل الذي كان يبحث عن حلّ لقضايا مجتمعاتنا في القرن الثامن الهجري، أحسّه يتكلم يومياً بداخلي في هذا القرن (الرابع والخامس

عشر للهجرة) ، وأتعجّب كيف أنه منذ سبعة قرون أو أكثر ، قد أشار إلى الدواء الذي لا بد منه لعلاج أمتنا . وحتى قبل أن يطلق الأوروبيون على أعلى مركز للخلافة الإسلامية (**الباب العالي**) نعتهم المشهور (**الرجل المريض**) ، أدرك ابن خلدون أن السلطة مريضة في المجتمعات الإسلامية ، وأنه ينبغي معالجتها معالجة جذرية ، ولكننا إلى الآن لم نفعل بكلامه شيء . وإن ما يحدث الآن في لبنان وفي فلسطين وفي الخليج العربي وفي شاطئ المحيط الأطلسي ليدعو إلى العجب .

كما يمثّل المفكّر الجزائري **مالك بن نبي** رحمه الله بنظريته الاقتصادية الاجتماعية الثقافية و(**شروط النهضة**) المعتمدة على محور (طنجة ـ جاكرتا) مروراً بالقاهرة حجر الزاوية في رؤيتي للصراع بيننا وبين الإمبريالية الغربية المتوحشة مهما قدمت نفسها داخل قفازات من حرير .

يظلّ **الجاحظ وابن رشيق** مصدراً للشموع الفكرية التي تنير سبيلي في المنهج الأدبي وفي تشعبات النقد ، إضافة إلى أدبيات العصر الحديث بصورة لا يمكن معها ذكر الأسماء ، وإنما هناك التيار المشرقي في مصر والشام ولبنان والعراق وخاصة الأدب الفلسطيني .. والتيار المغربي في تونس ومرّاكش والجزائر .

ولا أدعي أنني قرأت كل ما دارت به المطابع ولكنني قرأت قدر الجهد والطاقة ، وإن أهم هواية عندي هي أن أجد كتاباً أنسجم معه ، شعراً أو قصة أو دراسة .

الديمقراطية والإبداع

●● ما رأيكم في أهم المشاكل التي تقف بين المفكّر والإبداع ...؟

● حقّاً إن أشدّ ما يحز في نفس المفكّر ـ شاعراً كان أو ناثراً ـ هو أن يجد نفسه معرقلاً بمشاكل تافهة ، تحول بينه وبين الإبداع .

إن المشكلة رقم واحد ـ في نظري ـ التي تحول بين المبدعين وبين أداء رسالتهم في مجتمعنا العربي الإسلامي هي مشكلة أزمة الديمقراطية .

تأتي بعد مشكلة الديمقراطية مشكلة الأمية بكل أصابع أخطبوطها الفظيع ، **فمحمد صلى الله عليه وسلم** منذ أن تلقّى أول آيات الوحي في **غار حراء** .. ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ .. إلى أن تلق آخر آيات القرآن الكريم ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٣) ، وهو لا يفتأ يعلم المسلمين دينياً وفكرياً وسياسياً وعسكرياً ، الأمر الذي يؤكد التأكيد كلّه بأن أهم رسالات العالم المسلم والمفكر المسلم ، هو أن ينشر من حوله المعرفة في جميع مجالات الحياة . وإذا كان الحد الأدنى لنشر المعرفة نشراً حقيقياً هو أن لا تكون هناك أمية تحول دون الجماهير ودون بلوغ مآرب حياتهم ، وألا تكون هناك أمية ثقافية تجعل الجماهير عرضة للاستلاب والغزو الثقافي والفكري ، خاصة في عصر (الكاسيت) وعصر الإرسال الفضائي ، وألا تكون هناك أمية سياسية تحول بين الناس وبين معرفة حقوقهم الأساسية ، إذ إن ذلك يمثل مشكلة كبرى تقف في وجه المفكر وتجعل إبداعه محدود الفائدة لأنه لا يجد القنوات السليمة للتبليغ .

وكما قال ابن خلدون فإن المغلوب أبداً مولع بالغالب . لذا فإن سيطرة الحضارة الغربية المسيحية تمثّل مشكلة أساسية في طريق المفكر العربي المسلم لأنه مطلوب منه ليس التحدي فقط وإنما تجاوز ما يتحدّاه ، وما دامت الجماهير مخدّرة بسحر الحضارة المسيطرة حالياً فإنّنا كمن يطرق الحديد على البارد بلا علم .

الشعر العربي

●● هل تعتقدون أن العصور الذهبية للشعر العربي قد ولّت .. أم أنه ابن كل العصور ...؟

● إن الشعر العربي الأصيل هو أحد مقوّمات شخصيّة الإنسان العربي ، ولهذا فهو ضرورة ثقافية لكل عصر . وعلى امتداد القرون السبعة عشر الماضية ترسّخت تقاليده وتواصلت حركته في تطور ونمو ، فمن تقعيد القصيدة في الجاهلية إلى **المعلّقات** حتى استقام عمود الشعر وأصبحت له قواعد وأساليب ظلّت متمسكة بهذا العمود إلى أن ظهرت تجديدات **العصر العبّاسي وتوشيحات العهد الأندلسي** . ثم كانت حركة إحيائه في بداية النهضة الحديثة وما تبعها من مدارس : (**أدب المهجر**) ، (**الرابطة القلمية**) ، (**جماعة أبولو**) ، (**جماعة الديوان**) ، (**رابطة القلم الجديد**) ، (**الشعر الحر**) ، كل هذا التطوير والتجديد تم في خط متواصل وكان يعبّ من النبع الأصلي ويضيف ما يستطيعه من قوالب وصور تستجيب لمشاغل العصر ولا تتعارض مع عبقرية اللغة العربية .

أما هذا الذي يدعي بعضهم أنه شرط أساسي للحداثة فإني أرى أنه ليس من الشعر

ولا من النثر في شيء ، بل هو نوع من الهرطقات التي سيرميها النسق العام كما يذهب الغثاء مع الزبد جفاء ليبق ما ينفع الناس ثابتاً مستقرًا شامخاً مثل جميع الأعلام والقمم التي بنت مجد الشعر العربي على أسس متينة ، بنته بجد واجتهاد وتفاعل مع اللغة بوعي وإدراك لأسرارها . أما عبث هؤلاء الذين لا يستطيعون حتى تركيب الجمل المفيدة بلغة البيان والبديع وما إليها من « أسرار البلاغة » التي تجعل البيان العربي يبلغ حد السحر فقد حول الإبداع إلى بدع ومستوردات لا يمكن أن تتوافق مع النسق العربي المبدع حقًّا ، إنها موجة ستنتهي ويظل الشعر العربي عنصراً أساسياً ضرورياً ما دامت الحياة .

التراث .. والمعاصرة

●● كثر الحديث حول نوع من الصراع بين التراث والمعاصرة . هل تعتقدون بوجود مثل هذا الصراع ، وما حقيقة ما يحدث ...؟

● إننا نعيش تحت وطأة الحضارة المادية ، وأهم مقوم لهذه الحضارة هو الوجود المادي ، فكل شيء ينبغي أن يحوّل إلى حركة مادية محسوسة . إن الحلم بجلسة شاي أمام خيمة تحت ضوء القمر على كثيب من الرمل الناعم ، وما تتطلبه من رحلة ومشقة وضيافة ووقت لا أقل من يوم وليلة تحولت إلى تحريك زرّ في جهاز (الفيديو) بعد وضع الكاسيت المطلوب ، وإذا بك تشاهد حلمك بعينيك مجسّداً في واقع حي مع فارق وحيد هو أنك لست أنت المحقّق للحلم وإنما أنت تمتعت بمشاهدة حلمك محقّقاً من قبل ممثلين مختصين على الطريقة الأوروبية والأميريكية وليس بينهما أي فرق جوهري فهدفهما واحد هو إثبات قدرة الحضارة الأوروبية على إشباع أي رغبة تخطر في بالك .

في هذا الإطار يُطرح الصراع بين التراث والمعاصرة ، **وفي رأيي أنه صراع مفتعل** ، وبعبارة أكثر دقة هو صراع مقصود لتهميش التفكير الجدي ، فالقضية ليست جدوى التراث أو جدوى المعاصرة ، لأن الوضع الصحيح للقضية هو مدى مساهمة الإنسان العربي في صنع الحياة بجانبيها التراثي والعصري ، وما دام الإنسان مهمّشاً فإن الجدال سيظل عقيماً لأن المعادلة بين التراث والمعاصرة ليست من المعادلات القابلة للحل ، إنها معادلة توالدية ، فهي باستمرار تخلق رقماً جديداً لا بد من البحث عنه حتى نجد الجذر الصحيح ، والجذر المطلوب هو بكيفية ما الحياة نفسها ، وكل حياة تخلو من أرضية تراثية وهيكل معاصر تفقد طريقها للمستقبل ، أي تهمّش ، ولهذا فإن حل مشكلة الصراع بين أنصار التراث وأنصار المعاصرة ليست في الجدل النظري وإنما يكمن في تغيير المفاهيم ، في العودة إلى أخلاق الأمة المبدعة والقضاء على أخلاق النظم الاستهلاكية .

إن معرفة الحقيقة بشأن ما يحدث في هذا المجال تتطلب عملاً جادًّا ومتواصلاً ، للخروج من دائرة التخلف ، وبكل أسف فإن أكثر الجهود تتجه الآن إلى تكريس التخلف ، لأننا لا نحاول تكوين الإنسان المبدع للمعاصرة وإنما نحن نشتري مظاهر الحياة العصرية ونستهلكها حسب الشروط التي يفرضها أصحابها ، أي بالطريقة التي نظل معها في درجة الاحتياج إلى شيء من هناك . فنحن إلى الآن لم نكوّن معاصرتنا ، وإنما نحن نعيش معاصرة الحضارة الغربية بكل سلبياتها إذا لم أقل بكل صليبيتها .

الأدب الغربي

●● هل طرحت مثل هذه القضايا في الأدب العالمي؟

● بكل تأكيد ، ولكن بصورة صحيحة .. أعني كيف تتفاعل معاصرتهم مع تراثهم ، وكيف يكون التراث مصدر إلهام الإبداعات الجديدة في أطر المعاصرة . إن الأديب الأوروبي لا يخجل من همجية أسلافه البرابرة ، بل يحوّلها إلى بطولة ويشحنها بقيم لم تكن لها أصلاً . ولا أريد أن أضيف أكثر ، فإنني لست ممن يعتزون بما عند الآخرين إلا في حدود الأخوّة البشرية ، ولهذا لم أشر إلى أعلام الأدب والفلسفة خارج إطار الحضارة العربية الإسلامية كجواب عن الشق الثاني من السؤال .

الشعر الجزائري

●● هل يمكن القول بوجود اتجاهات شعرية متميزة في الجزائر .. ومن هم روادها ..؟

● إن الحديث عن الاتجاهات في الشعر الجزائري يقتضي منا الحديث عن الحركة الشعرية الجزائرية في العصر الحديث .

لقد أصدر الشيخ **محمد الهادي السنوسي الزاهري** رحمه الله كتاب **(شعراء الجزائر في العصر الحاضر)** في جزءين ، الأول سنة ١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٦ م ، والثاني سنة ١٣٤٦ هـ ــ ١٩٢٧ م ، قدم فيه ترجمة ونماذج شعرية لواحد وعشرين من الشعراء كانوا يقولون الشعر وقتئذ ، ومنهم من استمر حاملاً لواءه إلى ما بعد استقلال الجزائر مثل

محمد العيد آل خليفة (١٣٢٢ هـ ـ ١٣٩٩ هـ/١٩٠٤ م ـ ١٩٧٩ م) **ومفدي زكريا** (١٣٢٦ هـ ـ ١٣٩٧ هـ/١٩٠٨ م ـ ١٩٧٧ م) رحمهما الله .

ثم ظهرت الجرائد والمجلات مرافقة للحركة الإصلاحية المعتمدة أساساً على تعليم اللغة العربية وتطهير الإسلام من شوائب الطرقية وزندقات الاستعمار فاتجه الراغبون في العلم إلى جامع الزيتونة في تونس **والقرويين في فاس والأزهر بالقاهرة** ، فأعطت هذه الحركة شعراء من أجيال الشباب دعموا طبقة الشيوخ السابقين ومنهم الشعراء : الشهيد **الربيع بوشامة** (١٩١٦ ـ ١٩٥٩ م) والشهيد **عبد الكريم العجون** (١٩١٨ ـ ١٩٥٩ م) رحمهما الله ، والشيخ **أحمد سحنون وعبد الرحمن بن العجون والدكتور عبد الله شريّط ومحمد الصالح رمضان ومحمد الأخضر السائحي**[1] أمدّ الله في أنفاسهم .

ثم جاءت الثورة التحريرية الكبرى وانتشر الشباب الجزائري في جميع الأقطار العربية طلباً للعلم والثقافة وتعبيراً عن عروبة الجزائر التي لم تنسلخ عنها رغم محاولات الاستعمار طيلة قرن ونيّف ، فظهرت مجموعة جديدة من الشعراء الشباب ينهلون من العلم ويرفعون صوت الثورة الجزائرية في منابر الشعر ، ومنهم : **الدكتور صالح خرفي والدكتور أبو القاسم سعد الله والدكتور صالح باوية وأبو القاسم خمار وعمر البرناوي والدكتور التلي بن الشيخ** وعثمان وغيرهم كثير .

انتصرت الثورة الجزائرية وحققت أهدافها الأولى المتمثلة في استرجاع السيادة الجزائرية على التراب الوطني ، وظهرت المدرسة الجزائرية والجامعة الجزائرية ، ودخلنا معركة التعليم من أبوابها الكبرى ، وهكذا ظهر جيل جديد من الشعراء بعد العشرية الأولى للاستقلال ، تلاه جيل ثان في العشرين الثانية والقافلة تسير ، ولكل من هؤلاء ، ولا شك سمات خاصة تجعلهم يمثلون طبقة ، أو يتجمّعون داخل تيار أو اتجاه يستطيع المتتبع أن يلمسه من خلال المجموعات الشعرية ، التي ترمي بها المطابع منذ عشرين سنة .

إن أهم الاتجاهات الواضحة السمات الآن في الحركة الشعرية الجزائرية تتمثل في الاتجاه الوطني والاتجاه الماركسي والاتجاه الإسلامي ، وإن كان الاتجاه الثاني يعلن عن نفسه تحت أسماء التقدمية والثورية وغير ذلك ، فهو لا يجرؤ على إعلان هويّته إلا في حدود ضيقة جدًّا .

هذا من حيث المحتوى ، أما من حيث الشكل فهناك مدرستان في الجزائر : مدرسة المحافظة على عمود الشعر العربي مع تطعيمه بفنّيات القصيدة الجديدة ، أو النسج داخل أطره إبداعات جديدة لا تلتزم بتشدد بحور **الخليل بن أحمد** ولكنها ترتكز عليها في تحليلها للموقف .

ومدرسة الالتزام بالشكل الجديد إلى حدّ الهوس البيروتي بإيجابياته وسلبياته . ولكن المهم هو أن هذه الاتجاهات والمدارس مؤمنة بأن البقاء للأصلح ، ولهذا فهي تتعايش جنباً إلى جنب رغم ما يحدث أحياناً من الخصومات والمشاحنات .

النقد في الجزائر

●● هل يمارس النقد في الجزائر وظيفته لضبط المسارات الفكرية وتوجيهها ..؟

● إن عقدة العقد في الحركة الأدبية الجزائرية ـ ولربما في الوطن العربي كله ـ هو أن الحركة النقدية الجزائرية ما زالت في مرحلة الحبو ، فليس هناك نقد بالمعنى الصحيح وإنما هناك محاولات في الصحافة وفي الدراسات الجامعية ما زالت بعيدة عن المستوى الذي يؤهلها للقيام بوظيفتها الأساسية في غربلة الإنتاجات قبل الوصول إلى مرحلة ضبط المسارات الفكرية وتوجيهها .

النشاط الفكري

●● يلاحظ المتتبع وجود نشاط فكري متنامٍ في الجزائر يتجلى بحركة النشر النشيطة والندوات الثقافية ومعارض الكتب والمحاضرات والملتقيات ، فهل تعتقدون أن هناك تطوراً نوعياً يساير التطور الكمي في النشاط ..؟

● إنني أساهم في هذا النشاط بكل جهدي وطاقتي وليس لي الحق في أن أحكم عليه لأن تلك مهمة المدرسة النقدية التي ما زالت بعيدة عن القيام بواجبها لأنها لم تتوفر بعد شروط وجودها ، ولكن الذي أعتقده أن هذا التراكم الكمي ضروري ، ولا بد منه حتى تتوفر الشروط الأولية للنقد وللتطور النوعي لأن وفرة المادة الأولية هي العامل الأساسي في عملية الغربلة والاختيار والانتقاء وبالتالي الوصول إلى المقارنة والمفاضلة والبحث عن الجيد فالأجود فالممتاز .

التواصل .. بين المشرق والمغرب

●● هل هناك محاولات

جادة التعزيز التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين .. وما هي في رأيكم الفعل السبيل لتحقيق هذا التواصل ..؟

● بكل أسف ليس هناك مثل هذه المحاولات في علمي ، وإنه لمن المؤلم أن يتواصل هذا (التقاطع) بين أبناء الأمة العربية وهم يتكلمون لغة واحدة ، ويصلون إلى قبلة واحدة ، ويحلمون جميعاً بوحدة هذه الأمة العظيمة التي تشتت شعوباً وأنظمة ما بين المحيط الأطلسي والخليج العربي .

إن أقْوَمَ سبيل لجعل التواصل بدل الانقطاع هو النظر إلى الغد النابع من أمس الإسلام في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتقديم التربية والثقافة على جسور بسيطة لا علاقة لها بالسياسة ، والإحساس المشترك بأننا أمة واحدة لها ماض زاخر بالأمجاد ، ولن يكون لها مستقبل إلا في إطار الحلم الكبير ، الذي لا يحققه حاكم وإنما تحققه أمة جمعاء بإذن الله ، كما قال الله عز وجل في سورة الأنبياء ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ صدق الله العظيم ، وبه توفيقي ، وبه أستعين ، وشكري لمجلة « **الفيصل** » على إتاحتها لي هذه الفرصة للحديث إلى قرائها الكرام في أقطار عربية كثيرة .

الهوامش

(١) محمد الأخضر السائحي ، شاعر وأديب جزائري كبير الذي أجرينا معه هذا اللقاء وهو بدوره من أقطاب الحركة الفكرية في الجزائر ، كما تجدر الإشارة إلى قرابة السائحيين فهما أبناء عمومة .



حبيبتي .. رسالة الحزين للحزينه
جريحة ، طعينة .. إليك يا طعينه
يا نسمةً سرت على مرافئ السكينه
يا غنوةً .. من وقعها تراقصت مدينه
مدينة حوت هواك .. أيقظت حنينه

● ● ●

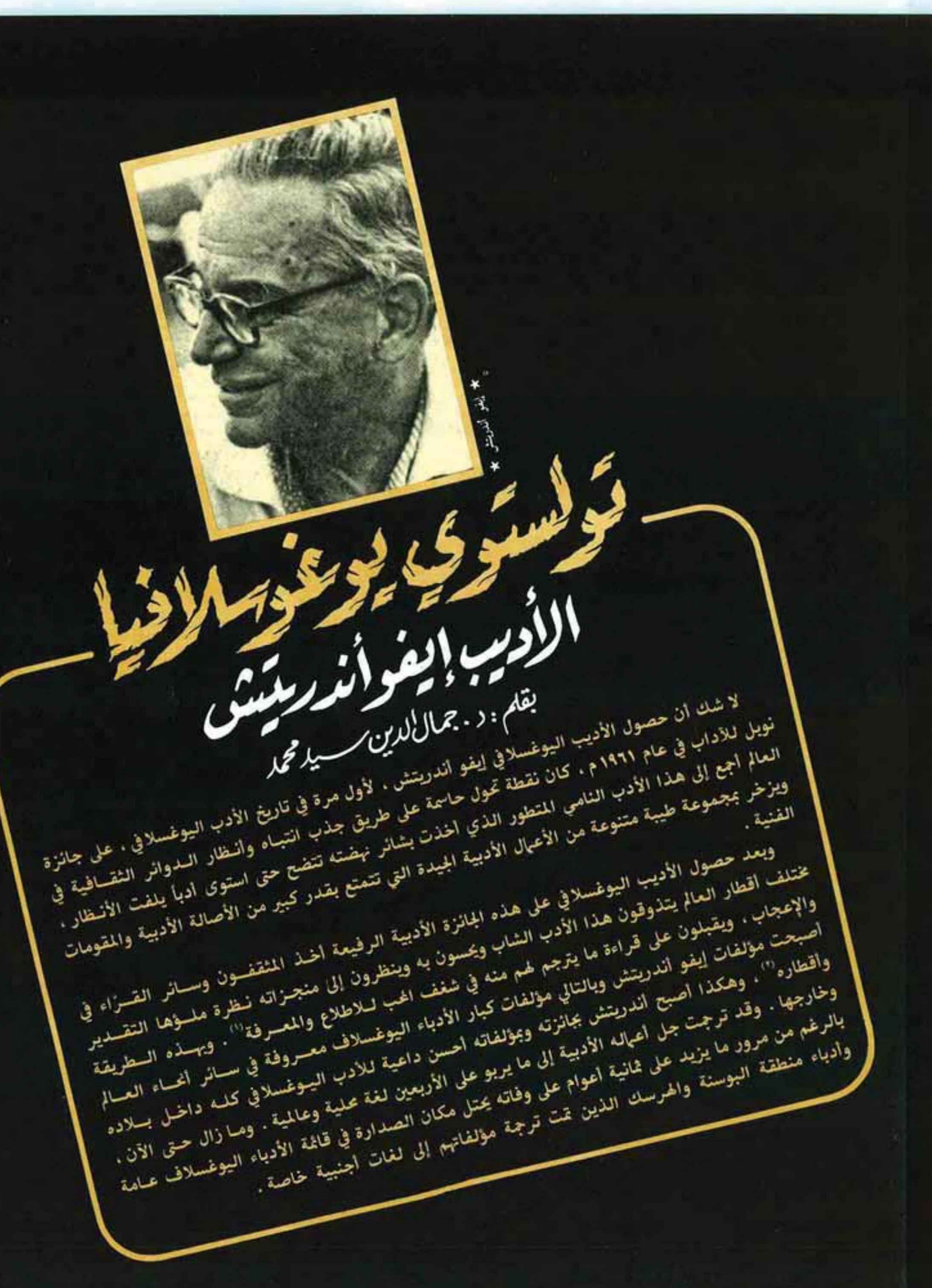
حبيبتي .. إن لفَّكِ المساءُ بالحنين
وغالكِ الظلامُ فوق صخرة السنين
ترفَّقي .. حبيبتي .. بأمسك الحزين
تجلَّدي .. لا تذرفي ما ينشر الظنون
فللظلام مقلة تراقب العيون

● ● ●

لم تعطني السماء ما أريد من ضياع
هل تذكرين لهفتي وحيرة الشراع
لقد هوى محطماً .. وفي غدٍ يباع
وينطوي وجودُنا .. يباع كالمتاع
في عالم ملطخ اللسان والذراع

● ● ●

لو أملك الفداء .. كنت ذلك الفداء
حبيبتي ... لو أقتني مراتعَ الضياء
ما غالك الظلامُ عند صخرة الشقاء
فلتذكري حبيبتي .. إن لَفَّكِ المساء
قلباً يعيش هاهنا .. بمنزل الوفاء



★ إيفو اندريتش ★

تولستوي يوغوسلافيا
الأديب إيفو أندريتش

بقلم : د . جمال الدين سيد محمد

لا شك أن حصول الأديب اليوغسلافي إيفو اندريتش ، لأول مرة في تاريخ الأدب اليوغسلافي ، على جائزة نوبل للآداب في عام ١٩٦١م ، كان نقطة تحول حاسمة على طريق جذب انتباه وأنظار الدوائر الثقافية في العالم اجمع إلى هذا الأدب النامي المتطور الذي اخذت بشائر نهضته تتضح حتى استوى ادباً يلفت الأنظار ، ويزخر بمجموعة طيبة متنوعة من الأعمال الأدبية الجيدة التي تتمتع بقدر كبير من الأصالة الأدبية والمقومات الفنية .

وبعد حصول الأديب اليوغسلافي على هذه الجائزة الأدبية الرفيعة اخذ المثقفون وسائر القرّاء في مختلف اقطار العالم يتذوقون هذا الأدب الشاب ويحسون به وينظرون إلى منجزاته نظرة ملؤها التقدير والإعجاب ، ويقبلون على قراءة ما يترجم لهم منه في شغف المحب للاطلاع والمعرفة[1] . وبهذه الطريقة اصبحت مؤلفات إيفو اندريتش وبالتالي مؤلفات كبار الأدباء اليوغسلاف معروفة في سائر انحاء العالم واقطاره[2] ، وهكذا اصبح اندريتش بجائزته وبمؤلفاته احسن داعية للأدب اليوغسلافي كله داخل بلاده وخارجها . وقد ترجمت جل أعماله الأدبية إلى ما يربو على الأربعين لغة محلية وعالمية . وما زال حتى الآن ، بالرغم من مرور ما يزيد على ثمانية اعوام على وفاته يحتل مكان الصدارة في قائمة الأدباء اليوغسلاف عامة وأدباء منطقة البوسنة والهرسك الذين تمت ترجمة مؤلفاتهم إلى لغات أجنبية خاصة .

تولستوي يوغوسلافيا

وتحضرني في هذا المقام الكلمات الموجزة التي ألقاها الأديب اليوغسلافي إيفو أندريتش في ستوكهولم لدى تسلّمه لجائزة نوبل للآداب .

فقد قال موجهاً خطابه لجمهور الحاضرين من مسؤولين ومدعوين إنهم بمنحه هذه الجائزة قد سلّطوا الأضواء على أدب دولة صغيرة ولفتوا أنظار العالم إلى مجهوداتها في مجال الثقافة في الوقت الذي أخذ فيه الأدب اليوغسلافي عن طريق مجموعة من الأسماء الأدبية ومن الأعمال الأدبية الأصيلة يتغلغل في أنحاء العالم رغبة منه في أن يقدم مساهمته في الأدب العالمي .

ولا شك أن منحهم هذه الجائزة لأديب من هذا البلد يعني ، دون ريب ، تشجيعهم لهذا التغلغل[٣] .

وقد كان حظ أندريتش من الترجمة في عالمنا العربي أفضل من غيره من زملائه . . وكنت أول من قدمت أدبه إلى قارئنا العربي عندما ترجمت له لأول مرة من لغته الأصلية ، اللغة الصربوكرواتية[٤] ، إلى لغتنا العربية أقصوصة بعنوان « **وجوه** » . وعن اللغة الفرنسية تمت ترجمة روايتيه المشهورتين « **جسر على نهر درينا** » ، و « **وقائع مدينة ترافنيك** » ، وما زالت ترجمات مؤلفاته تتابع .

إلا أن هذا القدر من الترجمات إلى العربية سواء لأندريتش أو لغيره من الأدباء اليوغسلاف يعد قطرة ماء في بحر حركة الترجمة الواسعة في عالمنا العربي .

وإذا جاز لنا أن نستجلي أسباب ذلك لأمكننا أن نتبيّن أن السبب الرئيسي هو قلة عدد المترجمين الذين يجيدون الترجمة من لغة يوغسلافيا إلى لغتنا العربية .

وأرى من الحتم عليّ أن أنوّه هنا بدور محمود تقوم به في صمت وبلا ضجيج مجلة « **الفيصل** » السعودية في مضمار تعريف القارئ العربي بمنجزات هذا الأدب اليوغسلافي النامي[٥] ، وغيره من الآداب الإنسانية الجيدة .

البداية

لقد كانت الصدفة المحضة هي التي لم تجعل مكان مولد أندريتش **مدينة سرايفو** عاصمة منطقة البوسنة والهرسك بل جعلته قرية « دولاتس » بالقرب من مدينة ترافنيك المشهورة بنفس المنطقة في عام ١٨٩٢ م . وكان والد أندريتش عاملاً حرفياً بسيطاً يقوم بصنع الطواحين اليدوية للبن ولكن سرعان ما اختفت بشكل تدريجي هذه الحرفة في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي نشأت مع حلول الاحتلال النمساوي المجري لهذه المنطقة . وما لبث أبوه أن تكيّف مع الظروف الجديدة والتحق بإحدى الوظائف المكتبية ، وظل يكدّ ويكدح بها بكل ما أوتي من قوة . وكان هذا هو السبب في وفاته المبكرة . ولم يكن إيفو أندريتش في ذلك الحين قد تجاوز عمره السنتين ، فقام أقاربه بمدينة فيشيجراد برعايته إلى أن اتم دراسته بالمدرسة الابتدائية[٦] .

حكايته مع الكتب

وهنا أتذكر كلمات قالها إيفو أندريتش في أحد لقاءاته الصحفية ، تحدث فيه عن حكايته مع الكتب قائلاً : « حينما كنت غلاماً صغير السن كان الفقر يحاصرني ويحيط بي ، فلم يكن هناك القدر الكافي من أي شيء في منزلنا . ولم يكن لدينا على الإطلاق ولو كتاب واحد فيما عدا بعض الكتب المدرسية . وكان طريقي في الذهاب من المنزل إلى المدرسة لا يختلف أبداً ، فأنا أولا أهبط من قريتي إلى المدينة (وذلك لأن قريته كانت على ربوة عالية) ، وفي العودة أصعد إلى منزلي بالقرية . وكنت أعرف تمام المعرفة الأشخاص الذين سألتقي بهم عند كل ناصية من نواصي **مدينة سرايفو** ، وكنت أعرف الأماكن التي سأضطر فيها إلى التوقف .

ففي أيام الصيف وأيام الشتاء ، ما بين لسعة الشمس وقطرات المطر ، كنت ألتزم بالتوقف أمام واجهة إحدى المكتبات حيث تعرض بها مختلف الكتب التي لم أكن أفهم تماماً كل عناوينها . ولا ريب في أن هذه الواجهة للكتب تركت في نفسي أثراً بالغاً وامتد أثرها حين بلغت من العمر أشده . إنني أعلم تمام العلم ماذا كانت هذه الواجهة بكتبها تعني بالنسبة لي في ذلك الحين وفيما بعده . وإذا ساءلت نفسي عما إذا كانت قد تركت في نفسي تأثيراً حاسماً أدى إلى تعلقي بالكتب لأجبت على الفور إن هذا التأثير جائز ومحتمل رغم أنني أعتقد أن المرء لا يمكنه على الإطلاق أن يستوعب مقدار هذه التأثيرات الحاسمة التي يتعرض لها خلال مشوار حياته .

« وفي المساء حينما كانت تُضاء أنوار هذه الواجهة بكتبها ، كانت تجذب انتباهي وتشد نظري . وحينذاك والأضواء مسلّطة بهذا الشكل الرائع على الكتب ، كان يبدو لي أنها أكثر جمالا وبهجة ، وأن عناوينها أكثر سحراً وجاذبية ، ومن شدة هيامي بها كنت أجدها في أحلامي . وفي كثير من الأحيان فيما بعد حينما كنت قد وصلت إلى شيء ما في الحياة ، كنت أضبط نفسي متلبساً بالوقوف أمام هذه الواجهة

القديمة بكتبها العزيزة على نفسي . وكنت أطيل النظر إلى عناوينها العجيبة الغامضة ، وكانت تبهرني أغلفتها الرائعة فأظل أحملق في حب استطلاع وانبهار إلى جميع الكتب المرصوصة في هذه الواجهة . إلا أنني في قرارة نفسي كنت أشعر بأنه مرير بعد من أشد الآلام التي حملتها معي من تلك الأيام الخوالي وأنا أنظر مبهوراً إلى هذه الواجهة الممكنة والكتب ترصع رفوفها والأضواء تثير كل حواسها . ذلك لأنها كانت تزيد من إحساسي بالفقر ، أي الافتقار إلى إمكانية الوصول إلى ذلك الذي يتمناه المرء ويشتاق إليه أشد الاشتياق . وحلال مشوار حياتي لم يكن الفقر يمثل عبئاً خاصاً داخل نفسي ، لكنني لذلك ولأول مرة أحسست به إحساساً عميقاً بكل نفسي وعقلي . لقد كان هناك حاجز لا يمكنني تجاوزه يفصل بيني وبين هذه الكتب الحبيبة إلى نفسي . ورويداً رويداً أحدث أدركت الفرق بين معنى الامتلاك من عدمه .

وأمام هذا الحاجز الخفي ، بدأ خيالي ينشط وينتبه . ويمكنني القول إنني شرعت منذ هذه اللحظة في الكتابة لأول مرة لا بالقلم ولا على الورق ، بل داخل نفسي وفي أفكاري وفي خيالي . ذلك لأنني كنت أقدم لنفسي تفسيراتي وإيضاحاتي وشروحي لهذه العناوين العجيبة الغامضة التي كنت أحفظها عن ظهر قلب رغم أنني لم أكن أفهم معناها . وكنت أؤلف في خيالي محتويات هذه الكتب . وفي الحقيقة كنت أحاول جاهداً أن أثير في أعماق نفسي سحر وبهاء هذه الحياة التي كنت أحبها . والتي كانت تخفي عني تلك الكتب . وهكذا نمت وتوالت أفكاري الأولى ، وهكذا تولدت ، رتبت في عقلي الباطن ، فكرة أن أشتغل بالكتابة . ومن هنا أيضاً نشأت أقاصيصي الأولى غير المكتوبة وروايتي غير المنسجمة . ومعنى هذا أن السنوات واختفت هذه الواجهة من مكانها منذ فترة بعيدة ، لكنها بالرغم من ذلك تعيش في ذاكرتي ولا زلت أتذكرها بوضوح وأرى نفسي واقفاً في خشوع وإعجاب أمامها . ورغم أنني منذ ذلك الحين وحتى الآن تصفحت بيدي الكثير من الكتب وتمكنت مع بعضها أيام وليالي ، وكثير من هذه الكتب أصبح من أفضل أصدقائي . وكنت بعضاً منها ، إلا أن هذه الواجهة المكتظة بالكتب محفورة في ذاكرتي من أيام صباي البعيدة ما زالت تعيش بلا انقطاع داخل نفسي . وتشعرني على الدوام أين كنت » .

سيرة حياة شاقة

وفي كنف أمه اشتغل أندريتش بقطع الأشجار حتى يعول نفسه ووحدت أمه بعد وفاة عائل الأسرة ، غير أنه لم يستمر في هذا العمل لفترة طويلة لم تمكنه من جسمه بالشقاء والحزن . وسرعان ما تحسنت أحواله عندما أصبح شاباً يافعاً يسعى وراء العلم . **وأنهى دراسته الثانوية في سرايفو .** ثم واصل سيره حيث عمل للحصول على التعليم العالي . وبصعوبة بالغة **تمكن من إتمام دراسته بكليات الآداب في زغرب (بكرواتيا) . وفيينا (بالنمسا) . وكراكوف (ببولندا) . حيث تخصص في علوم التاريخ وفي اللغات السلافية** . وقد توج كفاحه التعليمي بحصوله على **درجة الدكتوراه في عام ١٩٢٣ م . من جامعة جراتس** . وكان موضوع رسالة الدكتوراه « **الحياة الفكرية في البوسنة والهرسك في عهد الأتراك** » .



★ سترندبرغ ★

ومن العناصر الحاسمة التي أثرت على شباب إيفو أندريتش **الحرب العالمية الأولى** التي أصابته بالكثير من الغم ، لكنها أفادته أيضاً أيما إفادة كما اعترف هو بذلك . فقد اعتبرت السلطات النمساوية المجرية المحتلة أن اتصاله بالشباب اليوغسلافي الثائر يعد استفزازاً لها .

وفي أحد الأيام تم القبض عليه ، وكان هذا الأمر خطيراً للغاية آنذاك ، لم يكن حتى ذلك الحين يتم القبض إلا على المجرمين واللصوص .

وكان من المعلوم أسماء الأشخاص الذين يمكن القبض عليهم وأسباب القبض عليهم ، وأسماء الأشخاص الذين لا يمكن القبض عليهم .

وكان يبدو لإيفو أندريتش في ذلك الحين أن مجرد وجوده في السجن ليس إلا نهاية لكل شيء ، ونهاية للحياة بأسرها . ولم يكن على السجين إلا أن ينتظر فحسب الوقت الذي سيأتي فيه السجانون لكي يقتادوه إلى غرفة الإعدام . وحينما وجد نفسه في الزنزانة لم يفكر إلا في الموت . وهو لا زال يتذكر **الزنزانة رقم ١١٥** . وخوفه الذي لا يوصف . وقد اقتاده السجان في ممر طويل تهيأ له أنه لم ير في حياته ممراً أطول منه . فقد كان ممراً بلا نهاية . وفجأة توقف السجان أمام أحد الأبواب وصاح بشيء ما بالألمانية . وكان يصيح صياحاً عالياً كأنه يصرخ في عدد كبير من الناس ، رغم أنه لم يكن هناك أحد سواه ومعه سجينه أندريتش . وانفتح باب الزنزانة ودخل أندريتش وصفق السجان الباب وراءه وأصبح بمفرده ليس له من رفيق إلا خوفه الكبير . وفي الزنزانة ومع الوحدة والخوف أخذ أندريتش ينظر فجأة إلى يديه ويتأملهما ويتعرف عليهما . وتأكد في



تولستوي يوغوسلافيا

البداية وهو في غاية التعجب أنه لم يكن يعرف جيداً يديه ولا كفيه ولا أصابعه ولا أظافره . وأخذ يطيل النظر إلى يديه ويسرح بفكره ويشرد ويهيم بذهنه أثناء النظر ، إلا أن بصره يعود ويسقط ثانية على اليدين وعلى الأصابع . ولم يكن حينذاك يفكر إلا في الشمس ويتساءل عَبْرَ الظلام الذي يحيط به في هذه الزنزانة أهي موجودة أم لا ؟! .

وكانت فرحته عظيمة في هذه الحياة المحصورة بين الجدران الأربعة للزنزانة ، المحاطة من كل ناحية بالحيرة والخوف حينما وجد نفسه أمام المحقق الذي كان شاباً نمساوياً من أهل مدينة ڤيينا . وذكر المحقق شيئاً في حديثه مع أندريتش الذي لم يكن بمقدوره أن يصدقه في البداية ، إلا أن هذا الشيء غيَّر فيما بعد حياة أندريتش تغييراً جذرياً . فقد سمح له المحقق أن يطلب من بيته بعض الملابس الدافئة وبطانية وبعض الكتب . وطلب أندريتش من الرسول الذي سيحمل رسالته أن يجمع له كل الكتب التي يجدها على مكتبه . وبالفعل أرسلت له صاحبة المسكن بطانية وجوارب وبضع تفاحات جميلة وبدلته الجديدة وكتاباً واحداً . وتذكر أندريتش أنه في اليوم السابق للقبض عليه ، رتَّب غرفته ووضع كل شيء في مكانه لأنه يحب النظام . وهكذا لم يكن موجوداً على مكتبه إلا كتاب واحد هو ذلك الكتاب الوحيد الذي وصل إلى يديه . وبعد حصوله على هذا الكتاب الوحيد أحس فجأة باختفاء خوفه الذي لا يوصف وبدا له أنه قد أخذ يواصل الحياة من جديد . وكان هذا الكتاب **للفيلسوف الدانماركي سورن كيركيجارد والأديب الفرنسي جيل ڤرن** . ومن الطبيعي أن يقرأ أندريتش هذا الكتاب عشرات المرات في سجنه هذا الذي امتد لمدة عام كامل ، ومن المنطق أنه تأثر به أيما تأثير .

وهكذا نرى أن أندريتش قد جابه تلك المحن التي واجهته في شبابه ، وكان يدافع عن نفسه وعن روحه ويحميها من الدمار بالعمل المستمر الدؤوب وبالقراءة والدراسة واكتساب صنوف المعرفة . وقد سجل أندريتش هذه الفترة وأهميتها بالنسبة لحياته الأدبية ولكتاباته وآرائه في بعض من هذه الأحداث في كتابين هما : **إكس بونتو** (١٩١٨ م) ، **والقلق** (١٩٢٠ م)[٨] .

أعماله الأدبية

وقد تعددت وتنوعت مؤلفات إيڤو أندريتش **فقد كتب الرواية الطويلة مثل روايات :** جسر على نهر درينا ، تاريخ مدينة ترافنيك ، الآنسة ، الفناء الملعون ، عمر باشا لاتاس . **وكتب القصة القصيرة** ، ومن أشهر مجموعاته القصصية : السنة القلقة ، العطش ، امرأة غير موجودة ، العلامات ، الأطفال ، طرق ووجوه ومناطق ، بيت في مكان منعزل . . وغيرها . **وقرض الشعر وكتب الشعر المنثور في كتابيه :** إكس بونتو والقلق . هذا علاوة على كتاباته لمجموعة كبيرة من المقالات والأبحاث في مجال الأدب .

مضامين أعماله

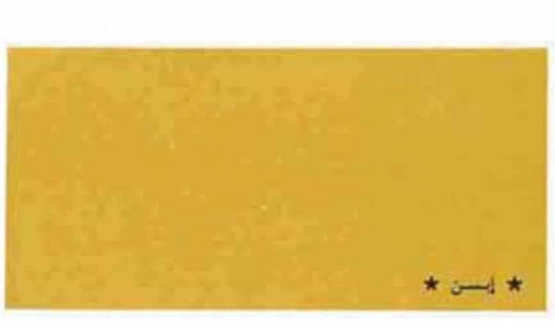
وقد كان لمنطقة البوسنة التي نشأ وترعرع فيها مكانة خاصة في مؤلفات أندريتش ، فقد استلهم منها مادة لمعظم رواياته وأقاصيصه ، ومن ماضيها وتراثها الأدبي[٩] وأساطيرها القديمة[١٠] . وذلك لأن منطقة البوسنة كثيراً ما وقعت تحت وطأة الأجانب ويدين سكانها بالأديان الثلاثة ، وهي تتسم بالعديد من المتناقضات القومية والاقتصادية والاجتماعية . ومن أجل هذا كانت منطقة البوسنة عبر القرون مركزاً للتناقضات والصراعات وللحروب والاغتيالات وإراقة الدماء والآلام .

ومن هنا يُخيل للبعض أن صورة البوسنة في أعماله صورة قاتمة محزنة ، وأنه يتعمد وضع أبطاله في مواقف مأساوية صعبة لا لشيء إلا لكي يتألموا ولكي يسخر القدر منهم على الدوام ، ومع ذلك فإن أندريتش لا ييأس من الحياة بل الحياة في رأيه تتجدد دوماً وتتولد من جديد قوية صلبة .

وإيڤو أندريتش هو أول كاتب يوغسلافي من منطقة البوسنة يعامل معاملة متكافئة أتباع الأديان الثلاثة بكل عطف وإنسانية وفهم وحب لكل ما هو إنساني[١١] ، فقد ألقى الضوء بأعماله الأدبية على المسلمين ، والصرب (وكانت أغلبيتهم حينذاك من الأرثوذكس) والكروات (وكان معظمهم من الكاثوليك) واليهود وعلى **أتباع الملل الأخرى والطبقات الاجتماعية المختلفة وعلى أهل بلده وكذلك الأجانب . وصور في رواياته وأقاصيصه الرهبان الكاثوليك وأفراد العصابات والباكوات الأتراك ومعلمي الدين المسلمين والضباط النمساويين والتجَّار والباشوات والفتيات المسيحيات . وكتب كذلك عن الأثرياء والفقراء بأهوائهم وآلامهم وعن آفاقهم الرحبة وعن عاداتهم وتقاليدهم وأحاديثهم وعن تحركاتهم وتصرفاتهم . وبذلك كانت دائرة الشخصيات الأساسية أو الثانوية ، التي يعالجها أندريتش في أعماله الأدبية دائرة كبيرة يحيط بها ، في بعض الأحيان ، الغموض بسبب الطباع السائدة بين أفرادها وبسبب ميولهم التشاؤمية . وكان أندريتش في معالجته يزيد هذه**







★ إبسن ★

الشخصيات طرافة وجاذبية ، ويقرب بينها وبين القارئ .

ويمكننا القول إن أندريتش بأسلوبه المتجدد الموجز ، وبكلماته الفلسفية العميقة يمثل مرحلة جديدة في تطور الفن الروائي اليوغسلافي ، وعلى الأخص المكتوب باللغة الصربوكرواتية[11] . ذلك لأن أندريتش كان يختار بدقة كل كلمة وكل عبارة وكأنه ينحت في الصخر نحتاً يترك أعمق الأثر في نفس القارئ ، ولذا فإن معظم أعماله الأدبية زاخرة بمحتوياتها ومضامينها ، وهي كلها مكتوبة بلغة الشعب الفنية . . ومؤلفاته ، من ناحية أخرى ، تصل إلى أغوار الفلسفة ، ففيها يعالج الأمور الكامنة في أعماق النفس البشرية ويحللها تحليلاً نفسياً ويرسم الجوانب المظلمة من حياة البشر واللحظات الحرجة التي يتعرضون لها .

المؤثرات الخارجية والداخلية

وقد حاولت من خلال تصريحات إيفو أندريتش ولقاءاته الصحفية ، ومن خلال ما كتبه عنه النقّاد والباحثون أن أتوصل إلى الأمور والشخصيات التي أثرت تأثيراً حاسماً على تكوينه الأدبي . فوجدت أن أندريتش لا يعتقد على الإطلاق فيما يسمى بالتأثيرات الحاسمة ، فالإنسان ـ في رأيه ـ ينمو ويتطور ويقرأ ويصوّر ويكتب ويؤلف . وهناك أشياء تشده أكثر من غيرها ، وهناك أشياء يكرس الإنسان نفسه لها ، وأشياء يقاومها بوعي أو بلا وعي . ويدلل أندريتش على فكرته هذه بأنه في بعض الأحيان يستفيد من إحدى الحفلات الموسيقية أكثر من استفادته من التقائه بأديب يحبه ويعجب به . وفي بعض الأحيان يحدث العكس ، فقد يحدث له أن يذهب إلى إحدى الحفلات الموسيقية وهو في منتهى السعادة لأنه سيسمع للمرة الثانية تلك المقطوعة الموسيقية التي يحبها ويهواها ، والتي كانت في وقت من الأوقات تعني الكثير بالنسبة له ، ثم يعود من الحفلة الموسيقية وبداخله فراغ ينهش أحشاءه وقفر يخيم على نفسه . ومن المنطقي أن المقطوعة الموسيقية لم تختلف ، لكن حالته النفسية هي التي اختلفت عن سابقتها . ففي المرة الأولى كان منفتحاً وعلى استعداد لقبول وتقبل تأثير من التأثيرات وفي المرة الثانية كان منغلقاً كالكتاب المطوي . وربما بالنسبة لتلك الأمور التي أعمل فيها فكره يومها وبالنسبة لما جادت به قريحته في حينها كانت الحفلة الموسيقية الثانية ، أي تلك التي خيبت ظنه ، هي أهم بكثير من تلك الحفلة الأولى التي ظلت عالقة في نفسه كالذكرى الطيبة .

ومن خلال كل ما قرأته عن إيفو اندريتش يمكنني بالكاد أن أستخلص أن من تلك الأمور الحاسمة التي أثرت على تكوينه الأدبي واتجاهه إلى الكتابة هي تلك الواجهة بكتبها الكثيرة وبعناوينها الغامضة ، ثم ذلك الكتاب الفلسفي الوحيد الذي انفرد به في السجن لمدة عام كامل . كما أن أندريتش كان يحب في شبابه أشعار **الشاعر الإيطالي ليو باردي** ، ويفتتن بها . . ولا شك أنه تأثر بها وظهر ذلك في بعض كتاباته . وتأثر أيضاً بالكتّاب والشعراء البولنديين ، وكذلك الإسكندنافيين أمثال **ستربدبرج ، وهامسون ، وإبسن** . وكان حدثاً كبيراً تعرفه على الأدب الغربي ، وقرأ أيضاً ، عن طريق الترجمات الفرنسية والألمانية ، شعر قدماء الصينيين وأثار لديه الكثير من الانفعالات بسبب دفئه وأفكاره الجيدة .

بهذه الخطوط الرئيسية برز الأديب اليوغسلافي العملاق إيفو أندريتش ، وبها سجّل مرحلة جديدة متميزة في تطور الأدب اليوغسلافي وخلق نظرة واقعية حديثة أوصل بها الأدب اليوغسلافي إلى مستوى العالمية . وهو علامة بارزة من علامات الأدب اليوغسلافي على طريق تطوره[13] .

وقد كتبت أمهات الصحف العالمية عن أدبه ولقّبته « بتولستوي يوغسلافيا »[14] .

الهوامش

(١) سلافكو ليبهيكي ، ترجمة الكتاب شيء جميل ، صحيفة بوربا ، بلغراد ١٦/١١/١٩٨٠م ، ص ١٠ .

(٢) فينه رابنوفيتش ، الإبداع الفني هزا العالم ، صحيفة بوليتيكا ، بلغراد ١٥/٣/١٩٧٥م ، ص ١٤ .

(٣) خطاب إيفو أندريتش في ستوكهولم ، سوليتيكا ١٥/٣/١٩٧٥م ، ص ١٦ .

(٤) اللغة الصربوكرواتية هي اللغة السائدة في يوغسلافيا ، وبجانبها توجد اللغة السلوفينية ، واللغة المقدونية ولغات أخرى . . طالع مجلة « الفيصل » ، العدد (٦٠) ، الصادر في جمادى الآخرة ، ١٤٠٢هـ ، نيسان (أبريل) ١٩٨٢م .

(٥) انظر : للمؤلف ، « الفيصل » ، أبريل (نيسان) ١٩٨٢م ، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٣م .

(٦) أنطون بارانس ، الأدب اليوغسلافي ، زغرب ١٩٥٩م ، ص ٣٠٢ .

(٧) واجهة مكتبة مليئة بالكتب ، بوليتيكا ١٤/٣/١٩٧٥م ، ص ١٤ .

(٨) فليبور جليجوريتش ، نظرات ودراسات ، بلغراد ١٩٦٣م ، ص ٩٣ ـ ٩٤ .

(٩) هرالامبيا بولناكوفيتش ، كشف عن وجه البوسنة ، صحيفة بوليتيكا ، بلغراد ١٤/٣/١٩٧٥م ، ص ١٣ .

(١٠) بنار جاجيتش ، قبل المؤتمر العالمي عن إيفو أندريتش ، صحيفة سوربا ، بلغراد ٢٤/٥/١٩٨٠م ، ص ١٠ .

(١١) أغلبية سكان منطقة البوسنة من المسلمين .

(١٢) ميلوساف ميركوفيتش ، علامات إلى ما لا نهاية ، صحيفة بوربا ، بلغراد ١٣/١٢/١٩٨٠م ، ص ١٠ .

(١٣) دراجن بريهيتش ، الهدف الذي كان يسعى إليه ، صحيفة بوليتيكا ، بلغراد ١٥/٣/١٩٧٥م ، ص ١٣ .

(١٤) تولستوي يوغسلافيا ، إيفو أندريتش ، صحيفة لوموند ، باريس ٦/١٢/١٩٥٦م .

بدايات

المجهر (الميكروسكوب)

هو الجهاز المستخدم في تكبير **الأجسام** الدقيقة التي تتعذر رؤيتها بالعين المجردة . أبسط أنواعه العدسة المكبِّرة (المحدَّبة) .

لفظ **ميكروسكوب** يتكوَّن من مقطعين هما Micro بمعنى **دقيق ، أو متناهي الصغر** ، و Scope بمعنى **مجال أو مدى** . والمقطعين معاً يعنيان المجهر .

أما **المجهر المركب** فيتكوَّن من عدستين ، السفلى منها تسمى **الشيئية** ، وتكون قريبة من **الجسم** الدقيق المراد فحصه ، والعليا هي **العينية** ، وينظر الباحث من خلالها . وهما مثبتتان على طرفي **أنبوب معدني** يساعد على التخلص من الأشعة الضوئية التي قد تؤثر على وضوح الجسم على **السلايد** .

وتلزم إضاءة الجسم بوضوح . فإذا كان رقيقاً وشفافاً وجب توجيه الضوء إليه من أسفل ، أما لو كان سميكاً ومعتماً ، فإنه يضاء من أعلى . وفي كلتا الحالتين تستعمل عدسة ثالثة **مكثفة لهذه العملية . أما في** المجهر ذي الإضاءة المحورية ، فتركَّب به مرآة تحت **السلايد** لتركيز الضوء على الجسم .

وطريقة عمل المجهر تعتمد على انعكاس الضوء من الجسم عبر العدستين ، فعندما يقع الجسم وراء بؤرة عدسة **الشيئية** ، فإن صورته من خلالها تكون حقيقية ، ومكبَّرة ، ومقلوبة . فإذا وقعت هذه الصورة في المسافة بين العدستين ، وعلى نقطة تعادل ضعف البعد البؤري **للعينية** ، فإن الصورة تكبَّر مرة أخرى وتصبح حقيقية ومعتدلة (انظر الرسم) .

اخترع **المجهر المركب** الهولندي **هانز زخارياس** عام ١٥٩٠ م ، ولم ينل حظه من الشهرة حتى تحدث عنه الإنجليزي **روبرت هوك في كتابه ميكروجرافيا (١٦٦٥م)** ، **ثم انتشر استخدامه في أوروبا خلال القرن الثامن عشر الميلادي .**

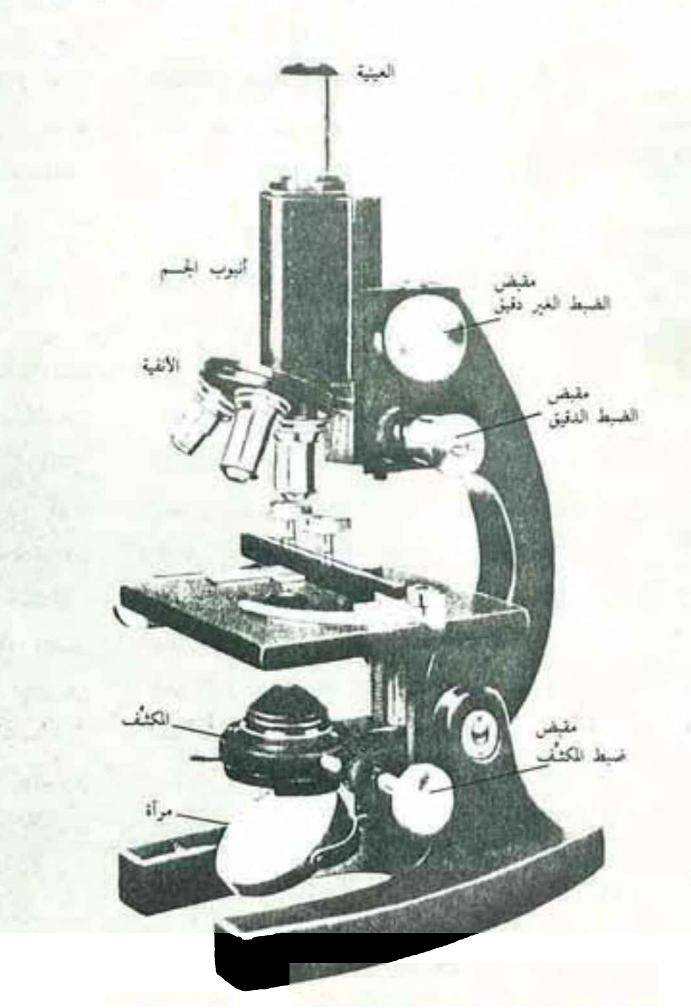
وفي عام ١٨٣٠م ، أدخل چيه چيه ليستر على المجهر عدة تحسينات ، استهدفت تخليص الجسم من الألوان المتداخلة التي قد ينقلها الضوء خلال العدستين .

إرنست آبيه وضع ، في عام ١٨٨٠م ، تصوراً وتصميماً لمجهر يستطيع التكبير إلى ألفي ضعف .

في المجاهر المركبة الحديثة ، يضاف عدد من العدسات فوق بعضها البعض لمضاعفة معدلات التكبير .

هذا ، وفي عام ١٩٣٢م ، اخترع في ألمانيا المجهر الإلكتروني . وفيه تستبدل الأشعة الضوئية بإشعاعات إلكترونية تخترق الجسم ، ثم تعرض الصورة المكبرة على شاشة تلفزيونية ، أو تطبعها على فيلم فوتوغرافي . ويستطيع هذا المجهر تكبير جسم يبلغ حجمه ٠,٠٠٠٠٢٥ من السنتيمتر .

★ ★ ★





● الكتاب: معركتان أدبيتان.. مع العقيلي وطبانة.

● المؤلف: علي محمد العمير.

● الناشر: دار العمير للثقافة والنشر، سلسلة (المكتبة الثقافية)، ط(١)، سنة ١٤٠٥هـ، (١٩٨٥م).

للمعارك الأدبية ـ كما يطلق عليها في عصرنا الحاضر ـ أو المناظرات ـ كما عرفت في الماضي ـ مع الفارق ـ دورها في تنشيط الساحة الأدبية وتسخينها مع ما يعتورها من خروج عن الموضوعية حيناً، والاحتداد في أسلوبها حيناً آخر.

وهذه المعارك تكشف قدرة المتعاركين في طرح الحجج والأدلة لتدعيم وجهات النظر المختلفة والمتباينة.

ومن مزايا المعارك الأدبية أن القضية قد تبدأ بجزئية صغيرة، ثم تمتد مع النقاش لتتناول قضايا أخرى قد ترتبط بالجزئية (البداية) بصلة ما، وقد لا تربطها بها أية صلة.. والنتيجة إثراء الحركة الأدبية، ولفت اهتمام القارئ.

ويعاب على المعارك الأدبية تعرضها إلى الجوانب الشخصية بين المتعاركين، هذه الجوانب التي لا تضيف شيئاً بقدر ما تجرح النفوس، وتوجع القلوب.

وكتاب العمير الذي بين أيدينا يطرح عدداً من القضايا التي شارك فيها غير العمير مثل حجاب الحازمي، ونسيم الصمادي، حيث شارك الأول في معركة العمير مع العقيلي في قضية تحقيق التراث ونشره، وقضية مناهج البحث وما تتطلبها من هوامش وذكر المراجع والمصادر وفق ما تقضي الأمانة العلمية والتاريخية.. ومثل هذه القضايا ـ رغم قدمها ـ ما زالت تحتل مكانة هامة من مناقشة الأبحاث والأطروحات.

أما (الصمادي)، فقد شارك في معركة العمير مع الدكتور بدوي طبانة حول اسم مؤلف كتاب «الفهرست»، الذي يعرف جمهرة كبيرة من الباحثين والدارسين أنه «ابن النديم»، في الوقت الذي يرى الدكتور طبانة أن اسمه الصحيح «النديم».

وقد انفرد العمير في معركته مع طبانة فيما يتعلق بمكان وفاة (الزبير بن بكار) أحد رواة كتاب (الأغاني)، حيث أثبت العمير أنه توفي بمكة المكرمة، في الوقت الذي كان طبانة يعتقد أنه مات ودفن في مصر، وقد كان العمير على حق فيما ذهب إليه.

ونحن هنا لسنا في موقف تقييم الآراء وتفنيدها، إلا أننا نرى أن معركة العمير مع العقيلي لها أهميتها الخاصة بقضية تحقيق التراث التي انتصر لها العمير والحازمي.. فخالفا العقيلي في منهجه الذي اتبعه في تحقيق المخطوطات التاريخية، والدواوين الشعرية القديمة.. وقد سبقهما إلى ذلك العلامة الشيخ حمد الجاسر، حيث اعترض على طريقة العقيلي في منهجه الذي يتبعه بالحذف والابتسار.. ومطالبته بضرورة الإبقاء على النص التراثي كما هو، لأنه يمثل مرحلته أدبياً واجتماعياً.

* * *

● الكتاب: شجرة الليمون (مجموعة قصصية).

● المؤلف: عبد الكريم الخطيب ـ ١٤٠٠هـ.

تحتوي هذه المجموعة القصصية على أربع عشرة قصة قصيرة، يتحرك القاص فيها حول فكرة واحدة تتشعب إلى أكثر من مجال جزئي، لكنها تبقى إطار المجموعة الأساسي وهي المفهوم الاجتماعي، أو النظرة الاجتماعية لحياة الإنسان في زمن يعاني منه وفيه هذا الإنسان من وطأة الواقع بكل ثقله، والإحساس بوطأته وثقله وضغطه فيدفعه هذا إلى الارتداد للماضي، يجتره ويعيد الوقوف عليه.

وقوف عبد الكريم الخطيب على إطار الماضي ـ الذاتي بصورة خاصة ـ وقوف معرقل، يكتفي فيه القاص بالتعامل مع لحظاته تعاملاً حذراً، متكئاً على الإطار الخارجي لعوالم الحياة




★ علي محمد العمير ★

الماضية دون محاولة الولوج إلى أعماقه لاستلام التجربة بعيداً عن الخطابية والتقريرية.

قصص مجموعة الخطيب في معظمها تنتمي إلى النمط الواقعي الاجتماعي الذي اعتمده بعض كتّاب الواقعية النقدية في بداية ظهور هذا الاتجاه، وإن فقدت بعض أقاصيص مجموعة القاص سمة الفن القصصي ومعالمه، فجاءت أقرب إلى الخاطرة القصصية، أو القصة المقالية إذا صح التعبير.

وبعض قصص المجموعة كما أشرت إلى هذا من قبل هي قصص تعتمد اعتماداً رئيسياً على النمط الواقعي الاجتماعي في الطرح، ذلك النمط الذي يتخذ من الوقوف على الجزئيات التفصيلية أساساً للتعبير والتصوير، ففقدت بعض قصص الكاتب عمقها من جراء ذلك الضغط، وبدت متحركة في إطار تقليدي، لغة وتصويراً وتعبيراً، بل دفع هذا بالقاص إلى الوقوع في متاهات التصويرية الفوتوغرافية التي لم تحدد العلاقة ـ بصورة تلاحية ـ بين الإنسان والطبيعة التي يعايشها، والواقع الذي يعيشه إلا في بعض من قصص المجموعة، ولنأخذ القصة التي اعتمد اسمها عنواناً لمجموعته، يقول في مقدمة القصة على نمط القاصين الواقعيين النقديين:

«ذكريات ولت مع الماضي تنبش الأمس البعيد.. ذكريات تركت في النفس صدى إشعاع منظر العذارى الملفعات بالأردية السوداء، وهن يسرن في القرية عائدات مع البكور، والأصيل من عين قريتنا الجارية يحملن قرب الماء على ظهورهن، ويحلمن بالعرسان، والأعراس في أيام صيف هادئ جميل..».

وهذه اللوحة يكثر استخدام مثلها في فاتحة معظم أعمال كتّاب القصة ضمن هذا الإطار، وإن بدت ضرورة توظيفها وأمثالها من اللوحات التصويرية في بناء الهيكل الفني للقصة على العموم، حتى تكون هناك صلة فنية تلاحية، بين جزئيات العمل القصصي، حتى تتحدد سمات الصراع الدرامي لكل عمل فني.

وقد أجاد الكاتب توظيف مثل تلك اللوحات في بعض قصص مجموعته كما جاء في قصته (فلسفة الستين) ولعلها من قصص المجموعة الجيدة، يقول القاص في عرضه لشخصيات القصة على شاكلة تمهيد نفسي، وحسي يولّد عنصر التشويق المهم في إحداث العلاقة بين المتلقي، والأثر الفني، يقول:

«أبصره صدفة في عيادة الطبيب يقف مع المراجعين يحمل على جسمه ما خف وثقل من أردية الشتاء، يكور عمامة كبيرة على رأسه، متقياً بها ضراوة البرد، يحمل في أرجله أحذية كأنها أثقال، حين أبصره يتكئ على عصا غليظة، جاءت شبه نصف دائرة، وبين الفينة والفينة يشعل سيجارة ينفث دخانها نحو الأرض، تأخذه نوبة السعال...».

ومثل هذه اللوحة تعمق ـ دون شك ـ من إحساسات المتلقي بالشخصية القصصية، وتنمي تفاعلات جديدة ومتتابعة ومتنامية بصورة أعمق مع التعامل الإحساسي مع تلك الشخصية.

ولغة القاص لغة رصينة، وقاموسية وإن ضمنها شيئاً من العامية أو الدخيل في أحيان قليلة. بيد أن القاص لم يخرج عن إطار توظيف اللغة بما يتناسب مع اللحظة الشعورية الوصفية التي يعتمد على السرد المباشر فيها، ذلك جانب أو استنطاق الشخصيات ذاتها بلغة تناسب البنى العمرية والثقافية لها وهذا جانب آخر، إلا في بعض جزئيات قصص مجموعته، التي افتقدت الشخصيات فيها حرية التفكير والتعبير، فبدت تحكمات القاص ذاته على كلا الجانبين معاً.

ولنقرأ هذا الجزء من حوار جرى بين شخصيتين رئيسيتين في قصته (فلسفة الستين) حين يقول طارحاً آراء ذاتية:

«ـ ما أخافك ترمي السيجارة على الأرض، أخافك ذكر مرض السرطان، أتظن نفسك المدخن الوحيد في الدنيا، كل البشرية باتت مزمنة في التدخين.

فأجابه قائلاً:

ـ حتماً كثرة التدخين لها نتائج سيئة.

قال الشيخ:

ـ صدقت فيما تقول، لكن علماء السلاح أخطأوا حينما أيقنوا أنهم هم السباقون لفناء البشرية فعلماء مصانع التبغ السباقون لفنائها...».





★ عبد الكريم الخطيب ★

● الكتاب: حياة وقلب (ديوان شعر).

● المؤلف: إبراهيم أمين فودة.

● الناشر: المؤلف نفسه، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

هذا هو المجلد الرابع من ديوان الشاعر إبراهيم فودة، وقد جعل شعاره فيه وفق حسّه الإنساني الأبيات الثلاثة التالية صدر بها المجلد:

الشعر ألحان وموسيق يؤلفها شعور مستهام
الشعر أزهار الأحبة في بساتين الغرام
الشعر ألسنة المودة بين أفئدة الأنام

وهو تقويم منبثق عن التقديم الذي صدّر به المجلد الثالث من ديوانه، وفيه أعلن ـ ص ٦ من صور وتجاريب ـ أن الشعر تجربة الحياة وتاريخها وفلسفتها وترجمتها، وهو في «حياة وقلب» يتحمل عبء هذا التعريف وكأنه احتاج به إلى أن يقتحم نطاق المشاعر التي يلتقي فيها الشاعر عادة بالقارئ بالتفصيلات التي تعنيه في فن يبدو كالسحر، أو كقوة غيبية لها القدرة على تنبيه الخواطر والعواطف إن لم يكن ـ في الأعم ـ السيطرة عليها، أليس الشعر ـ كما يقول ـ من نسج السماء وغزله خير الصلات؟

وفي تفصيلات الأقسام الثمانية التي أقام عليها فودة «حياة وقلب» مع مقطعة وقصيدة جمعتا تحت عنوان «خاتمة» يتأكد ذلك، كما تتأكد تجربته الشعرية في سموها، وفي عنايته بالحبّ أو صبواته التي قدم عنها الاعتذار وطلب الغفران في الخاتمة التي أشرنا إليها:

يعلم الله ما اقترفت أثاما
في الذي قلت من حديث آثم

(ص ٣١٧)

برئت إليك يا ربي برئت
وأبْت إليك يا ربي وتُبْت

(ص ٣١٨)

وإذا أضفنا إلى هذا وذاك قصيدته «ثورة إيمان» ص ١٨٣ ـ وهي إحدى مطولاته ـ فهل نحمل الصنيع على أنه يشجب بطلب الغفران سحرية الشعر: مع أنه من ناحية تجربة الحياة ومرآة القلب، ومن ناحية أخرى نجوى صلاة كما يقول ومن نسج السماء؟

لماذا إذن ينشد؟

ولمن جمع تلك القصائد الدالة على توقد حسّه طالما استشعر الذنب وطلب التوبة؟

أم أن تلك هي نفس الشاعر الذي يطمع دائماً في أن يغنّي الناس ليسمعوه ويختلفوا حول ذوقه؟

نحن نميل إلى ولع الشاعر بأن يسمعه الآخرون.. لأن وراء هذا الولع تلك الخبرة التي يقدمها لهؤلاء الآخرين في لغة خاصة تصلح ـ في أغلب الأحوال إن لم يكن كلها ـ لأن تجعله المتحدث باسم الناس إلى الناس:

يا أم يعرب هل أصغيت لي أبداً
فشاقك اللحن أم أشقاك إنشادي
هتفت باسمك في الآفاق فانبعثت
به الترانيم من أصداء أعوادي
وردد الناس أنغامي بألسنة
مذاقها الحبُّ في حشد وفي ناد

(ص ٣٥)

وهو يعبِّر عن الفكرة ذاتها بطريقة اخرى، وربما في مجال عشق قريته أو بلدته أو جزيرته كلها، فيقول:

إن شعري مرآة ذاتك في النا
س وصدق المرآة في الحس حسبي

(ص ٤٣)

ومهما تكن نظرة إبراهيم فودة، وسواء أخذ بها كثيرون أو لم يأخذوا بها، فسوف يظل هو معنياً بتوصيل ما يريد أن يقول لهم.. على الأقل في التسامي بعواطفهم، وفي تبصيرهم بعرائس الشعر التي لا يمكن إلا أن ترى:

●الحبّ يرفع قدر الشاعرين به
في أنفس وجدت مثل الذي وجدوا
●والحبّ في منتهى معناه آصرة
بين القلوب نماها المبدع الصمد
●الحبّ فلسفة الأديان ما أجمعت
إلا عليه وقامت فوقه العمد

وهذه العرائس ـ وقد كانت عند قدمائنا شياطين عبقر ـ لا تفترض وجود الإلهام السماوي. ولكن تجعل الشاعر في حالة نشوة واستشراف، فيروح يمتاح من نبع داخلي، هو وحده الذي يحرك فيه تياراً متدفقاً بالكلمات والصور. وهو أيضاً الذي يجعله يفلسف الحبّ، ويعرّفه بانياً للأمجاد، ومفسراً لأدق أسرار المشاعر ليصبح ـ في منتهى معناه ـ آصرة يحكمها المبدع الأول جلّ وعلا.





★ إبراهيم أمين فودة ★

ولعل هذه الخطوط العريضة تلقي الضوء على صبواته الفنية في «حياة وقلب» . ونحن على أية حال نرى أن تلك المجموعة ـ نعني المجلد الرابع ـ قد تكون أجمل قصائد إبراهيم فودة وأصدقها معاناة ، بالرغم من أنها أبعدها احتكاكاً بماجريات المجتمعات العربية .. ميونيخ مثلاً أو القاهرة ـ وللحب تغريب ـ أو في أي بقعة أخرى خارج أرضه .

ولسنا نعد ذلك فصاماً .. فالشاعر شاعر بما تضغط عليه الأسباب المعيشة ، وبما تفسره معاناته على نحو يصدق فيه مع نفسه ، ومع رنياء ونجوان وغيرهما :

وفي قصائد المجلد بعامة ، اتفق فودة مع نفسه على شكل التجربة العشقية ، بحيث كان من السهل عليه أن ينشد :

قل لمن لام في الهوى
لا تلومني أنا
لمْ إذا شئت قاضياً
حكم الحبّ بيننا

★ ★

لم أكن طوع خاطري
عندما مسني الهوى

★ ★

أنا ما عشت طامع
تخذ النجم سلما
كيف أرضى بأن أرى
ناعماً يملك السما

★ ★

أيها اللائم الذي
طالما قلبه صبا
جانب العذل والتمس
جانب العدل مطلبا

(ص ٢٥١)

في مثل هذا الشعر ينضم إبراهيم فودة إلى رفيقي الغزلين ، وإلى من إذا ناقشنا مستويات صياغتهم نضعهم ملمحاً أو منعطفاً في التوازن الأدائي للقصيدة .. علي محمود طه والأخطل الصغير وناجي ونخلة وأبو ريشة في الغنائية الشخصية حيث العذوبة والأداء السلس ، وهم أنفسهم ـ بازدواجية فنية ـ في الغنائية الجماعية ، حيث الجزالة والأداء الفخم الذي تقتضيه الوطنيات والقوميات معاً .

والجانب الثاني ـ جانب الوطنيات والقوميات ـ مارسته القصيدة العربية هنا في المملكة ، مثلما مورس من قبل في مصر وسورية والعراق والمغرب العربي كله . وكانت المحصلة قصائد أفعمت صدقاً لدى أمثال محمد بن علي السنوسي ، وحسين سرحان ، وعبد الله بن إدريس ، وعبد الله قرشي ، والقصيبي ، ولو ووزن بعضها بنظيره خارج المملكة لربى عليه .

وقد آن أن نختم بأبيات للشاعر إبراهيم فودة تؤكد ما قلناه دون ما حاجة إلى مراجعة أوراقنا القديمة ـ فقد صارت الصورة واضحة عندنا ـ ودون أن نتوقف الحين بعد الحين عند الصور الجديدة والصياغة المتألقة التي لا تفسدها قطُ شعبياتنا الدارجة :

قالت : غلطت فما قصدْ
تُك بل أخذت على ندائك
سبقت يدي خطأ فلفتُ إصـ
ـبعي أرقام دارك
وتنبهت أذني لصو
تك وانتبهت على جوابك
وعلمت أني قد غلط
ت فهل يسوءوك في ذلك
ففرحت من غلط الحبيـ
ـب وزدت من حلو اعتذارك
خطأ أحب من الإرا
دة حين يحمل بعض ما بك
قالوا : تدب الرِّجلُ حيـ
ـث تحبّ لا حسب المسالك

(ص ٢٥٩)

غير أني لا أدري ـ موسيقياً ـ ما قول الشاعر في حرف الكاف روياً ؟

لقد جوّزه بعض علماء القافية في حالات قليلة ، حتى وإن لم يتحد نوع الحرف الذي قبل الكاف (كاف الخطاب عادة) . فإذا اتحد وكان صحيحاً ، فالإجماع على أن الحرف الصحيح الذي تعقبه الكاف هو الروي ، فتصير الكاف من ثم مجرد حرف وصل ، ومنه قول الشاعر المشهور :

وذع الصبر محبٌ ودعك
ذائع من سره ما استودعك
يا أخا البدر سناء وسنى
رحم الله زمانا أطلعك
إن يطل بعدك ليلي فلكم
بت أشكو قصر الليل معك

القضية ـ على أي حال ـ ذوقية وميل إلى شيء دون شيء .

★ ★ ★

شاعران من القطيف

السكوني العبدي والحسين بن ثابت العبدي

بقلم : د. فؤاد أبو الهيجاء

وردت ترجمتا هذين الشاعرين في خريدة القصر وجريدة العصر ملحقين بقسم شعراء العراق منها ، ولم نجد لهما ترجمة في غيرها . وخريدة القصر موسوعة أدبية ضخمة ألفها وجمعها العماد الأصفهاني الكاتب أثناء تنقله في البلاد .

العماد

والعماد الأصفهاني ، أبو عبد الله عماد الدين محمد بن محمد بن حامد المعروف بالعماد الكاتب الأصفهاني ، فارسي الأصل عند معظم المؤرخين[1] ، قرشي عند قلة منهم ، وعلى رأسهم **ابن الفوطي**[2] ، وبهذا الرأي أخذ أستاذنا **محمد بهجت الأثري**[3] .

ولد العماد في أصفهان سنة ٥١٩ هـ ، وتوفي في دمشق سنة ٥٩٧ هـ . وقد نكب أهله فرحل أبوه إلى بغداد ، وهناك أتم تعليمه في النظامية ، اتصل بالوزراء والقادة ومدحهم ، ثم بالخلفاء من بني العباس ، وتنقل في المدن العراقية ، ثم رحل إلى دمشق واتصل بأميرها **نور الدين محمود زنكي** وأصبح كاتبه ، ثم اتصل **بصلاح الدين الأيوبي** ، وعمل نائباً **للقاضي الفاضل** في الشام ، وبقي إلى جانب صلاح الدين حتى سنة وفاته عام ٥٨٩ هـ ، وسافر معه إلى **مصر** ، وشهد معه حروبه وفتوحاته .

كل ذلك يسّر له الاتصال بالشعراء والعلماء والرواة ، فجمع كتابه المذكور .

كان العماد شاعراً ومؤرخاً وكاتباً ، فترك لذلك مؤلفات كثيرة في مجالات عديدة ترك ديواناً شعرياً ضخماً ، فقد أو ما زال في حكم المفقود ، ولكن قصائده التي أوردها **أبو شامة في الروضتين**[4] ، تدل على غزارة الإنتاج خاصة شعره الذي دار حول المعارك التي شهدها ضد الصليبيين .

وفي التاريخ ترك كتباً عدة أهمها : البرق الشامي[5] ، والفتح القسي في الفتح القدسي[6] ، وفيهما يؤرخ للحروب الصليبية في عهدي **نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي** ، ولا غنى لمؤرخ هذه الفترة عن الرجوع إليهما .

أمّا كتابه خريدة القصر وجريدة العصر ، فأضخمها **وقد جعله في أربعة أقسام :**

أولا : قسم شعراء العراق ، وقد قام بتحقيقه **الأستاذ محمد بهجت الأثري** .

ثانياً : قسم بلاد العجم ، ما زال مخطوطاً لم يحقق .

ثالثاً : قسم بلاد الشام والجزيرة العربية ، وقد حققه **الدكتور شكري فيصل** .

رابعاً : قسم شعراء مصر وصقلية والمغرب والأندلس ، وقد حقق قسم شعراء مصر **الدكتور شوقي ضيف ، والدكتور إحسان عباس** .

أمّا قسم شعراء صقلية والمغرب والأندلس فحققه الأستاذ **آذرتاش آذرنوش ومحمد المرزوقي وزميلان لهما آخران** .

وفي هذا السفر الضخم ترجم العماد لآلاف الأدباء من الكتّاب والشعراء في هذه الأصقاع المتباعدة من الدولة الإسلامية .







شاعران من القطيف

★ صلاح الدين الأيوبي ★

أدب الجزيرة العربية

خصص العماد لأدب الجزيرة في الخريدة جزءاً أتبعه بقسم شعراء الشام ، وترجم فيه لشعراء من **الحجاز واليمن وتهامة** ، لكنه لم يترجم لأي شاعر نَجْديّ ، ولعلّ ذلك يعود إلى عدم رحيله إليها أو التقائه **بأحد شعرائها** .

أمّا شعراء **القطيف** فقد ضمهم إلى قسم شعراء العراق تحت عنوان « شعراء الأحساء والقطيف والحجر »[٧] ، واكتشفنا ذلك أثناء إعدادنا لرسالتنا عن العماد ، فحين كنت أدرس الجزء الرابع من قسم شعراء العراق لفتت نظري ملاحظة دونها الأستاذ محمد بهجة الأثري ، وأشار فيها إلى أن النسختين هما : مخطوطة **الفاتيكان** ، ومخطوطة **مكتبة باريس** ناقصتان ، ثم كتب يقول : « ولعل أحداً يملك نسخة تامة من الجزء أو يظفر بها في مكان ما ، فيصل ما انقطع هاهنا ، ويكمل النقص مشكوراً ومثنياً على فضله . . . »[٨] .

وحين بدأت بتصوير بعض الأجزاء المخطوطة من الخريدة الموجودة في **معهد المخطوطات العربية الذي كان في القاهرة** ، كان من ضمن هذه المخطوطات أجزاء من مخطوطة نور عثمانية ، وحين قمت بقراءتها وجدت هذا الجزء الناقص الذي أشار إليه الأستاذ الأثري ، وفيه تكملة تراجم شعراء البصرة[٩] على النحو الآتي :

١ ـ تكملة ترجمة الوزير الفضل بن حمد بن سلمان .

٢ ـ الكافي بهاء الدين رئيس قرية الزكية .

٣ ـ الكامل عبد الله بن محمد بن علي الخوارزمي .

٤ ـ أبو البركات محمد بن جعفر بن مطيرا .

ثم أتبعها بترجمتين لشاعرين وضعهما تحت العنوان : شعراء الأحساء والقطيف والحجر ، هما : **السكوني العبدي والحسين بن ثابت العبدي** .

ولأن العلم رحم بين أهله ، ولأن لأستاذنا محمد بهجة الأثري الفضل في تحقيق أجزاء قسم شعراء العراق الأربعة في ستة مجلدات ، واعترافاً مني بفضله عليّ نظراً للفائدة التي استقيتها من تحقيقاته وطريقة بحثه قمت بإبلاغه ووصف الجزء الذي وجدته ، فقام بتحقيقه في جزء صغير أسماه « تكملة خريدة القصر وجريدة العصر ـ قسم شعراء العراق » ، وقد نوّه في مقدمة هذا الجزء بذلك فله الشكر[١٠] .

شاعرا القطيف

لعلّ القارئ قد لاحظ أن العماد قد ترجم لهذين الشاعرين تحت عنوان : الأحساء والقطيف والحَجر ، وهما من القطيف ، ولم يترجم لأي شاعر من الأحساء والحجر ، وقد تساءل الأستاذ بهجت الأثري عن سبب ذلك قائلاً : « ففيم إذن جعل عنوان الباب لثلاثة بلدان ؟ » ، ثم يجيب عن تساؤله قائلاً : « الظاهر أنه بلغه أن في الأحساء والحجر شعراء كما في القطيف ، فرسم لهم هذا العنوان فلم يوفق للحصول على غير أخبار هذين الشاعرين ، ثم نسي أن يعدل العنوان ويقصره على القطيف وحده »[١١] .

ترجمة الشاعرين

●● **السكوني العبدي**[١٢] ، ترجم له العماد في الخريدة **ترجمة** قصيرة ، ولم يجد له الأستاذ الأثري ترجمة في الكتب يضيف إلى ما كتبه العماد ، وحاولت فلم أوفق . وبمحاولة من الأستاذ الأثري في التعريف به بشكل عام ترجم لأسرة السكوني وجذيمة .

أما العماد فقد كتب عنه قائلاً : من القطيف ، هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن يوسف العبدي الجذمي من بني عبد القيس من ربيعة وأمراء الأحساء والقطيف ينتسبون إلى بني عبد القيس .

ثم انتقل إلى ذكر شيء من شعره ، وكله مروي عن **علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي البصري** ، وقد سمع العماد هذا الشعر منه سنة ٥٥٧ هـ ، **بالبصرة** ، ويبدو أن علياً بن الحسن هذا قد نزل القطيف سنة ٥٥٤ هـ ، وكان أميرها آنذاك **قوام الدين بن المنصور عزيز بن المقلد بن علي بن عبد الله العبدي** فجاءه صاحبنا السكوني وكتب أبياتاً يستأذنه في الدخول عليه ، يقول فيها :

يــا أيّها السّيّدُ الــكريمُ ومَنْ
فــاقَ الــورى في العُلوم والأدبِ

إنّكَ مـــن مَعْشَر أولي شرفٍ
في النّاس زاكي النِّجار والحَسَبِ

أتيــتُ أبْغي لــدَيْكَ فــائدةً
والعلمُ قـد يُسْـتفادُ بالطّلَبِ

فردّ عليه علي بن الحسن شعراً وأدخله ورحّب به ، ويصفه قائلاً :



★ محمد بهجت الأثري ★ ★ د. شوقي ضيف ★

فدخل رجل حسن السَّمت، كثير الصَّمت، عرفته بصفةٍ كان وصفها لي **أبو علي بن أبي الهوارس** قاضي القطيف. قلت لـه: لعلك الملقب بالسكوني. قال: نعم، فرحبت به، وسألني إملاء شيء من العروض وتردد إليّ أياماً إلى أن صار فيه إماماً.

وقد أورد له العماد تسع مقطوعات بلغ مجموع أبياتها ثلاثين بيتاً، وتدور في جلها عن سوء خلق أهل زمانه ولؤمهم وجهلهم وبعدهم عن الإسلام، ورغبتهم في الشر ورغبتهم عن الخير.

قال مصوراً أهل زمانه:

خذ الحذر من أهل هذا الزمان
وكُنْ مُمْعناً منهُمْ في الهرَبْ
فإنّي رأيتُهم في عمى
لجهلهم بكرام العربْ
يرون غنيَّهُمُ عالماً
ولا يعبئون بأهل الأدبْ

ويقول في وصف ظلم أهل زمانه:

تفكّرْ في أمور النّاس وانْظُرْ
إلى أحْوالِهِمْ في كُلّ حالِ
فإنّك لنْ ترى إلا ظلُوماً
شديد الحرصِ في طلبِ المُحالِ
رأوْا أمداً بعيداً فاستناموا
إلى الأيّام جهْلاً واللّيالي
عجبْتُ من اجتراحهِمُ المعاصي
أما يخْشوْنَ نقْمَةَ ذي الجلالِ

ويصوّر ابتعادهم عن الإسلام ومبادئه وإحجامهم عن فعل الخير، وعدم تأثرهم بالإسلام، وما دعا إليه من الدعوة إلى الإحسان والنهي عن الظلم، يقول:

الخيْرُ كُلُّ النّاس فيه مُحْجِمُ
والشّرُّ طبْعٌ في الورى مُتقدِّمُ
كانوا بُغاةً قبل بعْثِ محمدٍ
واشتدّ ذاك البغْيُ لمّا أسلموا
لم ينْهَهُمْ إسلامُهُمْ عنْ مأثمٍ
فيه العُقُوبةُ بلْ عليه أقدموا

غفلُوا عن الإحْسان وهو مُرغّبٌ
فيه وراموا الظُّلْمَ وهو مُحرّمُ
لو عفّ بعضُ النّاس عن بعضٍ لما
أمسى على الدنيا فقيرٌ مُعْدمُ
أتراهُمُ لا يعْلمون بأنّهُمْ
في البعث مأوى الظالمين جهنّمُ

ويبدو لنا من بعض أبياته أنه كان زاهداً في الدنيا، قانعاً بالقليل منها، يقول:

طلابُ الشّرّ من فعل الجهولِ
وحُسْنُ الذّكر بالفعل الجميلِ
وإنّ الظلم شيءٌ ما دعانا
إليه غيرُ نقصانِ العُقولِ
ألا فاقْنعْ من الدُّنيا بقوتٍ
فإنّك هالكٌ عمّا قليلِ

والأبيات الثلاثون التي أوردها العماد لا تعطينا صورة كاملة وافية لأنها مختاراته أو مختارات الراوية، لعلها أسقطا ما لم يعجبها من شعره وأثبتا له ما وجداه ملائماً لذوقيها.

لكن هذه الأبيات المسجلة ترسم لنا شخصية شاعر عالم متمسك بدينه، ونراه فيها داعياً إلى الخلق الكريم والعمل الصالح، والأبيات التي قرأناها واضحة المعاني، سهلة اللفظ بعيدة عن الغموض، تقل فيها المحسنات البديعية التي كانت سمة من سمات الشعر في ذلك الزمن، كما تقل فيها الصور البيانية إلى حد كبير.

لكننا نحسّ أن عاطفة الشاعر كانت صادقة فنراه يحسّ بالأسى والحسرة بسبب من سوء تصرفات أهل زمانه، لذا نستشف في أبياته عاطفة الحزن الدفين.

●● **الحسين بن ثابت بن الحسين العبدي الجذمي**[١٣]، وترجمته كسابقه مجهولة، فالأستاذ الأثري لم يجد له ترجمة، وكذلك فعلت فلم أوفق.

وترجم له العماد فذكر أنه من عبد القيس من القطيف، ونقل رواية عن **علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي** أن الحسين بن ثابت هذا

شاعران من القطيف



★ د. شكري فيصل ★

كان شاعراً نسابة كاتباً لحق سنة ٥٥٠ هـ، ثم توفي بعُمان، وقد قابل الراوية أخاه بالقطيف. ونقل الراوية الأبيات التي أوردها العماد مشافهة عن **أبي شكر عبد القيس بن علي ... بن مالك الخارجي المالكي**، عندما لقيه بجزيرة **تاروت** القريبة من القطيف. وقد أخبره أن صاحبنا الشاعر قد حُبس في سجن أبي سفيان محمد بن فضل الله بن علي بن عبد الله بن علي العبدي المري، فلما طال حبسه كتب إلى قبيلته عبد القيس وعشائرها قصيدة يستغيث بهم، ويسألهم الشفاعة له عند الأمير لعله يطلق سراحه، وذكر في هذه القصيدة بطون عبد القيس وأمجاد القبائل حدود خمسين تبينة وفخذاً وعمارة.

يقول الراوية: والقصيدة طويلة جداً... ويدل ذلك على علمه بالنسب: دقيقه وجليله، لكن العماد لم يوردها كلها، وإنما قطّعها وأورد منها مقاطع، وأوّلها:

صِحْ بالعشيرةِ مِنْ (عَبْدٍ) وصِفْ وأعِدْ
بدارهِمْ واستغثْ أشْداً بها نُجُبا

وَنَبِّهْ (أبيرِقْ) واستنجدْ (بخارجةٍ)
ومن (هُصَيْص) فكن للأسد مُنْتخِبا

(والحارث) الغُرُّ فاستنجِدْ بسابطِها
فليثُها لا يَرُدُّ البأسَ إنْ وثَبا

ومنها أبيات يصور فيها ما أصابه من هوان، ويعاتبهم على نسيانه وإهماله، يقول:

قُلْ لَهُمْ: إنَّ رَيْبَ الدَّهر أورثني
منه هواناً وأرى صرفَهُ خربا

يا ليتني لم أكنْ منهم فتعرفني الـ
أعدا، فتضحكَ من تهوينهم عَجَبا

أتغفلون عن ابن العم أنْ غدرتْ
به الليالي، وحالَ الدهرُ وانقلبا

والله، ما أحدٌ في الناس يعذرُكُمْ
وأنتُمْ تفخرون الدهرَ والنسبا

ويقول منها:

ما تفزعونَ عبادَ اللهِ حيث أنا
في سجنِكُمْ، وبنائي تمنعُ التحبُّبا

هل تنتخون بغَلْيٍ من حديثِكُمْ
أوْ تنثنون أسيراً منكُمْ غضبا

ويختم قصيدته مفتخراً بجنسه ونسبه قائلاً:

أنا (ابنُ ثابت) من نَسْلِ الشيخِ أبي
كَعْبِ بن أخوى بن عوفِ الكِبْرِ إنْ نُسِبا

وبهذا البيت يختم العماد ترجمته له، بل يختم الجزء الثالث من القسم الأول من خريدة القصر ونعني به قسم شعراء العراق.

---

(١) له تراجم وافية في رسالتنا عنه «العماد الأديب وخريدته»، المخطوطة ص ٢٠ وما بعدها.

وفي: مرآة الزمان لابن الجوزي، جـ ٨، ق ١، ص ٥٠٤، والجامع المختصر لابن الساعي، جـ ٩/ ٦١، ووفيات الأعيان لابن خلكان، جـ ٤/ ٢٣٣، وفي الوافي بالوفيات للصفدي، جـ ١/ ١٣٢، وفي مقدمة خريدة القصر - قسم شعراء العراق، تحقيق الأستاذ الأثري ورسمه، جـ ١، ص ٩ وما بعدها.

(٢) تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي، جـ ٤، ق ٢، ص ٨٤٥.

(٣) مقدمة قسم شعراء العراق، جـ ١، ص ١٠.

(٤) الروضتين في أخبار الدولتين «النورية والصلاحية» لأبي شامة المقدسي.

(٥) البرق الشامي للعماد الأصفهاني، وفيه أرخ للحوادث التي وقعت في دولة نور الدين محمود زنكي، وكذلك في عهد صلاح الدين الأيوبي، حتى بعد وفاته بقليل سنة ٥٨٩ هـ.

(٦) الفتح القسي في الفتح القدسي: كتاب في التاريخ قصره العماد على فتوحات صلاح الدين الأيوبي في السنوات السبع الأخيرة من حياته ابتداء من سنة ٥٨٣ هـ، وانتهى به إلى نهاية وفاة السلطان سنة ٥٨٩ هـ.

(٧) مصورة مخطوطة الجزء الثالث من خريدة القصر للعماد الأصفهاني، المصورة عن نور عثمانية رقم ٤٣٧٦، في مكتبة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة (سابقاً)، الورقة رقم ١٧٧، وفي مكتبتي نسخة مصورة عنها.

(٨) قسم شعراء العراق من الخريدة، الجزء الرابع، ص ك.

(٩) مصورة المخطوطة السابقة ابتداء من الورقة ١٦٧، حتى نهاية المخطوطة الورقة ١٧٩.

(١٠) مقدمة المخطوطة تكملة خريدة القصر - قسم شعراء العراق، تحقيق الأستاذ الأثري في الصفحتين ٩ - ١٠.

(١١) تكملة خريدة القصر - قسم شعراء العراق، ص ٨٥١.

(١٢) الورقة ١٧٧ من المخطوطة السابقة المصورة عن نور عثمانية رقم ٤٣٧٦، وكذلك في تكملة خريدة القصر - قسم شعراء العراق، ص ٨٥١.

(١٣) الورقة ١٧٨ من المخطوطة السابقة، وكذلك في تكملة خريدة القصر - قسم شعراء الشرق، ص ٨٦٠.



جابر بن حيان أو أبو موسى الأزدي

بقلم : د . علي عبد الله الدفاع

هو أبو عبد الله جابر بن حيان[1] ، عاش في الفترة ١٠١ ـ ١٩٧ هجرية (٧٣٠ ـ ٨١٣ ميلادية) . بينما يروي لنا أنور الرفاعي في كتابه (تاريخ العلوم في الإسلام) ، أن جابر بن حيان من مواليد القرن الثاني للهجرة (بين سنتي ١١٢ أو ١٢٣ ـ ١٩٥ هجرية) (٧٣٠ أو ٧٤٠ ـ ٨١٠ ميلادية) ، وأنه عاش في بلاط هارون الرشيد ، واتصل عن قرب بالبرامكة ، وخاصة يحيى بن خالد البرمكي وابنيه الفضل وجعفر . وفي بعض الأحيان ، يدعى أبا موسى[2] ، فهو طويل القامة ، كثيف اللحية . يقول عبد الرزاق نوفل في كتابه (المسلمون والعلم الحديث) : شيخ جليل ، ذو قوام طويل ، وشكل مهيب ... له لحية كثيفة تزين رأساً كبيراً .. اشتهر بين قومه بالإيمان .. أطلق عليه الأستاذ الكبير وشيخ الكيميائيين في الإسلام .

هناك إجماع على أنه ولد في طوس في خراسان[3] ، وأنه عربي الأصل ، من قبيلة الأزد في اليمن .

عاش أبوه في الكوفة في أواخر عصر بني أمية ، وكان صيدلياً ، وبقي يمارس مهنته حتى أوائل القرن الثامن الميلادي ، حينما بدأ العباسيون يطالبون بني أمية بالخلافة ، فشايعهم حيان ، وأصبح من دعاة الدعوة العباسية ، فأخذ يتنقل من بلد إلى آخر مبشراً وداعياً لها ، حتى وصل إلى (طوس) في خراسان ، وهناك ولد ولداً سماه (جابر) ، وذلك سنة ١٠١ هجرية ، (٧٢٠ ميلادية) ، أو في حدود هذا التاريخ . واسمه الكامل هو **(جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي)** ، ويكنى بأبي موسى .

لقد أدرك الأمويون الدور الذي يقوم به حيان في بلاد فارس ، فقبض عليه وأعدم ، ورجعت عائلته إلى قبيلتها (**أزد**) ، وهناك ترعرع جابر . ولما استولى العباسيون على الخلافة سنة ٧٤٩ ميلادية ، رجع جابر إلى الكوفة ، وانخرط في حلقات التعليم التي يعقدها **الإمام جعفر الصادق** ، ثم اتصل به ولازمه ، ودرس على يده بعض علوم الفقه والدين ، بل إنه استطاع بتوجيهه أن يحرر الكيمياء من أساطير الأولين التي علقت بها ، من أجل ذلك يجب أن يقرن اسم جابر مع أساطين هذا الفن في العالم ، أمثال : **بويليه ، وبريستله ، ولافوازيه** ، وغيرهم من العلماء . كما تتلمذ ابن حيان على مؤلفات خالد بن يزيد بن معاوية ، وأخذ عنه الكثير .

درس جابر بن حيان بكل إمعان المنهج العلمي عند علماء اليونان ، فوجده يرتكز على التحليلات الفكرية الغامضة . لذا نلاحظ أنه اعتمد على المنهج العلمي الذي يستند على التجربة والبرهان الحسي ، مع الاحتفاظ بالأفكار الرياضية التي تعتبر عصب البحث العلمي .

يقول محمد عبد الرحمن مرحبا في كتابه (**الموجز في تاريخ العلوم عند العرب**) :

« هو الذي وضع الأساس العلمي للكيمياء الحديثة . فقد أضاف إلى المعرفة الإنسانية عصراً جديداً افتقر إليه اليونان ، **وذلك هو اعتماده على التجربة والبرهان الحسي ، وعدم الاكتفاء بالفروض والتحليلات الفكرية الغامضة ، التي كانت محور المعرفة عند اليونان** . وإن من يمعن النظر في كتبه من وصف واضح شامل للتحضيرات الكيماوية ، لا يسعه إلا الإعجاب به ، فهو يبدي من الاهتمام بالتجربة والملاحظة ، ما لا نجده إلا في العصر الحديث . فقد كان دستوره الدائم **العمل وإجراء التجارب** ، وإلحاحه على أن **المعرفة** لا تحصل إلا بهما » .

وأضاف **برتيلو**[4] في كتابه **(تاريخ الكيمياء في العصور الوسطى)** قائلاً : **« إن لجابر بن حيان في الكيمياء ما لأرسطوطاليس في المنطق »** .

مكانة ابن حيان

تميز جابر بن حيان عن غيره في حقل الكيمياء . فقد حلق في سمائها ، واعترف له بذلك الكثيرون من المتخصصين في علم الكيمياء . يقول **سنجر** في كتابه (**المختصر في تاريخ الفكر العلمي**) :

« لقد نال جابر بن حيان الشهرة المرموقة بين معاصريه بأنه **أبو الكيمياء**



العربية على السواء دون منازع . ولكن لسوء الحظ ، هذه الشهرة قادت الحسدة والسفهاء والجهلاء إلى عدم احترامه ، بل حاكوا له المؤامرات التي اضطرته إلى الاختفاء والتستر عن أعين الناس ، وهناك أناس معرضون من مؤرخي العلوم استغلوا هذا ، وذهبوا إلى أن جابر بن حيان لا وجود له ، أما البعض الآخر فيقولون إنه لا يمكن أن يكون له هذا الإنتاج العلمي الضخم » .

يقول جلال مظهر في كتابه (**حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي**) : « إن الفترة التي عاشها جابر بن حيان متنقلاً متستراً ، كانت السبب في تلك الروايات المختلفة التي حيكت حول أصله ونشأته ومذهبه ، بل حول إنكار وجوده . ولا يستبعد أنه هو نفسه أو بعض أفراد أسرته ، قد عمد إلى إطلاق روايات حول اختفائه وإنكار وجوده تضليلاً للباحثين عنه » .

أما **الشيخ عز الدين أيدمر بن علي الجلدكي** فيروي في كتابه (**نهاية الطلب**) نقلاً عن **إسماعيل مظهر** في كتابه (**تاريخ الفكر العربي**) : إن كثيراً مما عانى كيميائيو العرب لدى أول اشتغالهم بهذا العلم من الاضطهاد والمصاعب . وذكر عن جابر بن حيان أنه خلص من الموت مراراً عديدة ، كما أنه قاسى كثيراً من انتهاك الجهلاء لحرمته ومكانته ، وأنهم كانوا يحسدون عليه علمه وفضله . وأضاف **زكي نجيب محمود** في كتابه (**جابر بن حيان**) قائلاً : بل إن الحقد قد تخطى أبعاد الزمن ، حتى أدرك مؤرخاً للعلم في العصر الحديث ، أراد أن يضع جابر بن حيان في موضعه من تاريخ الكيمياء ، فاستكثر عليه أن يكون هو صاحب النظريات الكيماوية ذات القيمة التي تنسب إليه في أوروبا ، فراح يشطر إنتاجه شطرين : شطر فيه الدسم العلمي ، نسبه إلى مؤلف قال عنه إنه مجهول ، وإنه انتحل لمؤلفاته اللاتينية في العصور الوسطى اسم (**جابر**) ، ليحتمي بسمعته وشهرته ، وشطر فيه تفاهة وغثاثة هو الذي يجوز نسبته إلى جابر العربي ، أما هذا المؤرخ للعلم الذي أشير إليه ، فهو (**برتيلو**)[*] . أما **هولميارد** فيؤكد لنا في كتابه (**المبدعون في علم الكيمياء**) : إن جابر بن حيان كان شخصية غير عادية ، وليس هناك مجال للشك في إنتاجه السخي حول المواضيع المختلفة في العلوم الطبيعية .

في هذه المناسبة أحب أن أتطرق لموضوع هام منشؤه الحسد . ذلك أن هناك جماعة من أهل العلم مع الأسف ، يعتقدون أن جابر بن حيان لم يصنف هذه المؤلفات الراقية ، بل إنه حقيقة ألّف كتاب (**الرحمة**) ، وأما المصنفات الأخرى فهي منحولة إياه . هذا أمر عجيب ، فكيف يعصر إنسان فكره ، وينهك قوته بالتنقيب والبحث عن المعلومات الثمينة ، ثم ينسبها لإنسان آخر . لقد صدق **ابن النديم** عندما قال في كتابه (**الفهرست**) : إن رجلاً فاضلاً يجلس ويتعب ، فيصنف كتاباً يحتوي على ألفي ورقة ، يتعب قريحته وفكره بإخراجه ، ويتعب يده وجسمه بنسخه ، ثم ينحله لغيره ــ إما موجوداً أو معدوماً ــ ضرب من الجهل . وإن ذلك لا يستمر على أحد ، ولا يدخل تحته من تحلى ساعة واحدة بالعلم . وأي فائدة في هذا ، وأي عائدة ؟ . ويعقب **كارا دي فو** على كلام ابن النديم ويقول في **دائرة المعارف الإسلامية** : إن زعم أسطورية جابر بن حيان ، رواية نرفضها بدون تردد .

أما **جابر الشكري** فيقول في كتابه (**الكيمياء عند العرب**) : لقد ترددت بعض الأقاويل عن حقيقة جابر بن حيان ، واختلفوا في أمر وجوده ، ولا ندري كيف ولماذا جاء هذا الزعم ؟! ، وقد تمسك بهذا القول بعض الأوروبيين غير المنصفين لتاريخ الحضارة العربية إبان بداية النهضة عندهم ، فأنكروا حقيقة هذا الفيلسوف العبقري ، ونسبه بعضهم إلى إيطاليا ، وسموه باسم (**جبر**) .

مثل هذه المحن تمر على أكابر العلماء ، فهؤلاء العجزة المدعون للعلم في الشرق والغرب ، يعتقدون أن عملاً كعمل جابر بن حيان ، لا يستطيع إنسان القيام به بمفرده . فمنهم من قال إن طلاب جابر بن حيان ألّفوا كثيراً من مؤلفاته ونسبوها إليه ، حتى يتمكنوا من ترويجها لشهرته العظيمة في مجال الكيمياء وغيرها من العلوم الأخرى .

إن تفكيراً مثل هذا يدل على هوس خطير ، بل إن الغربيين بلغ بهم الاستهتار إلى أن أنكروا وجود جابر . **على كل حال لقد صار والحمد لله جابر بن حيان عند جميع المؤرخين في تاريخ العلوم حقيقة ، ومؤلفاته تزيد عن مائة واثني عشر كتاباً ، ليست في الكيمياء فقط ، ولكن في مواضيع أخرى مثل : الطب والأدوية والسموم واللغة والبيان والطلاسم وصناعة الذهب والإكسير** ... إلخ .

حياته ومكانته

ويقال : إنه سمي (جابراً) ، لأنه هو الذي جبر العلم ، أي : أعاد تنظيمه ، وكني **بالكوفي** ، لأنه قضى مدة طويلة من حياته في مدينة **الكوفة بالعراق** .

ويقول **سيد حسين نصر** ، في كتابه (**العلوم والحضارة في الإسلام**) : إن عائلة جابر بن حيان جاءت من جنوب الجزيرة العربية إلى الكوفة ، وعندما كبر جابر بن حيان ، هاجر إلى بغداد ، حيث شاع صيته بين علماء الكيمياء آنذاك . وأضاف **م . بليستر في قاموس تراجم العلماء** نقلاً عن العالم الكيميائي **هولميارد** أن أبا جابر بن حيان كان بائع عقاقير (**صيدلياً**) في الكوفة ، وذلك في مطلع القرن الثاني الهجري ، (بداية القرن الثامن الميلادي) .

وجابر (ابنه) **يعتبر رائد علم الكيمياء ، وأستاذ علماء الشرق والغرب في هذا الحقل ، والكثير من العلماء التابعين له حذوا حذوه** . ويقول **أبو بكر الرازي** في كتابه (**الأسرار وسر الأسرار**) : إن جابر بن حيان من أعلام العرب العباقرة ، وأول رائد للكيمياء ، وأشار إليه في أكثر من كتاب بعبارة (أستاذنا جابر بن حيان) ، ومدحه هولميارد في كتابه (**الكيمياء إلى زمن دالتون**) بقوله : **إن جابر بن حيان هو أول من يستحق لقب الكيميائي من المسلمين** .

بقي جابر طفلاً يتيماً فدرس العلوم على علماء الكوفة ، ونبغ في علم الكيمياء . ثم ذهب إلى بغداد ، وتعرف على الخليفة العباسي **هارون الرشيد** ، فكرّمه وشجعه على دراسة الكيمياء . ويقول **جورج سارتون** في كتابه (**المدخل إلى تاريخ العلوم**) : **إن جابر بن حيان نال الشهرة العظيمة بسبب إنتاجه المرموق في حقل الكيمياء ، فهو موسوعة القرون الوسطى بالعلوم جميعها** .

ذاع صيت جابر بن حيان في حقل الكيمياء في العالم أجمع حتى أواخر القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) . يقول فاضل أحمد الطائي في كتابه (**أعلام العرب في الكيمياء**) : لقد احتل اسم جابر بن حيان مكانة مرموقة بين أسماء من اشتغل بالعلوم ، ولا سيما علم الكيمياء لم يتسن لغيره الوصول إليها طول القرون المحصورة بين الثامن والسابع عشر ، لا في مشرق الأرض ولا مغربها ، نظراً لكثرة ما ألّف من رسائل وكتب في مواضيع علمية مختلفة ، وللمهارة التجريبية التي امتاز بها عن سواه . . .

منهجه في البحث

يُعدُّ جابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء بدون منازع ، ويظهر ذلك من مؤلفاته الفذة والأصيلة . لقد بنى جابر بن حيان معلوماته الكيميائية على التجارب والاستقراء والاستنتاج العلمي ، لذا فإنه صاحب المنهج العلمي . لقد كان للإمام **جعفر الصادق** مكانة علمية مرموقة ، لذا قدم جابر بن حيان إلى بغداد لكي يتتلمذ عليه ، فتلقى عليه مبادئ علم الكيمياء ، فأثبت جابر بن حيان جدارة ونبوغاً أدهشا أستاذه جعفر الصادق . يقول **جورج لوكهان** في كتابه (**قصة الكيمياء**) : « إن جابر بن حيان ، والده من أصل عربي ، وأمه فارسية ، غادر طوس (عاصمة خراسان) إلى بغداد ، وذلك في القرن الثامن الميلادي لطلب العلم ، يعتبر بحق مؤسس علم الكيمياء في العالم أجمع » . أما **ف . ج . مور** فيمتدح جابر بن حيان في كتابه (**تاريخ الكيمياء**) قائلاً : « من الصعب جداً ، بل من المستحيل تقديم تاريخ متكامل لعلم الكيمياء بدون دراسة إنتاج جابر بن حيان دراسة وافية ، حيث إن جابر بن حيان المعروف عند الغرب باسم (Greber) ، قام بأعمال تمتاز بدقتها ، ولكن مع الأسف أن معظم هذه الثروة الثمينة ، لا تزال مخطوطة في اللغة العربية مقبورة في مكتبات العالم » .

لقد حاول جابر بن حيان تحويل الكيمياء القديمة (Alchemy) ، إلى ما نعرفه اليوم **الكيمياء** (Chemistry) ، ولكن أمراً كهذا يأخذ مدة طويلة حتى يتسنى التغيير المرغوب فيه . لذا نجد أن المؤرخين في تاريخ العلوم ، مجمعون على أن جابراً هو **مؤسس علم الكيمياء بوجه عام** . ويذكر سيد حسين نصر في كتابه (**دراسات إسلامية**) : « فمن دراسة الآثار التي خلفها ، والمواضيع العلمية التي عالجها ، يمكن ويصح أن نقول إن جابر بن حيان هو الذي حوّل الكيمياء القديمة إلى علم الكيمياء المعروف في عصرنا الحاضر » .

لقبه الغربيون أيضاً

لقد عرُف ابن حيان ، إذن ، بين الأوروبيين باسم **Greber** ، واشتهر

كتبه كتاب (**الخالص في اللاتينية** Summa Perfectionis) ، الذي بقي يستخدم في جامعات الغرب عدة قرون . لقد امتدحه الكثير من علماء الغرب ، ويظهر ذلك من قول **أحمد شوكت الشطي** ، في كتابه (**مجموعة أبحاث عن تاريخ العلوم الطبيعية في الحضارة العربية الإسلامية**) : نبغ جابر بن حيان في أواخر القرن الثامن الميلادي ، فشهد بفضله كبار العلماء وسمّاه **باكون** الفيلسوف الإنجليزي ، **معلم المعلمين** ، وكان يقرن ببرهان الطبيب الكيمياوي الفلمنكي ، اسم جابر بالرائد على ما كشف من المكتشفات الضرورية للطب والكيمياء ، وقد لقبه بواضع علم الكيمياء . أما **لوكليرك** فيقول في كتابه (**تاريخ الطب العربي**) : « إن جابر بن حيان من أعظم شخصيات القرون الوسطى بلا منازع ، لا يساويه عالم في عصره لسعة اطلاعه ومعرفته ، وإليه يرجع الفضل في تشجيع الكثير من طلاب العلم بمتابعة منهجه ، ودراسة أبحاثه الكيمياوية ، مما هيأ للوصول إلى الكيمياء الحديثة » .

أهمية التجارب في الكيمياء

كانت الكيمياء في زمن جابر بن حيان لا زالت في مهدها . وكان العرب يسمونها **الصنعة** ، لأنها كانت حرفة كغيرها من الحرف التي لا تحتاج إلى علم غزير ولا مراس طويل ، ولم يلبث جابر طويلاً حتى بدأ حياته العلمية بالاشتغال بالكيمياء ، فألّف أول كتاب له بعنوان (**الرحمة**) ، تطرق فيه إلى تحويل المعادن إلى ذهب ، أظهر فيه جابر بن حيان قدرة خارقة في الكيمياء ، حتى أصبح باحثاً في الكيمياء كعلم من العلوم ، وبذلك أسهم في تطويرها إسهاماً كبيراً ، بحيث أصبح يُعدُّ **أبا الكيمياء** .

وبقيت الكيمياء في العصور الوسطى تسمى (**علم جابر**) ، أو (**صنعة جابر**) . ولقد ركز جابر بن حيان في بحوثه على التجربة ، فكان مؤمناً إيماناً قوياً بها ، وكان ينصح طلابه بالقول المأثور عنه : « **وأول واجب أن تعمل وتجري التجارب ، لأن من لا يعمل ويجري التجارب ، لا يصل إلى أدنى مراتب الإتقان . فعليك يا بني بالتجربة لتصل إلى المعرفة** » .

لقد ازدهرت الحضارة العربية والإسلامية بإسهامات علماء العرب والمسلمين في حقل الكيمياء ، وذلك ناجم عن مصنفات جابر بن حيان التي صارت المرجع الفريد لدارسي علم الكيمياء .

يقول **م . م . باتيسون مير** في كتابه (**قصة السيمياء وبداية الكيمياء**) : مما لا يقبل الشك أن العالم المسلم ، الذي عاش في القرن الثامن الميلادي ، جابر بن حيان ، كان مسيطراً على علم **السيمياء** ، ومن ثم أسس علم الكيمياء . لقد أنجب هذا العالم الفذ تلاميذ أذكياء تتلمذوا على مؤلفاته مثل : **الرازي ، وابن سينا ، والمجريطي ، والفارابي** وغيرهم . ويذكر العلامة عبد الرحمن بن خلدون في (**المقدمة**) قائلاً : « إن جابر بن حيان تفوق في علم الكيمياء ، حتى صار الكثير من العلماء الذين لهم دور في هذا المجال يسمونها علم جابر بن حيان » .

العلم والإيمان

اشتهر الكثير من علماء العرب والمسلمين ، ليس فقط بالعلوم الشرعية ،



جابر بن حيان

فكان جابر بن حيان ، من هؤلاء العلماء الذين يحثون على دراسة القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية . كما كان ينصح طلابه على المثابرة والصبر في دراستهم المخبرية لعلم الكيمياء . يقول **موريس ب . كروسلاند** في كتابه **(دراسة تاريخية في لغة الكيمياء)** : « **إن العملاق جابر بن حيان كان متفوقاً في علم السيمياء بجانب تمسكه بالتوحيد** ، فهو حجة زمانه في علم الكيمياء . كما كان يشجع طلابه على الاستمرار والصبر ، وعدم اليأس حتى ولو فشلوا في بعض تجاربهم ، فكان يقول لهم : **(يجب أن تدعوا الله تبارك وتعالى أن يعينكم على تجربتكم ، كما يلزم الصبر والمثابرة)** » .

إبداعه

يقول **محمد زهير البابا** في كتابه **(تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة)** : لقد ذكر جابر بن حيان ، في مؤلفاته التجارب والطرق والقواعد التي استند إليها في أبحاثه ، مما كان له الفضل الأكبر في تقدم العلم . واستحضر أيضاً بعض الأملاح والحموض النقية ودرس خصائصها وفوائدها ، كما اهتدى إلى الماء الملكي[٦] .

ويعود إلى جابر بن حيان الفضل أيضاً في إيجاد وتحسين بعض الطرق الكيميائية والأدوات والأواني ، المستعملة في إجراء التجارب ، والتي وصفها وشرح طريقة عملها في مؤلفاته . كما أنه أول من استعمل **الموازين الحساسة ، والأوزان الدقيقة** في تجاربه ، **كالقيراط ، والدانق ، والدرهم ، والمثقال ، والأوقية ، والرطل** .

التراث اليوناني

ودرس جابر بن حيان **نظرية أرسطو** التي كانت معروفة في القرن الرابع قبل الميلاد ، القائلة إن كل الموجودات في العالم تتألف من **الماء ، والهواء ، والتراب ، والنار** ، ولها خواص أربع هي : **الحرارة ، والجفاف ، والرطوبة ، والبرودة** .

يقول **عبد الحميد أحمد** في كتابه **(أثر الحضارة الإسلامية)** : رأى أرسطو أن هناك قواماً وسطاً من التراب والنار ، كانوا يصفونه **(بالدخاني)** ، وهو يصدر من تحوّل التراب إلى النار ، وكذلك كان يرى أن هناك قواماً بين الماء والهواء ، وكانوا يصفونه **(بالمائي)** ، وهو يصدر عن تحوّل الماء إلى الهواء ، وباجتماع هذين القوامين في باطن الأرض تحدث الفلزات **(الفلزات : هي الجواهر التي لا تحرقها النار ، بل تذيبها ، فإذا فارقتها النار ، عادت إلى حالتها الأولى ، وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والخارصين)** ، وفيها يزيد عادة مقدار القوام (الدخاني) . فطغت آراء أرسطو على فكرة الذرة ، وبقيت مسيطرة على أفكار العلماء حوالي ألفي سنة .

وقد ذكر المؤلف المعروف **إدوارد فارير** في كتابه **(النوابغ في علم الكيمياء)** أن جابر بن حيان خالف نظرية أرسطو وقال : **إن الفلزات لا تتكون باتحاد القوامين مباشرة ، بل إنهما (أي القوامان) يتحولان أولا إلى عنصرين جديدين ، فالقوام الترابي الدخاني يتحول إلى كبريت ، والقوام المائي يتحول إلى زئبق** .

وقد بقيت نظرية جابر بن حيان سارية المفعول لدى الكيميائيين حتى القرن الثاني عشر الهجري ، (الثامن عشر الميلادي) ، حيث بدأ عصر الكيمياء التي بنيت على الدراسات المجهرية .

لقد استعاد جابر بن حيان من التراث العلمي اليوناني ، حيث بنى معلوماته الكيميائية عليه . يقول **زكي نجيب محمود** في كتابه **(جابر بن حيان** : كان جابر بن حيان شأنه شأن رجال العصور الوسطى جميعاً ، يستمد أصوله الفكرية من تراث اليونان ، ثم يبني عليها ما شاءت له قدرته أن يبني من علم جديد ، ومن التراث الفلسفي اليوناني ، أخذ جابر فكرة الطبائع الأربع الأولية ، التي منها نشأت الكائنات جميعاً ، وهي : **الحرارة ، والبرودة ، واليبوسة ، والرطوبة**[*] ، ولو قلنا ذلك بلغة اليوم لقلنا إنها الحرارة بدرجاتها المختلفة ، والصلابة بدرجاتها المختلفة .

وإذا كانت الحرارة في جوهرها **حركة** ، وإذا كانت الصلابة في جوهرها **تقارباً** في ذرات الجسم الصلب ، فالأصول الأولية ـ بلغة اليوم ـ هي حركة الذرات ، التي إن ازدادت سرعة كانت حرارة ، وإن قلّت سرعة ، كانت **برودة** ، وإن تراجعت كانت **صلابة** ، وإن تباعدت كانت **ليونة** .

ومهما يكن من أمر ، فقد أخذ جابر عن التراث اليوناني هذه الطبائع الأولية الأربع ، وجعلها أصلاً للكائنات جميعاً . هذه الطبائع الأربع الأولية ، تجتمع اثنتين اثنتين فتكوّن أجساماً أربعة : فالحرارة واليبوسة معاً يكوّنان **النار** ، والحرارة والرطوبة معاً يكوّنان **الهواء** ، والبرودة واليبوسة معاً يكوّنان **الأرض** ، والبرودة والرطوبة معاً يكوّنان **الماء** . وليس في الطبيعة كائن يخلو تركيبه من أن يكون واحداً من هذه الأجسام ، أو مزيجاً مركباً منها ، لا فرق في ذلك بين جماد ونبات وحيوان ، إلا في نوع المركب ودرجة التركيب .

لقد قام جابر بن حيان بكثير من العمليات المخبرية **كالتبخير ، والتكليس ، والتصعيد ، والتقطير ، والتكثيف ، والترشيح ، والإذابة ، والصهر ، والبلورة** . وحضر عدداً كبيراً من المواد الكيميائية مثل : **أوكسيد الزئبق ، وكبريتيد الزئبق ، وحامض الكبريتيك ، وحامض النتريك ، وحامض الأوزتيك ، والماء الملكي** الذي يذيب الذهب .

ولقد قدم **جابر الشكري** في كتابه **(الكيمياء عند العرب)** ، طريقة تحضير جابر بن حيان لبعض المواد الكيميائية مثل : **الزنجفر ، وحامض النتريك** ، وفصل القول في ذلك تفصيلاً مفيداً ، كشف عن براعة ابن حيان في التجارب المخبرية ، وكشف عن قدرته على تحليل نتائجها واستخلاص قوانينها .

اهتم جابر بن حيان اهتماماً كبيراً **بعلم الميزان**، وهو ما يسمى في العصر الحديث **بقانون الأوزان المتكافئة**. ويقول الأستاذ **عبد الحليم منتصر** في بحثه الذي قدمه في مؤتمر الحضارة العربية بين الأصالة والتجديد في عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، في **بيروت**، الذي جاء بعنوان: **(المنهج العلمي التجريبي لدى علماء العرب في العصر الإسلامي)**: إن جابر بن حيان أدخل على الصناعة شيئاً جديداً اسمه **(علم الميزان)**، فجعل لكل من الطبائع الأربع ميزاناً، ولما كان الذهب أصبر المعادن على النار، فقد اعتبر جابر بن حيان أن الطبائع متوازنة متعادلة فيه. أما الفلزات الأخرى فطبائعها غير متوازية، وفي رأيه إذا ما تعادلت الطبائع في أي منها، أمكن تحويله إلى الذهب الإبريز. وقد ذكر عبد الحليم منتصر في محاضرة ألقاها في بغداد عام ١٣٩٦ هـ، في مؤتمر الفيزيائيين والرياضيين العرب التي بعنوان: **(هل الحضارة ستشرق من الشرق مرة ثانية)**: عندما قام جابر بن حيان بتجربته المشهورة: (زئبق + كبريت تعطينا حجر أحمر)، وهو ما يسميه العلماء بالزنجفر، وهي ليست مادة جديدة في كليتها، والحقيقة أن هاتين المادتين لم تفقدا ماهيتها، وكل ما حدث أنها تحولتا إلى دقائق صغيرة مختلفة امتزجت ببعض فأصبحت العين المجردة عاجزة عن التمييز بينها، وظهرت المادة الناتجة من الاتحاد متجانسة التركيب. ولو كان في قدرتنا وسيلة تفرق بين دقائق النوعين، لأدركنا أن كلاً منهما محتفظ بهيئته الطبيعية الدائمة.

هذا التصور في نظرنا يجلب الدهشة، حيث إن هذه التجربة توحي بالنظرية الذرية المشهورة التي تقول: (إن جميع المواد.. العناصر.. تتكوّن من دقائق متناهية في الصغر دائمة الحركة، لا تقبل التجزئة سميت ذرات. وإن ذرات العنصر الواحد متشابهة في الخواص، ومتساوية في الوزن. كما تختلف العناصر باختلاف ذراتها. وعندما تتحد الذرات لتشكيل مركبات، فإن الاتحاد يتم بين ذراتها الصحيحة). ولكن علماء الغرب يدعون خطأ أن مكتشف هذه النظرية **هو جون دالتون** العالم الإنجليزي، الذي عاش فيما بين (١٧٦٦ — ١٨٤٤ ميلادية)، وهو عالم مشهور في حقلي الكيمياء والفيزياء. **إنه لمن العدل أن نقول إن جون دالتون لم يزد على تطوير النظرية الذرية التي ابتكرها العالم المسلم جابر بن حيان، الذي سبق دالتون بأكثر من ألف عام**. وقد طور العلم الحديث النظرية معتبراً أن الذرة غير مصمتة وبها فراغ.

لقد بلور جابر بن حيان بكل نجاح فكرة أن كل العناصر مؤلفة من عنصري الكبريت والزئبق. ويجدر بنا هنا أن نذكر بعض الأسباب التي دعت جابراً أن يتبنى هذه الفكرة، كما وردت في **كتاب (أعلام العرب في الكيمياء) لفاضل أحمد الطائي** وهي:

(١) إن أغلب العناصر التي عرفت في عهده قد استخرجت من كبريتيداتها بالتحميض أو (بالتشويه) كما ذكرها هو، حيث تنبعث غازات الكبريت كثاني أوكسيد الكبريت وغيره أثناء تعدينها.

(٢) إن أكثر العناصر التي حضرت في ذلك الوقت قد عدنت من كبريتيداتها، الأمر الذي يدعو المنتبه لهذه الحقيقة إلى الإيمان بوجود الكبريت في جميع ما استخرج من المعادن آنذاك، كما وقد كتب جابر في الكبريت كثيراً ووصف جميع صوره المعروفة في الوقت الحاضر من الكبريت الذهبي (زهر الكبريت)، والكبريت العمود، والكبريت المطاط.. إلخ.

(٣) إن اعتبار الزئبق من الأساسين الرئيسيين في تكوين المعادن جميعها، يرجع إلى أن الزئبق يكون مع أكثر المعادن المعروفة ملاغماً، فهو يتحد ببعضها اتحاداً كيمياوياً عن طريق تكوين (الأصرة المعدنية)، التي لم تعرف إلا في القرن العشرين، فيغير من صفات المعادن نفسها، ويظهرها بمظهر آخر، إلا أنه لا يتحد ببعض المعادن البخسة التي عرفت آنذاك، والتي لم يعرف منها سوى الحديد، وقد أشار جابر بن حيان إلى ذلك في أكثر من موضع في كتابه **(كتاب الخواص الكبير)**. ونتيجة لما قام به جابر من الدراسات، فقد تعرف على كثير من مركبات الزئبق كالسليماني، وأوكسيد الزئبق الأحمر، ولا أظن أن كيمياوياً يشك في أن نظرية جابر في تكوين المعادن أكثر عمقاً من نظرية الفلوجستون التي أوضحناها آنفاً، وبهذا يكون جابر قد وضع قدماً في الدور الأول للعلم، وآخر في الدور الرابع له.

إن جابر بن حيان هو أول من عرف أنه عند خلط محلول ملح الطعام مع محلول نترات الفضة ينتج راسب أبيض، وهذا الراسب هو كلوروز الفضة، كما لاحظ أن النحاس يكسب اللهب لوناً أخضر، واللهب يكسب النحاس اللون الأزرق، وقد أثبتت النظرية الذرية الحديثة ما توصل إليه جابر.

وشرح جابر بتفصيل، تحضير الزرنيخ والأنتيموان وتنقية المعادن وصبغ الأقمشة والجلود. وبحث في السموم، فألف فيها مؤلفاً بعنوان: **(السموم ودفع مضارها)**، وأعطى فيه أسماء السموم وأنواعها وتأثيراتها المختلفة على الإنسان والحيوان، وعلامة التسمم والمبادرة إلى علاجه، والتحصن من السموم. وفيه قسّم السموم إلى سموم حيوانية كسموم الأفاعي والعقارب وغيرها، وسموم نباتية كالأفيون والحنظل، وسموم حجرية كالزئبق والزرنيخ والزاج. لذا كان هذا الكتاب همزة الوصل بين الكيمياء والطب. **والجدير بالذكر أن جابر بن حيان زاد عنصرين جديدين إلى عناصر اليونان الأربعة وهما الكبريت والزئبق، ثم زاد الكيميائيون المسلمون بعد ذلك عنصراً سابعاً هو الملح**.

لقد استعمل جابر بن حيان أدق الموازين لوزن المواد التي استخدمها في تجاربه، فقد وزن مقادير تقل بكثير عن ١/١٠٠٠ من الرطل التي لا يمكن الحصول عليها إلا بجهاز دقيق للغاية.

المنهج العلمي

ويكفي جابر بن حيان فخراً أنه نقل علم الكيمياء من مجاهل الخرافات إلى حقائق العلم التجريبي في المختبرات. والجدير بالذكر أن منهج جابر بن حيان العلمي هو المنهج المتبع في العصر الحديث، وقد لخص لنا زكي نجيب محمود في كتابه **(جابر بن حيان)**، منهج جابر بن حيان العلمي بالخطوات الآتية:

(١) أن يستوحي العالم من مشاهداته فرضاً يفرضه ليفسر الظاهرة المراد تفسيرها.



(٢) أن يستنبط من هذا الفرض نتائج تترتب عليها من الوجهة النظرية البحتة .

(٣) أن يعود بهذه النتائج إلى الطبيعة ، ليرى هل تصدق أولا على مشاهداته الجديدة ، فإن صدقت تحول الفرض إلى قانون علمي .

وأضاف زكي محمود قائلاً : إن منهج جابر بن حيان منهج علمي رياضي . فالمنهج العلمي الرياضي كان أيام جابر مقتصراً على الأبحاث العلمية البحتة ، وأصبح اليوم يدخل في أي بحث اجتماعي أو اقتصادي ، طالما أن الباحث يهدف للوصول إلى الحقائق التقنية الثابتة .

لقد لخص **هولميارد** منهج جابر بن حيان العلمي في عشر نقاط ، ذكرها في كتابه (**الكيمياء حتى عصر دالتون**) هي :

(١) على العالم عندما يجري تجربة علمية ، أن يعرف سبب قيامه بتلك التجربة ، وأن المنهج الرياضي ليس مقصوراً على العلوم الرياضية وحدها ، بل إنه عصب البحث العلمي بوجه عام .

(٢) عليه أن يلم تماماً بالإرشادات والتعليمات حول التجربة .

(٣) يجب تجنب ما هو مستحيل وما هو عقيم .

(٤) اختيار الزمن المناسب لإجراء التجربة .

(٥) يستحب أن يكون مكان التجربة معزولا .

(٦) يلزم أن يكون لدى الكيماوي أصدقاء يثق فيهم فيعينوه على تجربته .

(٧) يلزم أن يكون عنده الوقت الكافي لإجراء تجربته ، فلا يتسرع في الأمر .

(٨) يلزم أن يكون صبوراً .

(٩) يلزم أن يكون دؤوباً كتوماً غير يائس من الكشف عن الحقيقة المرجوة .

(١٠) يلزم أن يكون غير متسرع ، فلا تخدعه الظواهر فيتسرع في الوصول إلى النتائج التي يمكن أن تقوده إلى الفشل .

وأضاف علي أحمد الشحات في كتابه (**مكانة العلم والعلماء**) قائلاً : أول من أقام دراسة الكيمياء على الأسس العلمية الحديثة ، هو العالم العربي جابر بن حيان ، إذ دعا إلى إقامة الكيمياء على التجربة والملاحظة والاستنتاج .

منجزاته الكيمائية

ولخص لنا جابر الشكري في كتابه (**الكيمياء عند العرب**) النزر اليسير من إنجازات جابر بن حيان في حقل الكيمياء العامة هي :

(١) حامض الكبريتيك وسمي (زيت الزاج أو الزيت المذيب) ، وذلك نسبة إلى المادة الأولية التي استعملها في تحضيره ، وهي الزاج الأزرق (أي كبريتات النحاس) ـ وهذه المادة معروفة منذ العصور القديمة .

(٢) حامض النتريك ، وحامض الكلوريدريك . ومزج الحامضين فحصل على مزيج يذيب الذهب سمي (ماء الذهب) ، والمعروف اليوم باسم (الماء الملكي) .

(٣) الصودا الكاوية ، وربما هو الذي حضر كاربونات الصوديوم والبوتاسيوم .

(٤) أبيض الرصاص ، أي كاربونات الرصاص القاعدية .

(٥) الزنجفر أي كبريتيد الزئبقيك .

(٦) درس خواص الزئبق ، وحضر منه عدداً كبيراً من الملاغم ، ووصفها وصفاً متقناً .

(٧) عرف خواص الفضة وأيوناتها .

(٨) اكتشف طريقة فحص أيون النحاس فحصاً نوعياً ، فقد عرف أن مركبات النحاس تكسب اللهب لوناً أزرق .

(٩) ينسب إليه تحضير الكحول وحامض الخليك وحامض الليمون بصورها النقية .

(١٠) درس السموم ، وكتب فيها كتاباً قيماً هو (كتاب السموم) .

(١١) صنف وشرح أفضل الأجهزة والأدوات المختبرية المهمة ، كالمواقد والأفران ، وتعديل الحرارة ، بحيث تلائم التجربة .

(١٢) تعزى إليه عمليات جديدة لتحضير الفولاذ وتنقية المعادن .

(١٣) إيجاد أصباغ مستخلصة من النباتات لصبغ الجلود ، ومواد جيدة النوعية للدباغة نفسها .

(١٤) عمل في حقل الأصباغ الصناعية ، وعرف ماهية استعمال الشب (وغيره من الأصلاح الأخرى) ، في تثبيت الصبغ على النسيج (القماش) . وتعرف مثل هذه المواد في الكيمياء باسم المثبتات .

(١٥) حضر حبراً مضيئاً من المرقشيتا الذهبية (كبريتيد النحاس وغيره) ، واستخدمه بدلا من الذهب الخالص ، الغالي الثمن ، في كتابة وزخرفة المخطوطات الثمينة .

(١٦) يقال إنه توصل إلى تحضير بعض أنواع الطلاء التي تقي الثياب من البلل ، وتمنع الحديد من الصدأ .

علوم أخرى

لقد كان لجابر بن حيان باع في علمي **الفلك والفيزياء** ، بجانب تفننه في العلوم الطبيعية الأخرى ، فيقول **جمال الدين القفطي** في كتابه (**تاريخ الحكماء**) : إن جابر بن حيان الكوفي ، كان متقدماً في العلوم الطبيعية ، بارعاً في صناعة الكيمياء ، وله فيها تواليف كثيرة ومصنفات مشهورة ، وكان مع هذا

مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومتقلداً للعلم . . . وذكر محمد بن السعيد السرقسطي المعروف بابن المشاط الأسطرلابي الأندلسي ، أنه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفاً في العمل بالأسطرلاب يتضمن ألف مسألة لا نظير له .

أما دور جابر بن حيان في حقل الفيزياء فكثير ، ولكن نعطي ملاحظته العلمية الدقيقة بالنسبة لضعف قوة المغنطيس مع مرور الزمن . يقول **محمد إبراهيم الصيحي** في كتابه (**العلوم عند العرب**) : كان جابر بن حيان دقيق الملاحظة توصل بدقة ملاحظته إلى أن قوة المغنطيس تضعف بمرور الزمن ، وذلك عندما لاحظ أن حجراً من المغنطيس يحمل كتلة من الحديد زنتها (١٠٠) درهم ، وبعد مدة من الزمن ، حاول أن يختبر الحجر ، فلاحظ أنه لا يزن أكثر من (٨٠) درهماً فقط . كما لاحظ جابر بن حيان أثناء تجاربه العلمية ، أن دفع الماء يتناسب طردياً مع حجمه . ويذكر **محمد فياض** في كتابه (**جابر بن حيان وخلفاؤه**) أن جابر بن حيان له دراسات مستفيضة في العلوم الطبيعية ، فقد لاحظ أثناء إجراء تجاربه أن دفع الماء يتناسب طردياً مع حجمه .

مؤلفاته

يقول **قدري طوقان** في كتابه (**العلوم عند العرب والمسلمين**) : لقد كانت كتب جابر هذه منارا اهتدى به العلماء الذين أتوا بعده من العرب والإفرنج ممن مهدوا للانقلاب . وقد اطلع عليها **غاليلو وفرنسيس بيكون ونيوتن** وغيرهم . وكان لها أبلغ الأثر في الكشوف العلمية التي ظهرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، وسنعرض فيما يلي بعض مؤلفاته التي وردت في كتاب (**تاريخ الفكر العربي**) لإسماعيل مظهر وهي :

(١) كتاب أسطقس الأس الأول ، نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ م .

(٢) كتاب أسطقس الأس الثاني ، نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ م .

(٣) كتاب أسطقس الأس الثالث ، نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ م .

(٤) كتاب تفسير الأسطقس .

(٥) كتاب الواحد الأول . منه نسخة بالقسم العربي من المكتبة الأهلية (Bibliothque Nationale) بباريس في المجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(٦) كتاب الواحد الثاني . منه نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس في المجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(٧) كتاب الركن . يرجح أنه بعينه كتاب الأركان .

(٨) كتاب البيان . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ م .

(٩) كتاب النور . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ م .

(١٠) كتاب الزئبق . طبع برتيلو المؤلف الفرنسوي كتابين أحدهما باسم الزئبق الشرقي ، والآخر باسم الزئبق الغربي ، ونقلهما من مكتبة ليون في القسم العربي ، مجموعة رقم ٤٤٠ ، ومنهما نسختان بالمكتبة الأهلية بباريس ، بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(١١) كتاب الشعر . منه نسخة بالمتحف البريطاني ، بالمجموعة رقم ٧٧٢٢ ، نمرة ٥ .

(١٢) كتاب التبويب . منه نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس ، بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(١٣) كتاب الدرة المكنونة ، في المتحف البريطاني ، مخطوطة بهذا العنوان ضمن مؤلفات جابر بن حيان ، بالمجموعة رقم ٧٧٢٢ .

(١٤) كتاب الشمس .

(١٥) كتاب القمر .

(١٦) كتاب التراكيب . منه نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس ، بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(١٧) كتاب الحيوان .

(١٨) كتاب الأسرار . يرجح أنه كتاب « سر الأسرار » المحفوظة منه نسخة بالمتحف البريطاني ، بالمجموعة رقم ٢٣٤١٨ ، نمرة ١٤ .

(١٩) كتاب الأرض . لجابر كتاب « أرض الأحجار » ، طبعة برتيلو ، مأخوذاً عن مجموعة ليدن رقم ٤٤٠ ، ومنه نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس ، بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(٢٠) كتاب التركيب الثاني . منه نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس ، بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(٢١) كتاب الخواص . منه نسخة بالمتحف البريطاني ، بالمجموعة رقم ٤٠٤١ ، وبالمجموعة رقم ٢٣٤١٩ .

(٢٢) كتاب التذكير . وفي المتحف مخطوطة بهذا العنوان ، مذكورة ضمن مؤلفات جابر بالمجموعة رقم ٧٧٢٢ ، نمرة ١٢ .

(٢٣) كتاب الاستمام ، ويوجد في مخطوطات المتحف البريطاني رقم ٨٢٢٩ .

(٢٤) كتاب الأحجار . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ م .

(٢٥) كتاب الروضة .

(٢٦) كتاب المنافع . في مكتبة برلين مخطوطة رقم ٤١٩٩ بعنوان كتاب « منافع الأحجار » .

(٢٧) كتاب الإيضاح . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ م .

(٢٨) كتاب مصححات أفلاطون . منه نسخة بالقسطنطينية بمكتبة راغب باشا ، مجموعة ٩٦ رقم ٤ .

(٢٩) كتاب الضمير . منه نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس ، بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(٣٠) كتاب الموازين . طبعه برتيلو مأخوذاً من نسخة بليدن محفوظة بالمجموعة رقم ٤٤٠ .

(٣١) كتاب الملك . ويوجد في مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس ، تحت رقم ٢٦٠٥ .

(٣٢) كتاب الرياض . منه نسخة بمكتبة بودلي ، رقم ٧٠ ، وأخرى بالمتحف البريطاني ، المجموعة ٧٧٢٢ ، رقم ٥ .



(٣٣) كتاب أبي قلمون[٧] .

(٣٤) كتاب الـ « ب دوح »[٨] .

(٣٥) كتاب المجردات .

(٣٦) كتاب التصريف .

(٣٧) كتاب الثلاثين كلمة .

(٣٨) كتاب الخمسة عشر . معروف في اللاتينية باسم Liberxv . منه نسخة عربية في مكتبة جامعة ترنيتي بأكسفورد ، رقم ٣٦٣ .

(٣٩) كتاب مصححات سقراط . منه نسخة في مكتبة بودلي ، رقم ١٤١٦ .

(٤٠) كتاب السبعين . في المتحف البريطاني ، بالمجموعة ١٠٧٦٤ .

(٤١) كتاب شرح المجسطي . ومنه مخطوطة بجامعة كوريس كرستي بأكسفورد ، بالمجموعة ٢٣٣ ، وأخرى بمكتبة بودلي ، وثالثة بمكتبة جامعة كمبردج .

(٤٢) كتاب الوصية . منه نسخة بالمتحف البريطاني ، بالمجموعة ٧٧٢٢ .

(٤٣) كتاب الملاغم .

(٤٤) كتاب الخالص .

(٤٥) كتاب صندوق الحكمة .

(٤٦) كتاب إخراج ما في القوة إلى الفعل .

(٤٧) كتاب الحدود . منه نسخة بمكتبة القاهرة .

(٤٨) كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار . منه نسخة بالمتحف البريطاني في المجموعة ٧٧٢٢ ، رقم ٥٤ ، وأخرى بمكتبة القاهرة .

(٤٩) رسالة في الكيمياء . منها نسخة بمكتبة القاهرة .

(٥٠) كتاب في علم الصنعة الآلهية والحكمة الفلسفية . منه نسخة بمكتبة القاهرة .

(٥١) كتاب خواص إكسير الذهب . منه نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس ، بالمجموعة ٢٦٢٥ ، رقم ٦ .

(٥٢) كتاب المقابلة والمماثلة . بمكتبة برلين رقم ٤١٧٧ ، قسم عربي .

(٥٣) كتاب الرحمة . طبعه برتيلو عن نسخة مخطوطة بمكتبة ليون رقم ٤٤٠ ، قسم عربي .

(٥٤) كتاب الرحمة الصغير . طبعه برتيلو ، ومنه نسخة في المكتبة الأهلية بباريس ، بالمجموعة رقم ٢٦٠٥ ، ونقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ م .

. (٥٥) كتاب التجميع . في مكتبة ليون ، رقم ٤٤٠ ، قسم عربي .

(٥٦) كتاب التجريد . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ م .

(٥٧) كتاب السهل . منه نسخة بالمتحف البريطاني رقم ٧٧٢٢ .

(٥٨) كتاب الصافي . منه نسخة بالمتحف البريطاني ، رقم ٧٧٢٢ .

(٥٩) كتاب الإحراق .

(٦٠) كتاب التلخيص .

(٦١) كتاب الإبدال .

(٦٢) كتاب زهر الرياض .

(٦٣) كتاب الأصول . في المتحف البريطاني بالمجموعة ٢٣٤١٨ ، رقم ١٣ .

(٦٤) كتاب منهج النفوس .

(٦٥) كتاب شرح كتاب الرحمة .

(٦٦) كتاب العفو .

(٦٧) كتاب الراحة .

(٦٨) كتاب السر المكتوم .

(٦٩) كتاب العوالم . ومن هذا الكتاب نسخة في المكتبة الأهلية بباريس ، بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(٧٠) كتاب الذهب .

(٧١) كتاب الفضة .

(٧٢) كتاب النحاس .

(٧٣) كتاب الحديد .

(٧٤) كتاب الأسرب .

(٧٥) كتاب القصدير أو القالي .

ومن هذه الكتب الستة ، نسخ بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ .

(٧٦) كتاب الخارصيني . ومنه نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ .

(٧٧) كتاب الإيجاز .

(٧٨) كتاب الحروف .

(٧٩) كتاب الكبير .

ومن هذه الكتب الثلاثة ، نسخ بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ .

(٨٠) كتاب نار الحجر . ومنه نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ .

(٨١) كتاب الأربعة .

(٨٢) كتاب التصعيد .

(٨٣) كتاب الأطيان .

(٨٤) كتاب التنقية .

(٨٥) كتاب التنزيل .

(٨٦) كتاب المنتهى .

(٨٧) كتاب الخمسين .

(٨٨) كتاب الأدلة .

(٨٩) كتاب صفة الكون .

(٩٠) كتاب تدبير الحكماء .

(٩١) كتاب السموم .

تأثيره في المشرق والمغرب

وختاماً يعد ــ جابر بن حيان ــ شخصية فريدة في حضارتنا ، لما قدَّم من إنتاج علمي في جميع فروع المعرفة . وقد بقيت كيمياء جابر بن حيان مرجعاً لعلماء الغرب والشرق حتى القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ، وهو القرن الذي برز فيه كثير من علماء الغرب مثل : هوليارد وقاوس ولافوازيه وغاليلو وغيرهم . وبدون شك لولا مجهودات جابر بن حيان في الكيمياء ، لبدأ غاليلو ولافوازيه من حيث بدأ جابر بن حيان ، ولتأخرت الصناعة والمدنية عدة قرون . وفي كثير من الابتكارات والإضافات التي حصلت في علم الكيمياء يعود الفضل إلى جابر بن حيان الذي قال عنه برتيلو : « إن جميع الباحثين العرب وغير العرب في علم الكيمياء ، نقلوا عن جابر واعتمدوا على تأليفه وبحوثه » . وأضاف **ليكرك** في كتابه (**تاريخ الطب العربي**) : « إن جابر هو من أكبر العلماء في القرون الوسطى ، وأعظم العلماء في كل العصور » .

ولقد نهج جابر بن حيان المنهج العلمي التطبيقي ، فكان أول من استخدم المختبر للقيام بأبحاثه الكيميائية . فطريقته العلمية في بحوثه وتجاربه ، أحدثت أثراً كبيراً في تقدم علم الكيمياء . فأصبح بذلك جابر بن حيان من مفاخر الإنسانية ، حيث أنتج وأبدع في الإنتاج ، مما جعل علماء الغرب والشرق في الكيمياء يعترفون له بالفضل والسبق والنبوغ . وقال عنه المؤلف المعروف **جورج سارتون** في كتابه (**المدخل إلى تاريخ العلوم**) : « إنه كان شخصية فذة ، ومن أعظم الذين برزوا في ميدان العلم في القرون الوسطى » . ووصفه الكثير من معاصريه بالتصوف حتى أن علماء الكيمياء يكنونه بالصوفي ، وذلك بسبب انكبابه على القراءة والكتابة واعتزاله الناس . ما أجدرنا أن نحاول محاولة جدية دراسة وتحقيق ونشر إسهام جابر بن حيان العلمي ، حتى نستحق أن نكون خلف سلف لأحسن سلف .

تأثيره في العلم الحديث

إن المنهج الذي سلكه عالمنا جابر بن حيان يعتبر مفخرة لنا ، حيث إن كثيراً من مؤرخي العلوم يقولون لو أنه كتب بلغة عصرنا هذا ، لاعتبر إنتاجه من إنتاج العصر الحديث ، ذلك لأنه استند في منهجه على الاستنباط والاستقراء معاً . ومصداقاً لقولنا انظر النص الآتي من كتاب **الخواص** لجابر : « والله قد عملته بيدي وبعقلي من قبل ، وبحثت عنه حتى صح وامتحنته فما كذب » . لقد تبنى **فرانسيس بيكن** (١٥٦١ ــ ١٦٢٦م) ، الملاحظة الخارجية ، وجدها من منهج جابر بن حيان ، بينما **ديكارت** (١٥٩٦ ــ ١٦٥٠م) ، كان ممن احتضن الاستنباط العقلي وحده ، مقلداً بذلك أبا الكيمياء جابر بن حيان ، أما **جون ديوي** (١٨٥٩ ــ ١٩٥٢م) ، فقد جمع بين الملاحظة الخارجية والاستنباط ، فهو بهذه الحالة التزم بمنهج عالمنا الكبير جابر بن حيان . ومن المؤسف حقاً ، أنك عندما تقرأ في الكتب الحديثة ، ترى بكل وضوح المناهج الثلاثة المذكورة . طبعاً هذا لا يعني أن علماء الغرب قد أهملوا إنتاج جابر بن حيان وغيره من علماء العرب والمسلمين ، لا بل بالعكس ركزوا على دراسة إسهاماتهم العلمية ، لكي يحرفوا فيها .

اشتهر جابر بن حيان في العالم الأوروبي أكثر من شهرته في العالم العربي والإسلامي ، بل إن كتبه صارت مراجع مهمة جداً للعالم الغربي ، بينما العالم العربي والإسلامي ، لا يعرف عنه إلا القليل ، بل يعرفون مجرد اسمه . لذا نجد أن الغربيين أقبلوا على ترجمة مصنفاته العلمية من اللغة العربية إلى اللاتينية ، لما فيها من المعلومات التي دفعت حضارتهم . والجدير بالذكر أن الكثير من علماء الغرب أنصفوه وأكثروا من المدح والثناء عليه ، وعدُّوه من العقول النيرة والنادرة ، التي يسمح بها الدهر مرة ، ولكن هذا الاعتراف لا يمنعهم انتحال نظرياته وآرائه العلمية في الطب والفلسفة والكيمياء والعلوم الأخرى . يقول **محمد إبراهيم الصبحي** في كتابه (**العلوم عند العرب**) : « إلا أن جابر بن حيان في أواخر القرن الثامن الميلادي ، فخلق الكيمياء خلقاً جديداً ، جمع شتاتها وحذف منه الكثير مما يعد أقرب إلى الدجل منه إلى العلم ، وأدخل نظاماً جديداً على هذا العلم ، سار عليه هو وتلاميذه من بعده ، وما يزال قائماً حتى اليوم ، هو عدم التسليم بما لا يثبت بغير التجربة ، فكان منهاجه علمياً تجريبياً خالصاً ، وهو المنهج الذي اتصفت به المدرسة الكيميائية العربية ، وكان يؤمن إيماناً لا حد له بالبحث العلمي المبني على التجارب ، فاتخذ معملاً كيماوياً يجري فيه بحوثه وتجاربه » .

لقد أدخل جابر بن حيان على علم الكيمياء الذي ورثه من الحضارات الأخرى الملاحظة الدقيقة والتجارب العلمية . وأولى اهتماماً بالغاً رصد النتائج المبنية على التجارب المخبرية . والجدير بالذكر أن علماء اليونان اقتصرت خبرتهم على الصناعة والفروض الغامضة ، حيث إنهم ينظرون للعلوم الطبيعية نظرة فلسفية بحتة ، لذا فإن فشل علماء اليونان في حقل الكيمياء كان واضحاً ، وهذا الأمر قد اعترف به علماء الغرب والشرق على السواء .

الهوامش

(١) بعض المستشرقين نسبوه إلى إشبيلية من بلاد الأندلس ، وذلك تشابه في الاسم مع جابر بن أفلح الشيلي الفلكي المشهور ، الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي .

(٢) يدل أن جابر بن حيان ، كان له ولدان ، واحد اسمه عبد الله ، والثاني موسى .

(٣) مدينة تاريخية مشهورة ، تقع في الشمال الشرقي من إيران .

(٤) برتيلو : عالم فرنسي ، عاش فيما بين عام ١٨٢٨ ــ ١٩٠٧ ميلادية ، واشتهر بكتابه « تاريخ الكيمياء » في العصور الوسطى .

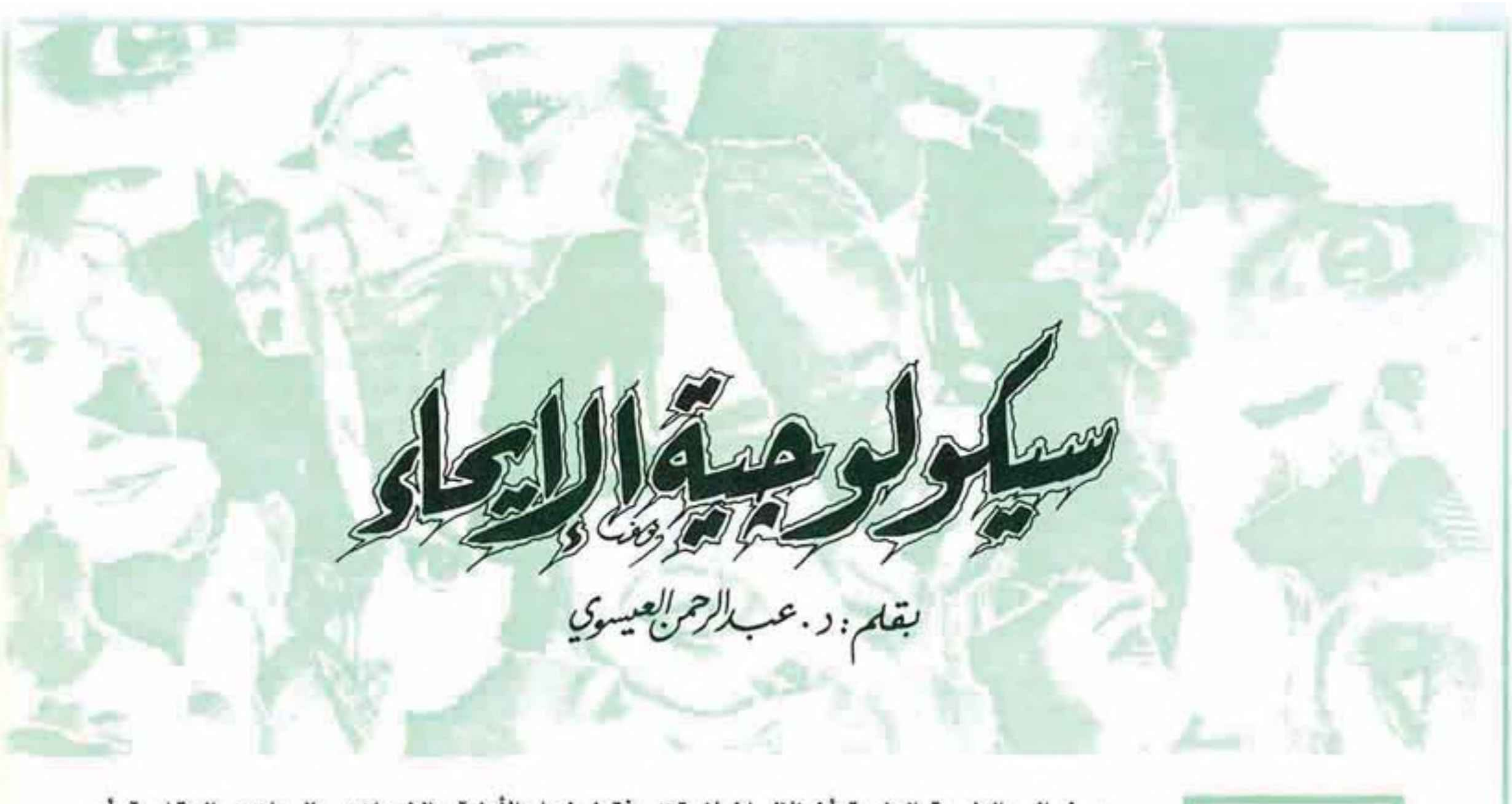
(٥) Berthelot La Chimie au Moyen - Age, t. L'A'chimie Arabe, Paris, 1893.

(٦) الماء الملكي : مزيج من حامض الكلوريد وحامض النيتريك ، وسمي الماء الملكي ، لأنه يذيب ملك المعادن الذهب .

(★) البرودة + الرطوبة = ماء
الحرارة + اليبوسة = نار
الحرارة + الرطوبة = هواء
البرودة + اليبوسة = أرض

(٧) أبي قلمون في العربية ، اسم للحشرة المعروفة بالإنجليزية باسم Jasper ، وهي حشرة تأكل الذباب .

(٨) هذه القراءة الصحيحة لكتاب الـ (ب د و ح) ، بدلا من كتاب البدوح ، لأن مجموع هذه الحروف يمثل القيمة العددية ٨ .



من غرائب الطبيعة البشرية أن الإنسان لا يقتنع فقط بفعل الأدلة والشواهد والبراهين العقلية أو المنطقية أو الواقعية ، وإنما هي من المرونة بحيث يؤثر فيها عوامل لا أساس لها ولا سند من الحقيقة أو الواقع . وعملية الإيحاء تعمل عملها في الشخصية فتجعل صاحبها يعتقد في صحة أفكار معينة ، ويسلك وفقاً لها . يحدث هذا في ثنايا عملية الإيحاء Suggestion .

وفي هذا المقال نعرض على القارئ العربي أصول هذه العملية وخصائصها ، والعوامل التي تساعد على حدوثها ، وسمات الشخص الذي يتقبل ما يقع عليه من إيحاء ، وكذلك سمات شخصية الشخص القادر على ممارسة الإيحاء الناجح ، وكيف يمكن أن يؤدي الإيحاء إلى تغيير الاتجاهات لدى الناس وسلوكهم .

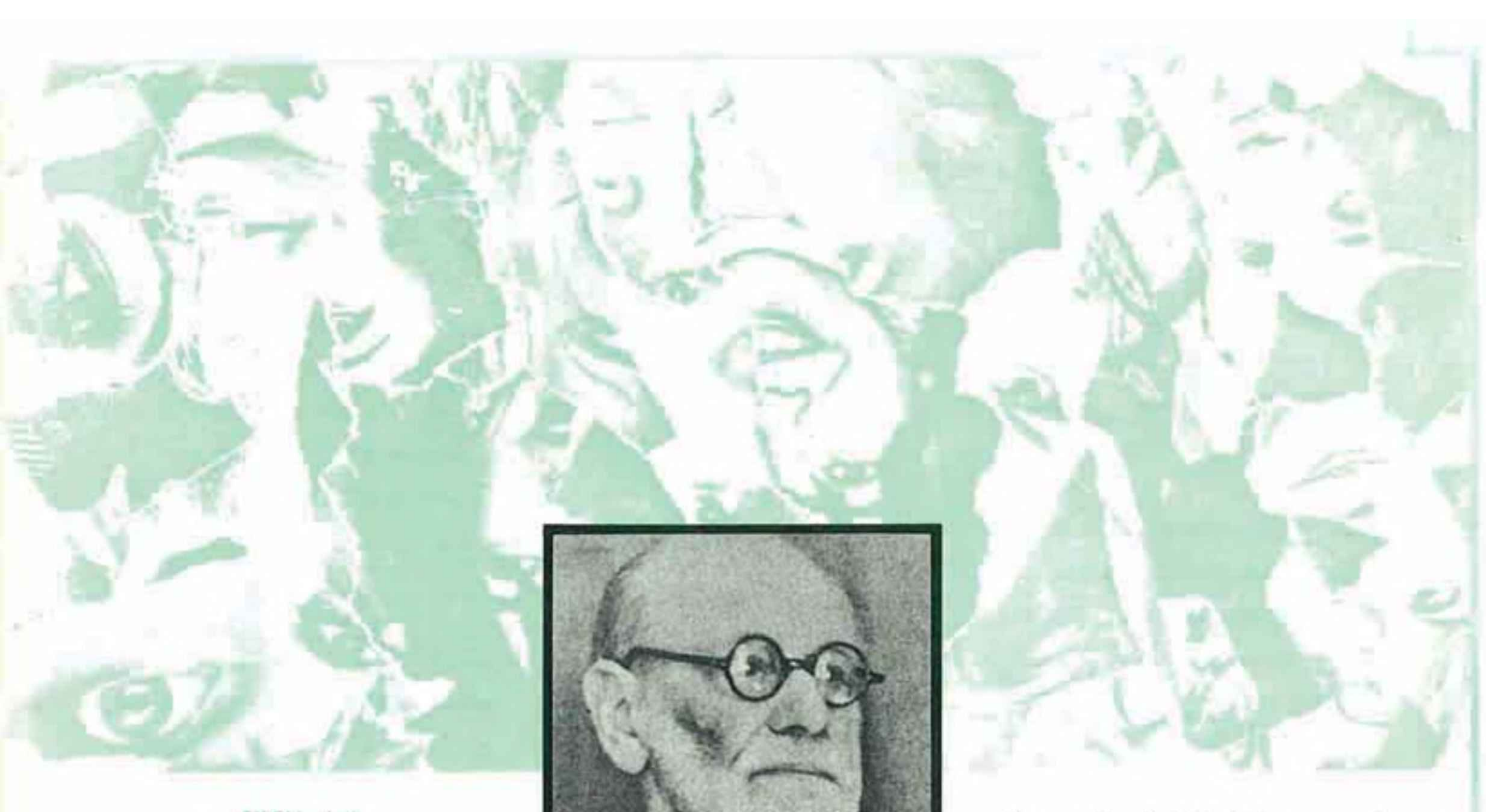
خلفية الإيحاء

ففي عملية الإيحاء يستطيع شخص ما أن يغرس فكرة معينة في ذهن غيره دون أساس أو سند عقلي أو منطقي ، ويدفعه للإتيان بأنماط معينة من السلوك ، وأن يقبل الاعتقاد في صحة بعض الأفكار أو المبادئ أو الآراء أو الشعارات أو النداءات أو الفلسفات المعينة . وبالطبع من الممكن استخدام عملية الإيحاء بصورة سلبية بمعنى منع الفرد عن ممارسة سلوك معين ، أو الإقلاع عن عادة ما معينة ، وهناك ما يعرف باسم « **الإيحاء المضاد** » وهو الذي يستهدف إزالة آثار الإيحاء السابق . **وبطبيعة الحال يستخدم الإيحاء في علاج كثير من حالات القلق** ، ويذهب **وليم مكدوجل** إلى القول إن « **الإيحاء عبارة عن زرع الأفكار في ذهن الفرد** » **Implantation of Idea** .

وقديماً تساءل العلماء : **لماذا تختلف الفكرة المغروسة تحت تأثير التنويم المغناطيسي عن مثيلاتها التي تغرس في حالة اليقظة ؟** فالفكرة المغروسة في حالة اليقظة تقاوم النقد ، وتتحكم في الأفكار الأخرى ، أما في حالة التنويم فمن الممكن أن توجد في الفرد أفكار متعارضة متناقضة . ولكن مكدوجل رفض وجود هذا الفرق واعتبر أن مثل هاتين الفكرتين متساويتين .

أما **فرويد** فكان يرى أن إمكانية الإيحاء تكمن في الأساس الغريزي للعقل ، لكنه أخطأ كالعادة في تفسيراته بإرجاع هذا الأساس إلى جذور جنسية . أما نظرية مكدوجل فيلخصها قوله : « إن ملاحظة الحيوانات ذات النزعة الاجتماعية تكشف عن وجود علاقات من السيطرة أو الخضوع . فبعض أفراد القطيع herd تخضع تلقائياً ويبدوه للتسلط والسيطرة والقيادة وإثبات الذات عند الأعضاء الآخرين .

ولا يتضمن هذا الخضوع الخوف في جميع الحالات . وهو بلا شك غريزي حيث تقبل سيطرة الآخرين دون معارضة أو احتجاج بل تقبل أوامرها كما لو كانت قانوناً ، وتشعر أمامها بالتواضع والولاء . وتوجد **غريزة الخضوع** هذه كذلك في بني الإنسان . وبالنمو اللغوي والعقلي تصبح المؤشرات اللفظية الدالة على اتجاهات الأقوياء وسيلة هامة في إثارة دافع الخضوع هذا . وفي عالم الإنسان تلعب القوة والمكانة الاجتماعية المرموقة Prestige دوراً كبيراً في عملية الإيحاء دون الشعور بالخوف . وإذا لم يكن الإنسان اجتماعياً بطبعه فإنه ما كان له أن يكون قابلاً للإيحاء ، ومن ثم ربما كانت تأخذ الحياة الاجتماعية شكلاً



آخر » . **ومؤدى نظرية مكدوجل أن المسؤول عن الإيحاء هو غريزة الخضوع في الإنسان** . ويثير الإيحاء في الشخص الطاعة والاحترام والإعجاب والعرفان . ومن هنا فإن مصدر الإيحاء قد يكون فرداً أو جماعة أو مجتمعاً أو تجمعاً .

القابلية للإيحاء

ويتوقف الإيحاء على مدى قابلية الفرد واستعداده للإيحاء suggestibility التي تتوقف بدورها على العديد من العوامل من بينها ما يكمن داخل الفرد ذاته ، ومنها ما يوجد في البيئة التي يعيش فيها ، من ذلك ما تتمتع به الشخصية مصدرة الإيحاء من مكانة مرموقة ، وما تمتاز به من سمعة ، أو ما تحظى به من قوة ، أو ما تنعم به من معرفة وعلم وقوة وخبرة ودراية ، وما تتمتع به من كرامة وقيمة ، ويدخل في ذلك ما تتمتع به من ثراء ، وما تحمله من ألقاب ، وما ترتديه من ملابس .

وفيما يتعلق بالعوامل الداخلية أو الذاتية يلاحظ أن **جهل الفرد بالموضوع الذي يدور حوله الإيحاء يساعد على قبوله الأفكار الموحى بها** . فالشخص الذي لا يفهم في علوم الطب يصدق كل ما يسمعه حول

★ فرويد ★

صحته بل يتأثر بالإعلانات والدعاية التي تدور حول الصحة والعلاج ومن هنا كانت قابلية الإيحاء عند البدائيين والأطفال ، وعند غير المتعلمين أقوى . لهذا السبب ، لا يوجد لديهم سند من المعرفة أو المعتقدات التي تتصارع أو تواجه الأفكار الموحى بها . وإلى جانب ذلك هناك عوامل استعدادية أو وراثية تجعل الفرد أكثر قابلية لقبول الإيحاء حتى في الموضوعات التي يوجد لدى الفرد عنها معلومات كثيرة . أما الأشخاص الذين يزيد عندهم توكيد الذات أو إثباتها فإنهم يظلون على ثقة من أنفسهم ، ومن ثم لا يخضعون للإيحاء . ومن العوامل الذاتية كذلك نزعة التأثرية في الفرد ، أو شدة حساسيته وقابليته للتأثير فيه susceptibility واستعداده للتفكك .

وعلى سبيل المثال يقال إن **الشخص المنبسط** extrovert أكثر عرضة للتفكك عن زميله **المنطوي** Introvert ومن ثم فإن المنبسط أكثر خضوعاً للتنويم المغناطيسي .

إيحاء المكانة

والواقع أن عملية الإيحاء من الممكن أن تؤثر في شتى أوجه نشاط الفرد حتى ما يدركه من موضوعات العالم الخارجي من الممكن أن يتأثر بعملية الإيحاء . فإذا أوحى إليَّ شخص ما بأنني سأرى شبحاً في هذا المنعطف ، أو سوف يمر من بين أقدامي فأر كبير ، فإن احتمال مشاهدتي لهما تتأثر بلا شك . ولا سيما إذا كان هذا الشخص يحتل مكانة مرموقة في نفسي . أما إذا كان القائل طفل صغير وأبله فإنني أستبعد إيحائه . وهناك تجربة أجريت على مجموعة من الطلاب طبق عليهم **اختبار بقع الحبر لرورشاخ** وهم تحت تأثير الإيحاء ، حيث أوحي إليهم أن بحثاً علمياً كشف أن الأطباء والأساتذة والعلماء وأصحاب المصانع والمحامين كانوا يرون البقع ككل ، وكانوا يتخيلون الحيوان فيها أكثر من بني الإنسان أو الجمادات ، كما أن الحلاقين والسواقين وعمال الحفر كانوا يرون التفاصيل الصغيرة والجمادات في تلك البقع . وأجريت نفس التجربة على مجموعة أخرى من الطلبة أعطيت لها معلومات عكس التي أعطيت للمجموعة الأولى . وكانت النتيجة رؤية المجموعة الأولى صوراً متكاملة وحيوانات مثلها مثل أرباب المكانة الاجتماعية المرموقة . المجموعة الثانية رأت التفاصيل والجزئيات والجمادات أيضاً

مثل استجابات أرباب المكانة الاجتماعية المرموقة . ولم تشبه استجاباتهم استجابات عمال الحفر والحلاقين إلا عند ستة من مجموعهم . وتعرف هذه الظاهرة في التراث السيكولوجي باسم **إيحاء المكانة prestige suggestion** ولا شك أن كلاً من القادة والزعماء والعظماء وكبار التجار وخبراء الإعلانات والخطباء لديهم معرفة حدسية بفن الإيحاء والتأثير في الناس .

الإيحاء .. علاجاً

ويفيد الإيحاء والإقناع في عمليات الإرشاد والتوجيه والعلاج النفسي حيث يقترح المعالج على المريض أن يقوم بعدة خطوات أو يقترح خطة على أي من ذويه ويترك له الفرصة لتنفيذها . من ذلك عندما يعترف الأب أو الأم بأنهما كانا يسيئان معاملة طفلهما ، أو عندما يشعر المريض بحيرة أمام اختيار وظيفة من عدة وظائف ممكنة ، هنا يستطيع المعالج أن يقترح إمكانات مختلفة . ولكن هذا الإيحاء ينبغي أن يؤسس على معرفة دقيقة بظروف المريض وملابساته ، ولكن الإيحاء يصلح أكثر ما يصلح لعلاج الحالات الخفيفة كما يصلح مع الأسوياء من الناس الذين توجد لديهم القدرة على تقويمه ، والحكم عليه ، وقبوله أو رفضه . وينصح بعدم الاعتماد على الإيحاء وحده إذ لا بد من إعادة تكيف المريض أو أسرته وخاصة في حالات الإيداع في **المستشفى** ، أو التعرض للطلاق أو السجن ، أو فقدان الوظيفة أو الإفلاس .

وبطبيعة الحال تختلف القابلية للإيحاء من شخص لآخر كما أنها تختلف عند الشخص الواحد باختلاف المواقف ومن حالة لأخرى ، وأكثرها على الإطلاق حالة **التنويم المغناطيسي hypnosis** وهو حالة تشبه النوم يكون الإنسان خلالها سلبياً ، لكنه يعي ما يوحي به المنوم دون غيره من المثيرات ، وقد يكون التنويم بسيطاً سطحياً ، وقد يكون عميقاً . ولتحقيق التنويم لا بد من تعاون الفرد المراد تنويمه . وتعتمد عملية التنويم على إبعاد



جميع المثيرات والأفكار والاهتمامات عن ذهن الفرد ووضعه في حالة من الهدوء التام والاستقبال ، وتركيز كل اهتمامه على كل ما يقوله المنوم . ويقبل النائم إيحاءات المنوم بقليل جداً من المقاومة بالقياس إلى حالة اليقظة . وفي التنويم العميق تحصل الهلاوس والخداعات البصرية فعندما أعطى المنوم المريض أو النائم زجاجة من النشادر ذات الرائحة النفاذة ، مؤكداً له أنها مليئة بالعطور أخذها النائم وشمها بأقصى درجة من « الاستمتاع » .

وللإيحاء والتنويم قيمة كبيرة في عملية **العلاج النفسي** وخاصة في استيحاء الذكريات المنسية مع أصل أو منبع المشكلة مع إقناع المريض بأن مشاكله القديمة لا أثر لها ، وأنه سوف يتحسن ويتقدم في الحياة ، **ولكن ينبغي ألا يستخدم التنويم إلا في حالات المعالجات الجادة والخطيرة .** ولقد برهن التنويم على فائدته في علاج حالات **الهستيريا** وخاصة في حالة سيدة شابة كانت تعاني من نوبات حادة من الهستيريا . وتحت التنويم استطاعت أن تتذكر كيف نشأت حالتها . فعندما شاهدت حريقاً هائلاً شعرت بالفزع والهلع من مشاهدة أطفال صغار يفرون من ألسنة النيران ، ويقفزون بأنفسهم من النوافذ . وعن طريق التنويم أمكن تعليمها أن رجال الإطفاء قد التقطوا هؤلاء الصغار في شباكهم التي نصبوها لإنقاذهم ، وأنه تم فعلاً إنقاذهم من الأذى . وبذا تخلصت الخبرة من عنصر الفزع والهلع فيها . وأوحي إليها أن هذه الخبرة لن تزعجها بعد اليوم ، ومن ثم رحلت عنها الهستيريا .

ولكن لا يصل التنويم في جميع الحالات إلى اكتشاف سبب المرض ، ومن ثم يعتبره بعض علماء النفس قليل الأهمية ، ويرون أن المريض يجب أن يفعل شيئاً أكثر من قبول الإيحاءات ، وينبغي أن يقوم بدور إيجابي في التكيف مع الحياة . فالتنويم أداة مساعدة في العلاج وخاصة في إزالة أعراض المرض . ولكن إزالتها لا تعني شفاء المريض من علته لأنه لا يصل إلى جذور المشكلة .

ومن الجدير بالذكر أن فرويد في بداية حياته استخدم التنويم المغناطيسي « لتطهير » الذات مما بها من شحنات انفعالية حبيسة ، وذلك لمساعدة المريض على استرجاع خبراته الماضية ، وعلى إخراج مشاعره وانفعالاته المكبوتة حيث كانت توجه إليه الأسئلة المصممة لاستكشاف أصل ومنبع الأعراض ، وللإفراج عن المشاعر المكبوتة . مثل هذا التصريف أو التنفيس كان له أهمية علاجية في نظر **سيجموند فرويد** ولا سيما عند مرضى الهستيريا . ولكنه سرعان ما أدرك أن إطلاق سراح الانفعالات المكبوتة ليس علاجاً . ولذلك لجأ فرويد إلى ابتكار منهج للإيحاء أثناء يقظة المريض حيث كان يضع فرويد يده على جبهة المريض قائلاً له : تستطيع أنت الآن أن تسترجع ماضيك .

هذه هي عملية الإيحاء وهي ولا شك ظاهرة حقيقية وواقعية سواء رغبنا أم أبينا ، ولكن يبقى السؤال : هل هي خير أم شر؟

من المستطاع أن تكون هذه العملية خيراً محضاً ، وتسهم في تحقيق سعادة الإنسان وتكيفه وذلك بزرع القيم الأصيلة والمثل العليا والتقاليد الرفيعة والخلق وأهداف الفضيلة والعفة وإذكاء روح الوطنية في نفوس أبناء أمتنا العربية والإسلامية كبارهم وصغارهم ، ويتطلب ذلك أن يتحلى المصلحون والقادة ورجال الفكر والقلم والمعلمون والأطباء والخطباء ورجال الإرشاد بالقيم الأصيلة والمثل العليا النابعة من تراثنا الإسلامي الحنيف بحيث يكون لما يوحون به أطيب الأثر ، وأعظم الفائدة في شخصية الشباب العربي المسلم .



بقلم : كمالا ، و ريزي س . بس . و أحمد رزالي

عرض : عارف كرخي أبو خضيري

قضية فلسطين في الشعر الماليزي الحديث

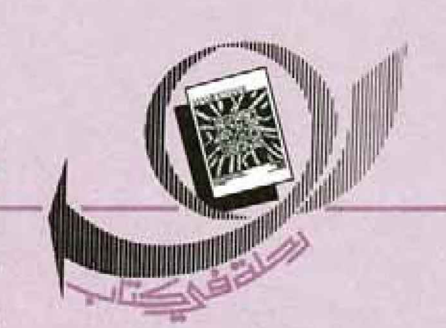


تستحوذ قضية فلسطين على اهتمام العالم كله بوصفها أهم قضايا التحرير في العصر الحديث ، لا لخطورة الوضع في الشرق الأوسط فحسب ، بل لما يبديه الفلسطينيون من ضروب البطولة والصمود والتضحية التي تدعو بحق إلى التدبر والتقدير والإعجاب ، رغم ضآلة العدد وقلة العتاد ، وضراوة العدوان الإسرائيلي وعناده ، ومساندة الدول الاستعمارية والقوى الكبرى وعلى رأسها أمريكا لحليفتها إسرائيل .

وقد نبّهت الوقائع التي تقوم بها الحكومة الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة ، الشعوب إلى طبيعة الأطماع الاستعمارية لإسرائيل . كما أثارت الأحداث الأخيرة في لبنان ، وما ارتكبه جنود العصابة الصهيونية من مذابح رهيبة في « صبرا وشاتيلا » ضمير العالم الحر ، فنهض يدين الإسرائيليين بقوة وحزم .

وقام الماليزيون بدورهم يعبّرون عن سخطهم وإنكارهم للجرائم الإسرائيلية الهمجية ، ويعلنون عن تأييدهم المطلق للإخوة المسلمين أصحاب الحق من الفلسطينيين والعرب في لبنان . فقامت الحكومة الماليزية بدور إيجابي محمود ، تمثّل في مسارعتها في إدانة العدوان الإسرائيلي ، وإعلانها عن مساندتها لقضية الفلسطينيين العادلة ، وفي عقد مؤتمر دول آسيا حول قضية فلسطين ، وتنظيم أسبوع التضامن مع الشعب الفلسطيني ، ومحاولاتها الجادة المستمرة لطرح القضية ومناقشتها في الزيارات الرسمية لرجالات الحكومة الماليزية للدول الأخرى .

ونظم الشعب الماليزي نفسه مسيرات شعبية ضخمة يندد بالعدوان الوحشي على المواطنين العرب ، ويعرب عن استعداده للوقوف بقوة إلى جانب الفلسطينيين في جهادهم المقدس ، وسارع المواطنون إلى جمع التبرعات السخية لتقديمها لمنظمة التحرير الفلسطينية .



ولم يقتصر الموقف الماليزي على المستوى الرسمي والشعبي فحسب ، بل امتد إلى المستوى الفني ؛ فشارك الفنانون والموسيقيون والصحفيون والكتّاب والشعراء في هذا الميدان يعبّرون عن موقفهم القوي من قضية فلسطين تعبيراً فنياً بديعاً .

ديوان شعر

ولعل أروع ما يمثل هذا الموقف كتاب ظهر في كوالالمبور بعنوان (**تنفيس** MENIFESTASI) أصدره ثلاثة من الشعراء الماليزيين الشبان هم : **كمالا ، وريزي س . س ، وأحمد رزالي** . والكتاب يعد وثيقة فنية هامة قيمة ، لأنه من ناحية تعبير عن موقف الأمة الماليزية المسلمة عامة والشعراء الماليزين خاصة ، من قضية الفلسطينيين العادلة ، وتأييدهم لحقهم في إقامة دولتهم الشرعية على أرضهم فلسطين ، ولأنه من ناحية أخرى ، لون من ألوان شعر المقاومة كما نسميه نحن المحدثين ، أو شعر الحماسة ـ كما كان يسميه العرب القدماء ـ يتيح لنا التعرف على الشعر الماليزي المعاصر ، والموازنة بينه وبين شعر المقاومة في الأدب العربي الحديث عند شعراء الأرض المحتلة ، أو الشعراء العرب في مصر ولبنان والعراق والسودان وسورية والأردن والمملكة العربية السعودية ، وغيرها من البلاد العربية الأخرى .

والكتاب ، يقع في (٨٩) صفحة ، ويضم (٤٩) قصيدة ، من بينها خمس قصائد ترجمها من العربية إلى الماليزية اثنان من جامعي الديوان ، إذ ترجم كمالا قصيدة **لسليم جبران** ، بينما ترجم ريزي س . س . الأربع الباقية وهي للشعراء **هاشم رشيد ، وسلمى الخضراء الجيوسي ، ومحمود درويش ، وسميح القاسم** .

أما القصائد الأربع والأربعون الباقية فاختيرت من أعمال الشعراء الماليزيين المعاصرين ، وهي باستثناء قصيدة **قاسم أحمد** (لومومبا مات : ١٩٦١م) ، **وبهازين** (ايد ميموير : ١٩٦٩م) ، **وعثمان أوانج** (سلام للقارات : ١٩٧٠م) ، نظمت ما بين عامي ١٩٨١ و ١٩٨٢م . وقد جمعت القصائد على أساس الموضوع ، ومن هنا ضم الكتاب قصائد لطبقات أربع مختلفة من الشعراء ، **أولها** للشعراء الذين ترجمت أعمالهم إلى اللغات الأجنبية ، فعرفوا في الخارج كعثمان أوانج ، وبهازين ، وقاسم أحمد ، وكمالا . **والثانية** طبقة من الشعراء الذين حظوا بقسط غير يسير من الشهرة والذيوع في داخل ماليزيا وحدها ، **كنحمر جيل ، وأحمد رزالي ، وصابر بحاري ، وأتوندرا ، وعبد اللطيف شوشو** . **والثالثة** للشعراء الذين بدأوا يلفتون إليهم أنظار القراء والنقاد الماليزيين واهتمامهم **كعبد الرحيم عبد الله** ، وريزي س . س ، **ومسرا ، وبدر الدين م . ز** . والطبقة الرابعة هي طبقة الشعراء الجدد من أمثال **أكمل السلمي ، ومسرينا د . س ، وم . عمر** .

وقد نظم هؤلاء الشعراء قصائدهم كرد فعل لأعمال العنف التي تقوم بها الصهيونية الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة ، ولذلك تمثل القضية الفلسطينية الموضوع الرئيسي لقصائد الديوان ، بيد أن ثمة موضوعات أخرى لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بفلسطين تناولها شعراء الديوان ، ولهذا وجدنا منهم من جعل إسرائيل واليهود والصهيونية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ولبنان والمسلمين العرب عامة موضوعات لقصائدهم ، كما تناولوا بالحديث شخصيات تلعب دوراً بارزاً في القضية الفلسطينية كياسر **عرفات** من جانب ، **وريجان ، وشارون ، وبيجن** من جانب آخر .

على أن بالديوان بعض القصائد التي لا تعالج قضية فلسطين ولا تتصل بها اتصالا وثيقاً أو غير وثيق ؛ لأنها كتبت أساساً حول موضوع آخر ، كقصيدة « **لومومبا مات** » لقاسم أحمد . وثمة قصيدة تمس القضية مساً رفيقاً وهي قصيدة « **سلام للقارات** » لعثمان أوانج الذي يدير قصيدته حول قضية التحرر الإنساني بوجه عام ، ويخص فلسطين بالمقطع الثالث منها حيث يقول :

إنك تعصر تين شوقي وتعجن الحجر
تجعل منها الشراب والطعام
والبنات يقمن بالعمل
والغبار يلوث الضفائر
والأطفال يحملون البنادق
وبعضهم ينشدون
بداخل السجون
من أجل تحرر فلسطين .

الطابع الديني

ويضفي الشعراء الماليزيون على موضوعات قصائدهم طابعاً دينياً مميّزاً ، يظهر في اختيار عناوين القصائد مثل : « الفدائيون المسلمون في جميع أنحاء العالم » ، و « دعاؤنا » ، و « قسمنا » ، و « البعث » . ويبدو أيضاً في نظم بعضهم شعره في شكل ابتهالات دينية خالصة كصنيع عثمان محمد في « دعاؤنا » :



★ سميح القاسم ★



★ محمود درويش ★

إنما إليك يا اللهم ندعو
عسى الأمن الحقيقي يعود
للبنان المهدم .

انزل رحمتك على
أرواح المناضلين
العائدين إلى العالم السرمدي .

ــ فساد ناتج عن
ــ نزاع الأمة
ــ ووطن يسحقه عدو عنيف .

ــ إلهي :
ــ هذا حبنا ودعاؤنا
ــ انقذ لبنان ! .

وتبدو هذه الظاهرة بشكل أوضح في الاقتباسات الكثيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف ، ويظهر هذا الصنيع بوضوح في قصيدة «**الصهيونية والأمة العربية**» لريزي س . س ، الذي يستوحي القرآن الكريم في مواضع كثيرة من القصيدة ، فحين يقول :

ــ لا تتعجبوا من أن اليهود
ــ يعتدون علينا بلا حدود .

يشير إلى قوله تعالى ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٨٢) ، وعندما يقول :

ــ وقوله « أربعين سنة »
ــ يفسره حسب ظروفه .

يومئ إلى الآية ٢٦ من سورة المائدة ﴿ **قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض** ﴾ . وحينا يقول :

ــ اختبروا زادكم كل وقت .

يعني قوله تعالى ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٩٧) .

الطابع السياسي

وإلى جانب الطابع الديني الذي يلون الديوان ، تسيطر على بعض القصائد نغمة خطابية عالية تغلب على الشعر السياسي فتجعلها تبدو كأنها تكرار نثري لا أكثر ولا أقل ، حتى إنها تفتقر إلى الروح الشعري الحق ، كقصيدة «**حرر حقوقك**» لنافعي محمد ، التي تمضي أبياتها على هذا النمط الرتيب :

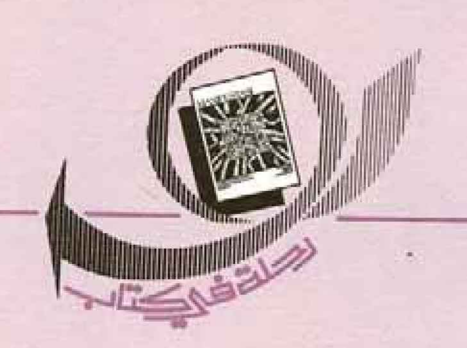
ــ حرر ميراثك
ــ ميراث فلسطين
ــ حرر أرضك
ــ أرض فلسطين
ــ حرر ميدانك
ــ ميدان فلسطين
ــ حرر مسجدك
ــ مسجد فلسطين .

وبهذه الصياغة المكررة ، يردد الشاعر نداءاته بتحرير المروءة ، والنسل ، والقسم ، والدم ، والرجل ، والمرأة ، والحب ، حتى يصل أخيراً إلى بيت القصيد :

ــ حرر حقوقك
ــ حقوق فلسطين .

وإذا كان التكرار والنغم الخطابي يغلبان على قصيدة نافعي محمد السابقة ، فإن النزعة التقريرية تصبغ قصيدة «**أنباء من فلسطين**» لأحمد رزالي الذي وفق بحق في تسميتها ، إذ إنها لا تعدو مجرد نشرة أخبار أبرز ما ورد بها من أنباء أن :

ــ أمس
ــ أذاع راديو بيروت مرة ثانية
ــ أن ٧٠٠٠ فدائي فلسطيني
ــ سيغادرون
ــ الميناء
ــ والمطار . . . .



الطابع القصصي

على أنه من الحق أيضاً القول إن هذا اللون من الشعر أو ذاك قليل في الديوان ، وإن أغلب قصائده الأخرى قصائد جيدة المستوى كعبر التاريخ ، ومذكرات حزينة من أجل بيروت ، وحلم أم ، وحول طفل فلسطيني صغير . والقصيدتان الأخيرتان يغلب عليهما الطابع القصصي الشجي .

ففي قصيدة « حول طفل فلسطيني صغير » يقص علينا نور س . م . الخاتمة الفاجعة لامرأة فلسطينية وطفلها الرضيع :

ــ ذلك الطفل الصغير ظل يحبو
ــ فوق قطع من حجارة
ــ قد تجرّح جسمه
ــ الدماء تتقطر
ــ بالطريق .

ــ بينما قد بترت
ــ رجله اليمنى وتركت فوق جثمان لأم
ــ قد تهاوت
ــ من أمام الباب من
ــ منزلها .

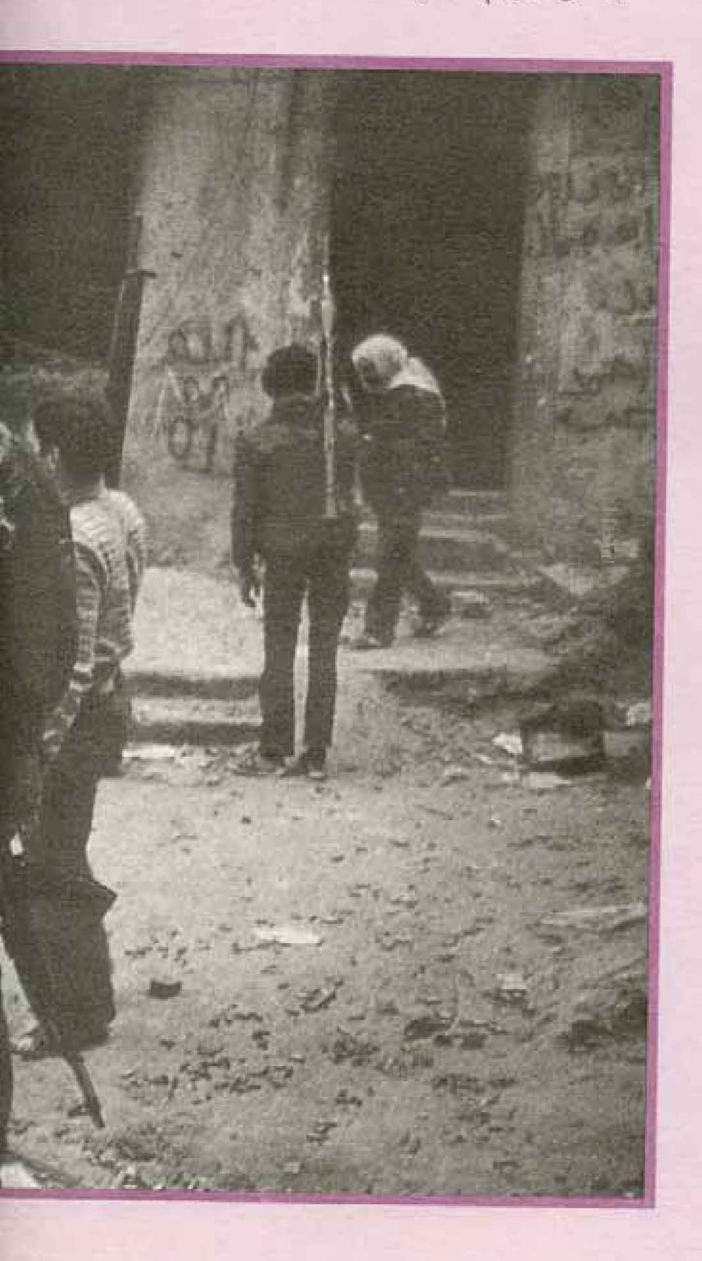
روح التاريخ

ولعل أبدع قصائد الديوان ، وأطولها في نفس الوقت ، « قصيدة الصبح » للشاعر كمالا ، ففيها تتبدى ملامح من ثقافة الشاعر العميقة والمتنوعة ، كما يبدو فيها الربط الوثيق بين الماضي والحاضر ، وهو يستهلها باستلهام روح **طارق بن زياد** فيقول :

ــ التقي بروح طارق
ــ قبل أن يفهم معنى
ــ قد سجنتم
ــ إنما الإسلام قوة
ــ فهلموا هاهنا !
ــ اعبروا هذا المضيق
ــ ارفعوا من روحكم
ــ أنتم صخر أصم .

ثم يمضي كمالا في رحلته التاريخية مصعداً من القرن الأول الهجري إلى قرننا الخامس عشر ، وروح طارق يرف ألقاً قوياً في حنايا القصيدة :

ــ التقي بروح طارق
ــ حينما لبنان يبحر
ــ تحت دم ودموع
ــ وفدائيوها فتح يفتحون
ــ جلسة كيما يعيشوا أو يموتوا
ــ ولأجلك (يا إلهي)
ــ يبحثون
ــ عن قلوبهم السليبة





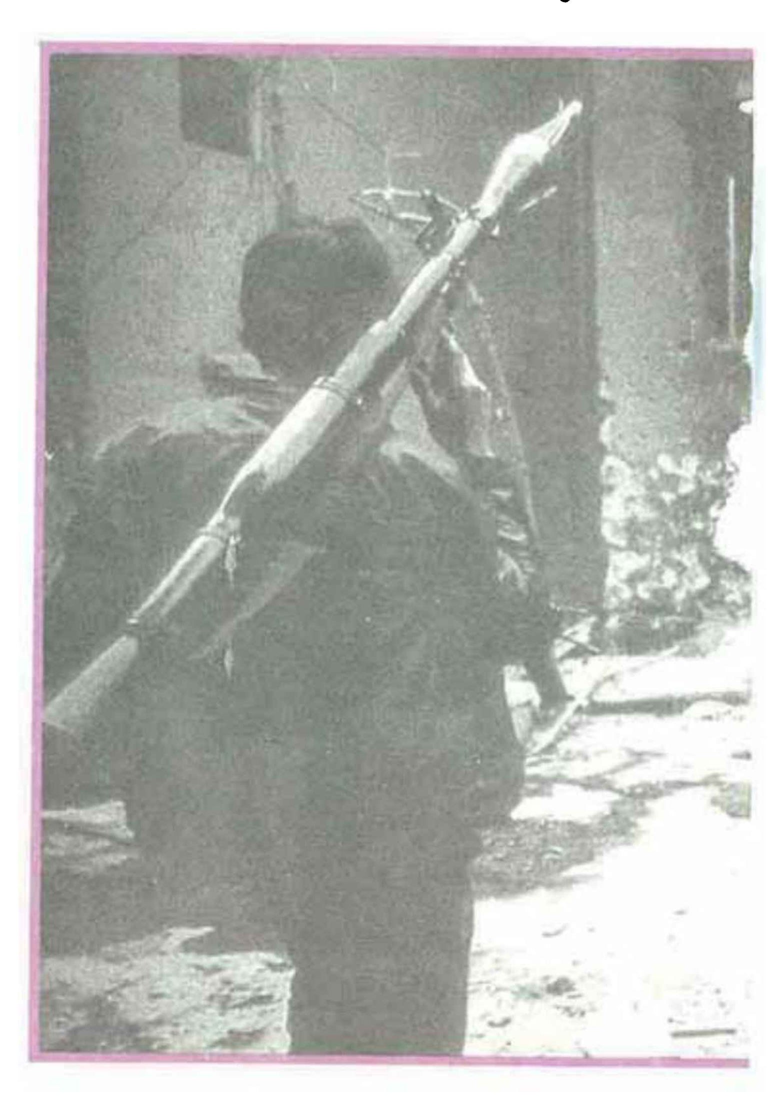


★ هاشم رشيد ★ ★ سلمى الجيوسي ★

ـ عن عيونهم الضريرة

ـ في اليسار .

ثم ينتقل الشاعر ليصف غزو لبنان وامطار الفلسطينيين بالقنابل



والرصاص حتى أمست بيروت موطناً للهلاك والفناء ، ثم يصور الكتائب الفلسطينية وياسر عرفات هذا التصوير الرائع الفذ :

ـ هم دوماً في دفاع

ـ عرفات لم يزل

ـ يستطيع نقش بسم الدبلوماسي الذكي المتألم

ـ إن بالصدر يقر

ـ روح طارق ،

ـ ويُبشِّر لن يسلّم .

وفي المقطع الثالث من القصيدة ذات المقاطع الخمسة ، يشير الشاعر إلى مساندة أمريكا لإسرائيل ضد من تعاديان من العرب المسلمين ، ثم يكشف عن السر وراء هذا العداء الشديد :

ـ بلد اسمها أمريكا

ـ بمسدس في يد راعي بقر عجوز

ـ يسمى بريجان ويدعي كالشريف يقتل

ـ شيخاً عربياً عيناه ضريرتان ويده مقطوعة

ـ حينما ينفخ خطم مسدسه

ـ يسأل معينه المطيع

ـ مناحم بيجن ليلقي الجثة

ـ إلى واد عميق به الأحجار محددة

ـ وهذا هدية للصداقة التي توطدت

ـ وهو كذلك هدية لأجل عدو له قديم

ـ اسمه الإسلام .

وكأنما كلمة الإسلام التي تجيء في الختام ، تنبه ذاكرة الشاعر المسلم إلى ماضي المسلمين المشرق البعيد فيمضي ليلتقي بطارق من جديد حتى يتم له الصباح ويكتمل :

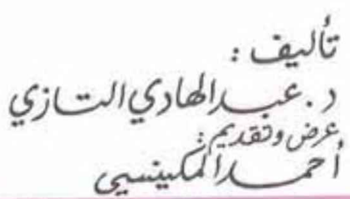
ـ التقي بروح طارق

ـ إن صبحي

ـ اكتمل .

وعلى هذا النحو البديع يحلّق الشاعر كمالا ورفاقه من الشعراء الماليزيين المسلمين في أجواء التاريخ العربي والإسلامي ، في الماضي والحاضر ، ليسجلوا بمدادهم الشعري أروع ملحمة عصرية يسطرها الشعب الفلسطيني الأبي بدمائه الزكية كما يشرق صبح النصر القريب إن شاء الله .

مطالعات في الكتب



القنص بالصقر
بين المشرق والمغرب

ظل الناس خارج المغرب إلى فترة غير بعيدة من الآن ، يعتقدون بأن رياضة الصيد بالصقور اقتصرت على أبناء المشرق بصفة عامة ، وأبناء الجزيرة العربية والخليج بصفة خاصة .

ولكن الواقع يُثبت عكس ذلك ، ويكشف لنا عن ملامح تاريخية ذات دلالات هامة بهذا الصدد ، الأمر الذي يتطلب المتابعة والتعريف في إطار وحدة الثقافة العربية . وضمن الجهود المبذولة في هذا المجال ، أصدر **الدكتور عبد الهادي التازي**[1] أستاذ جامعي ، وعضو أكاديمية المملكة المغربية ، ومدير المعهد الجامعي للبحث العلمي ، كتاباً بعنوان **« القنص بالصقر بين المشرق والمغرب »** ، تحدث فيه عن هواية الصيد بالصقور ؛ هذه الهواية القديمة والحديثة معاً . يقع المؤلَّف في (١٧٦) صفحة من القطع المتوسط ، وقد صدر الكتاب عن مطبوعات « المعهد الجامعي للبحث العلمي » بجامعة محمد الخامس بمدينة الرباط[2] .

★ د . عبد الهادي التازي ★

للدكتور التازي حكاية مع الصقور ، يرويها في هذا الكتاب بقوله : « . . كل واحد من هُواة القنص له قصته الخاصة في التعرف على هذه الرياضة : رياضة الصيد بالصقر أو بالطير الحر ، كما ينعته الهواة . . في الناس من ورثها عن آبائه وأجداده ، وفيهم من وصلته عن طريق معارفه وأصدقائه ، فأعدته كي يُعدي الزكام المرافق ، ومنهم من وجد نفسه معها ــ إذا صح هذا التعبير ــ بحكم مهمة عُهد بها إليه . أما أنا فقصتي ــ يضيف المؤلِّف ــ كانت تختلف عن ذلك كله ، فقد حدث منذ أوائل الستينات ، أن « احسبت »[3] سفيراً لبلادي في عدد من الدول ، وهنا تعلقت نفسي ــ وأنا من

هواة التاريخ ـ أن أكتب مؤلفاً حول التاريخ الدبلوماسي للمملكة المغربية منذ البداية».

ويضيف الدكتور التازي قائلاً : «. . . فيما أنا بصدد تقصّي وتحرير الفصل الخاص بالوسائل التي كان لها أثر في بعض الظروف على تلطيف الجو السياسي، وعلى التخفيف من التوتر الذي كانت تشهده أحياناً العلاقات بين المغرب وبين الدول الأخرى، والتي يُعبّر عنها أحياناً ـ وبكل بساطة ـ عن الممنونية والشكر والتقدير، وفيما أنا بصدد تتبع الآثار الحميدة التي كانت تتركها الهدايا الجميلة التي ترحل من مكان إلى مكان، والهدايا المتذوقة التي تعبّر عن دلالة ما، أو إشارة ما . . فيما أنا كذلك إذا بي أكتشف بأن مهاداة الصقور، كان لها فضل كبير على إرساء قواعد السلام، وكانت عاملاً في كثير من الأوقات على إحلال التفاهم بين الشعوب، وعلى إنشاء علاقات ودية مع الآخرين سواء في الشرق أو في الغرب.

وهكذا، فعلاوة على تقديم النفيس من البضائع والرفيع من أنواع الصناعة، وعلاوة على تقديم حيوانات الصحراء ووحش الغاب، نجد أيضاً جوارح الصيد وعتاق الطير[4]، التي كانت تتبادل بين مختلف البلاطات».

ومن المعروف أنه توجد ثلاثة أصناف من الصقور بالمغرب :

الأول : يسمى **البحري** «الجورفو»[5].

والثاني : يسمى «**الشاهين**» النبلي، وهو صقر مهاجر يأتي إلى المغرب من أوروبا.

والثالث : والأخير هو ما يسمى «**بالبرني**»، ويعيش في الصحارى المغربية.

وهذه الأصناف كلها تبيض وتفرخ صغارها بعيداً عن الإنسان، وتعيش باللحوم فقط.

وهذا الطائر ـ بكل أنواعه ـ لا يتخذ كوسيلة تجارية بالمغرب، وقديماً كانت قيمته تساوي قيمة الفرس أو الجمل، وكانت تُسلّم للصقّار ـ الباز دار ـ[6] منحة شهرية من بيت المال.

ويواصل الدكتور التازي حديثه الشيق بالقول : «. . . لقد كان المغرب يقدم مساعدته اللامشروطة لملوك الأندلس، ولم يكن هناك من بادرة رقيقة للتعبير عن مشاعر الودّ وأحاسيس الامتنان، إلا أن يبعث أولئك بطائفة من الصقور والبزاة[7] إلى العاهل المغربي الذي كان يقدر جيداً تلك المبادرة.

«وذات يوم، كانت الصِّلات بين المغرب وجيرانه على الضفة الأخرى من البحر المتوسط، على وشك أن تضببها سُحب الخلاف، ولم يكن هناك من بشير يحمل طلائع حسن النية ويُعيد الماء إلى مجاريها إلا وصول جملة من الصقور الأصيلة. وذات يوم كانت **إنجلترا** على وشك أن تقذف بأسطولها نحو المياه الإقليمية للمملكة المغربية بسبب حادث قرصنة كاد يُعكّر صفو العلاقات، ويُهدد الملاحة في البحر. ولم يكن هناك من بشير للسلام سوى هذه الطيور الحرة التي نُسمّيها بالصُّقور، التي بعث بها ملك المغرب كهدية أو كاعتذار إلى الملك **شارل الأول** ملك إنجلترا[8].

«وكان الحال كذلك مع ملوك **فرنسا وهولندا**[9] **وإسبانيا والبرتغال**، وهكذا نجد أن الصقر بما فيه من صفات جميلة، وبما يجر وراءه من تاريخ بديع يكون باعثاً من بواعث السلام، والشعور بالمحبة بين الأمم، ومن ثم نشأ نوع من التعلق بتلك المخلوقات».

إن هذا الطائر ـ الصقر ـ والنوع الذي يُسمّى «الشاهين»، كان من بين الأسباب في فتح الأندلس، إذ إنه كان ضمن المبادلات التجارية، وكان يُهدى للملوك الأجانب، كما ذكر المؤلف، وتتم عن طريقه ربط الصلات[10].

ويشير الدكتور التازي إلى أن تهادي الصقور لم يكن ليعني مجرد نقل طير من بلاط إلى بلاط، ولكنه كان يعني عدداً من الدلالات الحضارية البالغة العمق؛ فإن الصقر كان يعني أيضاً ما يلازمه من تجهيزات، كما أن لها أسماءها الخاصة بها على نحو ما يصحب الخيول الأصيلة من سروج ولجم. هذا، بالإضافة إلى ما تقتضيه رعاية الصقور من آداب وعلوم وتقاليد. أضف إلى كل هذا ما يستلزمه وجود الصقر من متعهدين وبيازين عُرفوا بخبرتهم وحنكتهم في هذا المضمار.

ومن باب الطرافة يورد المؤلف ما يلي :

«. . لقد سمعت بعض الناس يُعلقون على الاهتمام بهذه الهواية، وما تكلفه من أموال، وما تتطلبه من جُهد، وما تستغرقه من وقت، وما يصحبها من مغامرات يُطلقون عليها بالمثل المغربي السائر : «اللّي تَيْكْثَرْ زَغْفرانُهُ تَيْجَعْلَهُ في أَغْلال»، يعني بالفصحى إن الذي يكثر عنده الزّعفران ـ وهو نبات أصفر الزهر، له أصل كالبصل. ج. زعافر، وهو من البهارات الغالية الثمن ـ فإنه يجعله في شربة أغلال (الحلزون) ـ وهي شُربة جد متواضعة وشعبية ـ[11]، أي أن أولئك الهواة بمثابة مَنْ يصب أمواله هدراً في الرمال، أو في شيء لا نفع من ورائه.

ويؤكد المؤلف كذلك أن ضرب هذا المثل

المغربي الشهير ، لم يكن مصادفاً للصواب ، ذلك أن هذه الهواية استعمال للزعفران في محله ، لأنها من أنواع الرياضة الرفيعة بما يعرف فيها من أنها صيد جماعي يساعد على الأنس ، فليست كهواية صيد السمك ، إذ إن الصياد يظل وحيداً فريداً يناجي صفحات الماء . . وهكذا فهي وسيلة اجتماعية لتبادل الحديث النظيف ، وهي وسيلة للتمتع بتجدد الهواء ، ومواصلة السير علاوة على ما فيها من ابتعاد من ضوضاء البشر .

إنَّ هواية الصيد بالصقور قد مارستها شعوب أخرى ؛ ففي القرون الوسطى كانت تمارس **بأوروبا** ، وكانت تطغى عليها الطبقية واحتكار الأنواع الجيدة ؛ فالملوك والأمراء يصيدون بالأنواع الراقية . . والحاشية ، والنبلاء يصيدون بالأقل جودة ، أما العامة فتصيد بالنوع الأدنى . بينما بالمغرب ، منذ التاريخ القديم ، كان الناس متساوين في ممارسة هذه الهواية سواء حاكمين أو محكومين .

ولا بد أن نذكر القراء إلى أنه حتى حلول القرن العشرين الميلادي ، ما زالت **قبيلة القواسم** بذكَّالة[12] ، كما أن الرمز أو الغاية المباشرة الذي تمثله هواية الصيد بالصقور ، هو كوْن السُّلاطين المغاربة القدماء ، كانوا يستحيون من إطلاق الرصاص باعتبار أنه إهانة للسكان ، لذلك عمدوا إلى استعمال الصقور للتسلية والرياضة ، بالإضافة إلى دوره « الدبلوماسي » .

كما أن السر في المحافظة على هذه الهواية الشيقة من طرف الشرفاء القواسم ، هو أنَّه ذو نزعة صوفية بوصية من الجد الأول للشرفاء القواسم علي بن قاسم بوسجدة ، الذي عاش زمن احتلال البرتغال للشواطئْ المغربية ، حيث امتزجت معاملاتهم مع السكان المغاربة حتى على مستوى الأكل ، إذ ذاك صدرت الوصية المذكورة من طرف الجد ، وذلك لكسب الحلال بواسطة الصيد بالصقور خوفاً من عدم سلامة ذكاة الذبائح[13] .

إن الاتجاه السائد الآن هو غرس الهواية المذكورة في أوساط الشباب ، والخروج بها من قالب التقليد إلى قالب من التجديد ، مع تكريس كل المجهودات للبحث عن التراث القديم لهذه الهواية في الوثائق المكتوبة ، ويدخل هذا الكتاب والتقديم في هذا الإطار .

---

(١) انظر الإشارة إلى هذا المؤلف في إطار فقرة « كتب وردت إلى المجلة » ، مجلة « **الفيصل** » العدد (٦٦) ، ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢ م ، السنة السادسة ، ص (١٥٤) .

(٢) الدكتور عبد الهادي التازي ، من مواليد مدينة فاس ، ٢٥ يونيو (حزيران) عام ١٩٢١ م ، حاصل على الإجازة من جامعة القرويين ، أحرز على دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس ، ثم على الدكتوراه من جامعة الإسكندرية بمصر عام ١٩٧٢ م ، شغل عدة مناصب سامية كسفير لبلاده في العراق وليبيا ، وهو عضو بالمجمع العلمي في بغداد .

ـ نشر في عدة صحف ومجلات مغربية وعربية : « دعوة الحق » ، العلم ، البحث العلمي ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الفكر التونسية . . . إلخ » .

له مذكرات وتواريخ ، من مؤلفاته الأدبية : « شرح لامية العرب » عام ١٩٥٣ م ، و « جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي » عام ١٩٦٧ م ، جامعة القرويين ، ثلاث مجلدات .

ـ من مترجماته : حقائق عن الشمال الإفريقي للجنرال دولاتور .

(٣) اعتبرت : أي ضبطت سعيراً .

يلاحظ في هذا المؤلف أن د . التازي يلجأ إلى استعمال بعض المفردات غير المألوفة الاستعمال مثل : « احسبت سعيراً لسلادي » ، تهادي ، مهدناة ، المسوبة ، تهدي ، تصيب . إلخ .

(٤) عتاق الطير من فعل « عتق » معناه : العتق : خلوص الأصل ، الشرف ، الجمال ، الجسامة ، الحرية ، القدم . . . وعتاق الطير تعني ذات أصل جيد .

(٥) واسم هذا النوع بالفرنسية « Le Pelerin » .

(٦) جمع البزر ، و « البازي » نوع من الطيور يُصاد به .

(٧) البراة وبيزان ، جمع البازي أو الباز : طير من الجوارح .

(٨) ولد هذا الملك عام ١٦٠٠ م ، نصب ملكاً على بلاده عام ١٦٢٥ م . استبد في حكمه تحت تأثير زوجته هنريت الفرنسية وبعض وزرائه ، فنشبت ثورة الإنجليزية الأولى (١٦٤٢ ـ ١٦٤٩ م) ، وحرب أهلية أدت إلى محاكمته ، وإعدامه وإعلان الجمهورية بقيادة « كرومويل » . توفي شارل الأول عام ١٦٤٩ م .

(٩) الأراضي الواطئة « NEDERLAND » دولة بين بلجيكا وألمانيا ، تقع في أوروبا الغربية .

(١٠) من استجواب مع السيد إسماعيل نقيب الشرفاء القواسم ، ورئيس جمعية الصيادين بالصقور بالمغرب . جريدة « الميثاق الوطني » ، عدد (٢٣٦٢) ، الجمعة ١٨ ذو الحجة ١٤٠٤ هـ ، ١٤ سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٤ م ، ص (٥) .

(١١) جاء في شرح هذا المثل المغربي الشعبي الدارج في كتاب محمد بن أحمد الحماعو « مائة وألف مثل من الأمثال الشعبية المغربية » ، الطبعة الأولى عام ١٩٨٤ م ، ص (١٠٤) « اللي قلوا زعفرانو يدير فغلالة » أي وضع الزعفران في صحفة الخرفان رفاهية وبذخ . والخرفون : هي دويبة تكون في صدف ، وهي المعروفة بالبزُّوق .

(١٢) إحدى المناطق الفلاحية بالمغرب ، تقع في غرب البلاد ، عاصمتها الجديدة بمحاذاة المحيط الأطلسي ، تشتهر بموسمها سيدي عبد الله أمغار « مهرجان الصقور » الذي يقام صيف كل عام .

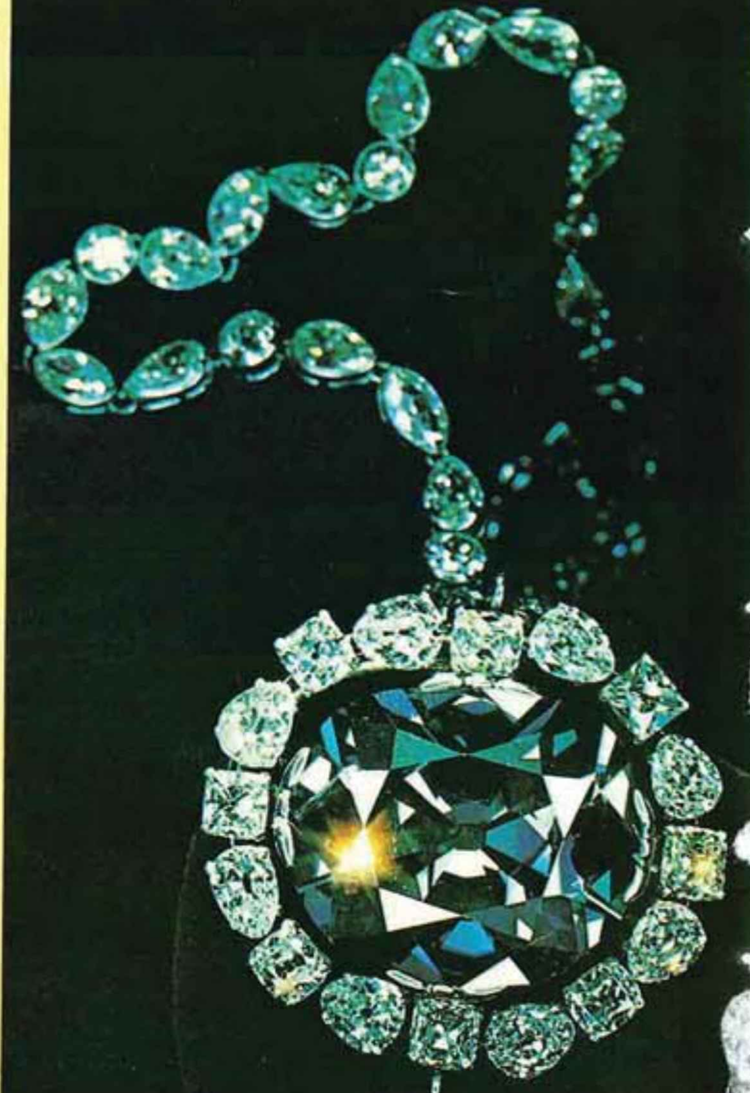
(١٣) من المعروف أن الشواطئْ المغربية العربية تعرضت للاحتلال البرتغالي أيام الدولة الوطاسية والسعدية ، القرن ١٤ ، ١٥ ، ١٦ الميلادي .

ملاحظة : ● للمزيد من الاطلاع على موضوع الصقور ، يحسن الرجوع إلى أحد أعداد مجلة « **الفيصل** » ، في سنتها الأولى عام (١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م) ، حيث خصصت موضوعاً عن تربية الصقور بالمملكة العربية السعودية ، وتاريخها إلخ . . . وذلك في إطار « موضوع خاص » (★) .

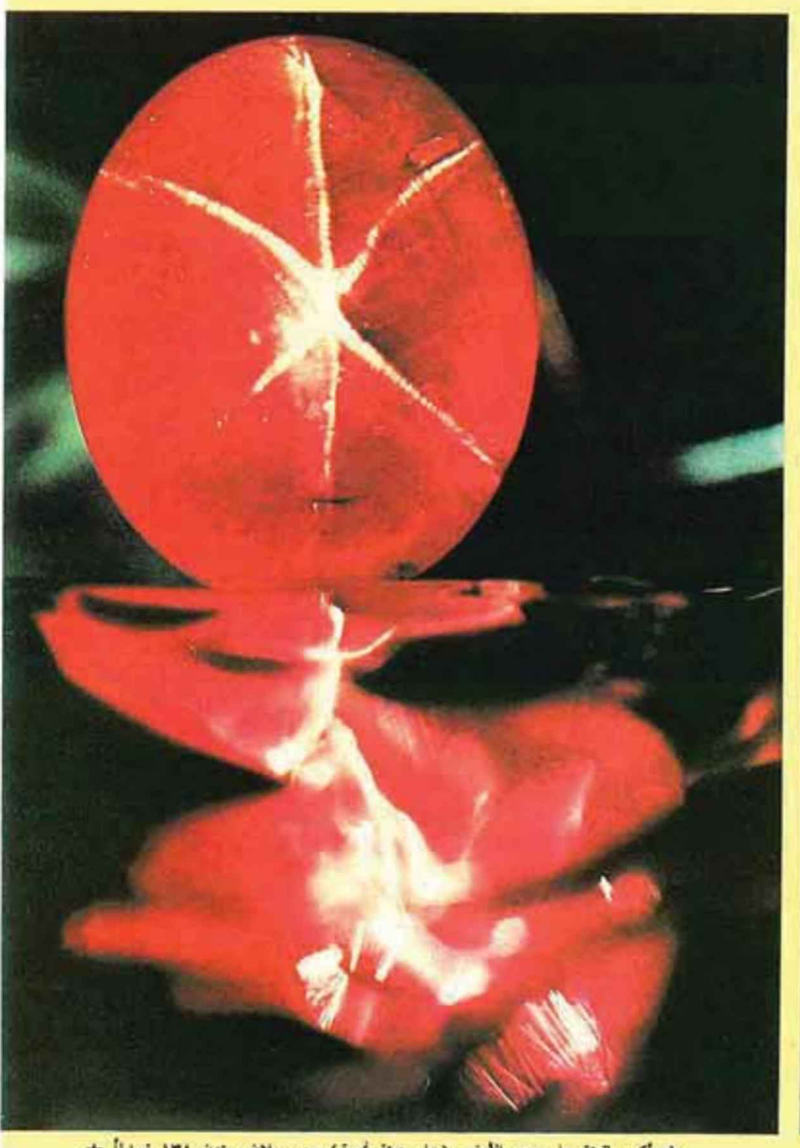
● في إطار التعريف بهذا الموضوع صدر للمؤلف نفسه كتاب بعنوان « المزيد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد » ، تأليف أبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار الفجيجي عام ٩٨٦ هـ ، الذي يعتبر من المخطوطات النفيسة والمهمة ، وهو من تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي .

(★) « الصقور والقنص » الطائر . . والرياضة . . والتاريخ ، ص ص ٩١ ـ ١١٣ ، العدد الأول ، السنة الثانية ، رجب ١٣٩٨ هـ ، يونيو (حزيران) عام ١٩٧٨ م .

موضوع خاص



★ جوهرة «هوب»، من الهند ـ ١١٢ قيراطاً ★



★ أكبر ياقوتة على وجه الأرض (على هيئة نجمة) من سيلان، تزن ١٣٨ قيراطاً ★

الأحجار الكريمة والمجوهرات

بقلم : محمد الخطيب

غدت عادة التزين بالأحجار البرّاقة ، والقطع الصغيرة اللامعة ، مظهراً اجتماعياً وجمالياً وذوقياً ، كما أصبحت ذات قيمة في التبادل الاقتصادي[1] ، ووجدت النساء في ألوان المجوهرات ، وسيلة لإبراز جمالهن ، وقد حفظ لنا التاريخ أسماء ملكات اشتُهرن بمجموعاتهن النادرة من الأحجار والمجوهرات القيّمة مثل : بلقيس وزنوبيا .

فن النقش

Glyptic

قام الإنسان بقطع الجواهر ، ثم نقشها ، مما زاد في قيمتها المادية ، وجعلها عملاً فنياً ، يدل على ذوقه وثقافته ودقته ومهارته . ورغم بساطة أدوات ذلك الفنان القديم ، فقد ترك روائع فنية ذات قيمة تاريخية ووثائقية وجمالية .

ويعتقد (**روستو فتزف**) بأن (الشرق كان لا يزال يقوم بدور رئيسي في حياة الصناعة) ، وذكر من فروعها (**الجواهر المنقوشة**) ، ومن أهم المواضيع التي وصلتنا منقوشة على الأحجار الكريمة هي : المواضيع الميثولوجية ، صور الملوك والقادة ، وصور الحيوانات والنباتات . وهذه النقوش إما أن تكون غائرة ، وقد استُخدمت كأختام ، ورُصعت بها الخواتم ، وإما أن تكون نافرة (بالتجويف أو بالبروز)[٢] .

مجالات الاستخدام

تستخدم الجوهرات والأحجار في ترصيع الحلي والتحف والأسلحة ، وتدخل في صناعة الساعات والأجهزة الدقيقة كالموازين ، ويستخدم الماس في الصناعة ، لأن صلابته الشديدة تمكنه من التأثير على أصلب المعادن بالقطع ، أو الكشط ، أو الحك ، أو الثقب ، ويبلغ وزن الماس المستخدم في الصناعة أكثر من ٨٠٪ من إجمالي الوزن بالقراريط للماس المباع كل سنة ، ويجري انتقاؤه وتحديد مرتبته قبل استخدامه في عمليات (الطحن والثقب والصقل) ، وبفضل استخدام الماس في الصناعة ، يمكن الآن إنتاج أسلاك يصل سُمكها إلى خمس شعرة الإنسان ، ولكن كثيراً من الماسات الأقل مرتبة لا تصلح إلا لسحقها .

في التجارة

أخذ التجار يتحملون مشقات السفر وأخطار الرحلات ومتاعب نقل البضائع المختلفة إلى البلاد المنتجة للجواهر للمبادلة بها ، ويذكر المؤرخون أن التجار القدماء كانوا يحصلون عليها من **شبه الجزيرة العربية** ، واللؤلؤ من **الخليج العربي وافريقيا والهند** ، والياقوت والماس واليشب من **سيلان** ، والجمشت والعقيق من **مصر** ، والزبرجد من شواطئ **البحر الأحمر** ، والبجادي من **آسيا الصغرى**... وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه (**روستو فتزف**) ، بأنه (كانت أكثر الجواهر البديعة من أصل شرقي) .

وكانت تجارة القوافل المتجهة إلى البلاد المنتجة عاملاً من عوامل ازدهارها ، ولكنه كان أحياناً سبباً حقيقياً للسيطرة عليها واستعمارها .

إننا لو استعرضنا المراحل التاريخية لاستنتجنا بأنها كانت ليست فقط موضوع تفاخر وتظاهر وعامل غيرة وشهرة ، وباعث إعجاب ودهشة وعنصر زينة .. بل وبمثابة ثروة جاهزة ورصيد ثابت ، فقد تجملت بها الحسان والغواني ، كما جمعها الملوك والقواد والأمراء والأغنياء ، فكانت لهم بمثابة أرصدة أنفقوا منها على الحروب ، واستخدموها في المحن والأوقات العصيبة[٣] .

في الآثار الفنية والتاريخية والتقليد

إذ إنها تزود الباحثين من العلماء والمؤرخين والمختصين بأسماء الملوك والأمراء والقواد والأغنياء والفنانين ، أو صورهم أو معتقداتهم ، أو مما يتعلق بالحياة الفكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية .

إن ندرة الجواهر الحقيقية ، وارتفاع أثمانها ، وكثرة الطلب عليها ،

★ أربعة أقداح من الحجارة الكريمة Semi precious Stone ـ (اللازورد) و (الخلقدوني) و (العقيق) و (اليشب الأخضر) ★

شجّع الإنسان على القيام بمحاولات عديدة لتقليدها ، والتفنن في محاكاتها ، وهذا ما يفسر محاولات المصريين القدماء في التزجيج باللّون الأزرق محاكاة للون الفيروز ، واستخدامهم اللون الأخضر تقليداً للون اللازورد .

أما في عصرنا الحاضر ، فقد حقق الإنسان نجاحاً كبيراً في تقليدها حتى أنه يصعب أحياناً تمييز الحقيقي من الصناعي لأول وهلة ، فقد نجح الألماني (**شتراس**) في تقليد بعض الأحجار الكريمة مثل : (اللعل والسفير) ، كما قام (**فريمي وفرنوي ومواسان**) بتقليد الياقوت في عام ١٨٩٢ م ، ولا شك أن ذلك قد أسهم في جعل الطبقات الشعبية تتزيّن بها بسعر منخفض .. ويحتفظ **المتحف البريطاني** بـ (فلذ أو شذرات) من ماسات صنعها عام ١٨٨٠ م ، أحد كيميائيي مدينة غلاسكو باسكتلندا .

وقد نشرت مجلة (**الفيصل**) في عددها رقم (٣٦) ، موضوعاً مهماً عن تربية اللآلئ في اليابان .

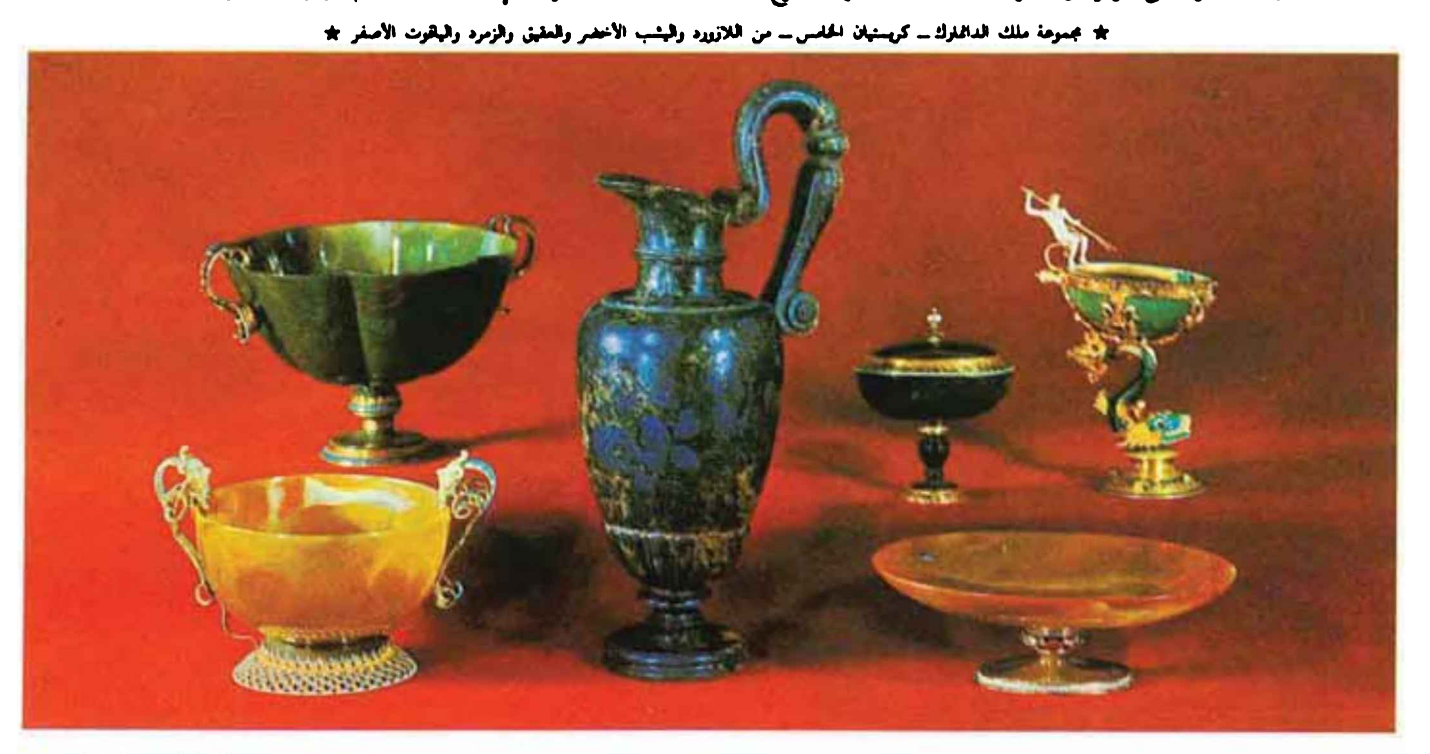
لمحة تاريخية

منذ عصر ما قبل الأسرات ، انطلقت السفن المصرية إلى الشرق تنشد الجوهرات والأحجار الثمينة ، وكل ما من شأنه أن يطيل الحياة ، فعُرف اليشب (العقيق) ، واستخدم الكريستال ، ويذكر المؤرخون أن البداريين (ما قبل الأسرات) استخدموا في حليّهم حبات من الفيروز والعقيق والكوارتز ، وتمكن المصريون في عهد السلالة الأولى من فتح جزيرة سيناء ، فكان هذا الفتح بمثابة فجر لاكتشافات جديدة ، وبداية لحملات عديدة تهدف إلى الحصول على الزمرد وحجر المليخيت أيضاً . وقد برع صناع مصر بقطع الأحجار الكريمة ، والترصيع بها ، ويدل على ذلك مشهد على جدار أحد الأهرامات ، يبدو فيه الصناع يقطعون حجر الفيروز قطعاً صغيرة للترصيع بها . ويصف (**برستد**) عملهم في النحت والترصيع بأنه غاية في الدقة والإتقان . وقد أخرجت الحفائر الأثرية تيجان أميرات مصريات ، وقلائدهن وحليهن المرصعة بالأحجار الكريمة التي تدل على مدى اهتمام المصريات بها ، وأسرف ملوك مصر الفراعنة في التزين بها .

وفي عهد الأسرة الثانية عشرة ، ظهر الميل إلى ملء فجوات الحلي الذهبية بالأحجار الثمينة ، كالعقيق والفيروز واللازورد ، وكانت التوابيت تطلى بالذهب وتُرصّع بالجوهرات . وذكرت الأستاذة (**مرجريت مري**) سوار الملكة (**عح حتب**) من الأسرة السابعة عشرة بأنه يتألف من : (قطع صغيرة من اللازورد قطعت بحيث تملأ الدقائق الصغيرة المعقدة والمختلطة في الرسم الدقيق) ، وذكرت الأستاذة (**تحية كامل حسين**) عن استعمال الجمشت والعقيق في العقود بشكل حبات مع حبات الذهب .

وكانت (**طيبة**) عاصمة مصر القديمة ، فيها من المهن (الصائغون المختصون بنقش الأحجار الكريمة وصقل الجوهر) . وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ، ظهرت فكرة ترصيع المقصورة بالأحجار الكريمة ، وذلك كي تتلألأ بتأثير أشعة الشمس . ومن كنوز (**توت عنخ آمون**) العلب المتضمنة أنفس الجواهر ، وتابوته الذهبي المنزل بأنفس وأروع الأحجار . واشتهرت الملكة **كليوباترا** بمجموعاتها ، وقيل إنها قدمت إلى ذوي الحظوة لديها صورتها منقوشة على أحجار كريمة ، جُلبت من شواطئ البحر الأحمر في منطقة كانت تشكل مصدر ثروات الفراعنة ، كذلك اشتُهرت **الإسكندرية** كأهم مركز للجواهر والأحجار الكريمة .

★ مجموعة ملك الدانمارك ـ كريستيان الخامس ـ من اللازورد واليشب الأخضر والعقيق والزمرد والياقوت الأصفر ★



كذلك اكتشفت في **بلاد ما بين النهرين** الأختام الأسطوانية التي تدل على أنه كان لكل شخص خاتم خاص به من العقيق أو اليشب أو اللازورد أو غيرها ، وأن نقوشها تدل على موهبة الفنان ودقته ومهارته ،

وقد أضفى النقش على الحجر مسحة من الجمال ، وأعطاه قيمة وثائقية وتاريخية تتعلق بحياة **البابليين** ومعتقداتهم . والمعروف أن سكان بلاد ما بين النهرين كانوا بحاجة ماسة إلى الذهب ، لهذا كانوا يستبدلون به حجر اللازورد ، الذي كان يعتبر من أهم صادراتهم ، وقد ذكر العالم (**ساتورن**) أن بعض رسائل (**تل العمارنة في مصر**) ، تُفيد أن ملكاً من ملوك الكاشيين ، أهدى ملك مصر هدية من حجر اللازورد .

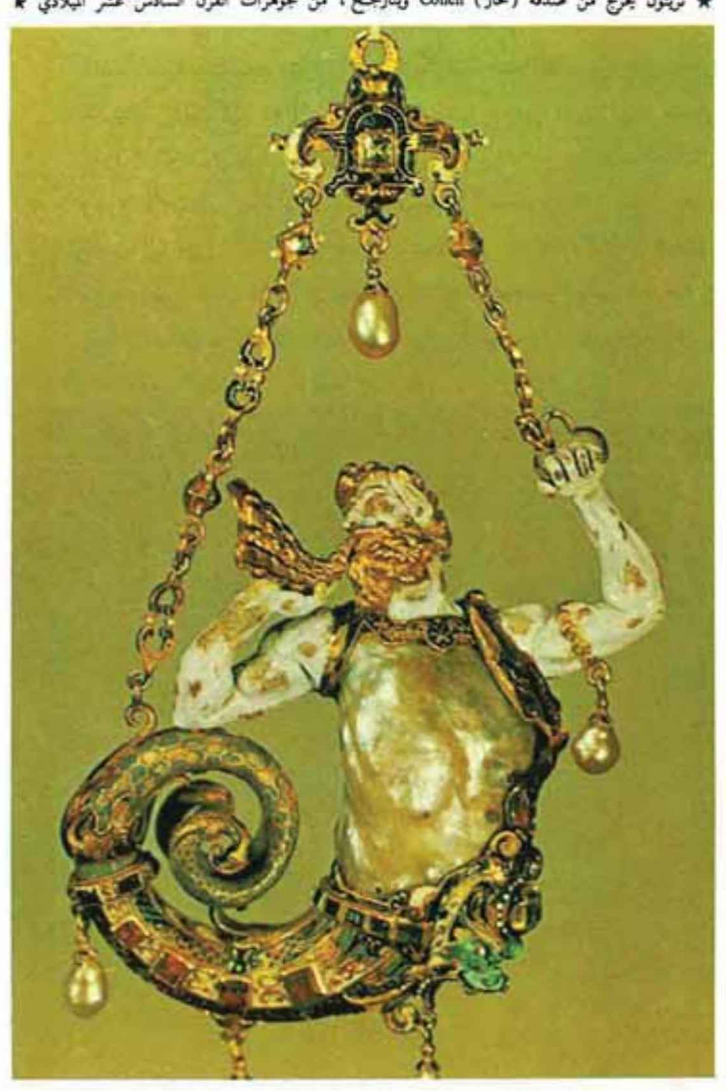
وكان **الساميون** يتزينون بالعقود والخواتم المرصعة بالكوارتز والعقيق ، وكانت الأحجار الكريمة من البضائع التي كان يحرص عليها **الآراميون** الذين وصلت تجارتهم إلى الخليج العربي .

وكان ملوك **الإخمينيين** (**الفرس**) ، يفرطون باستخدامها حتى إنهم كانوا ينتعلون أحذية تناثرت عليها الأحجار الكريمة ، وقد استولى **الإسكندر المقدوني** على كنوز (**داريوس الثالث**) بعد انتصاره عليه قرب أربيل .

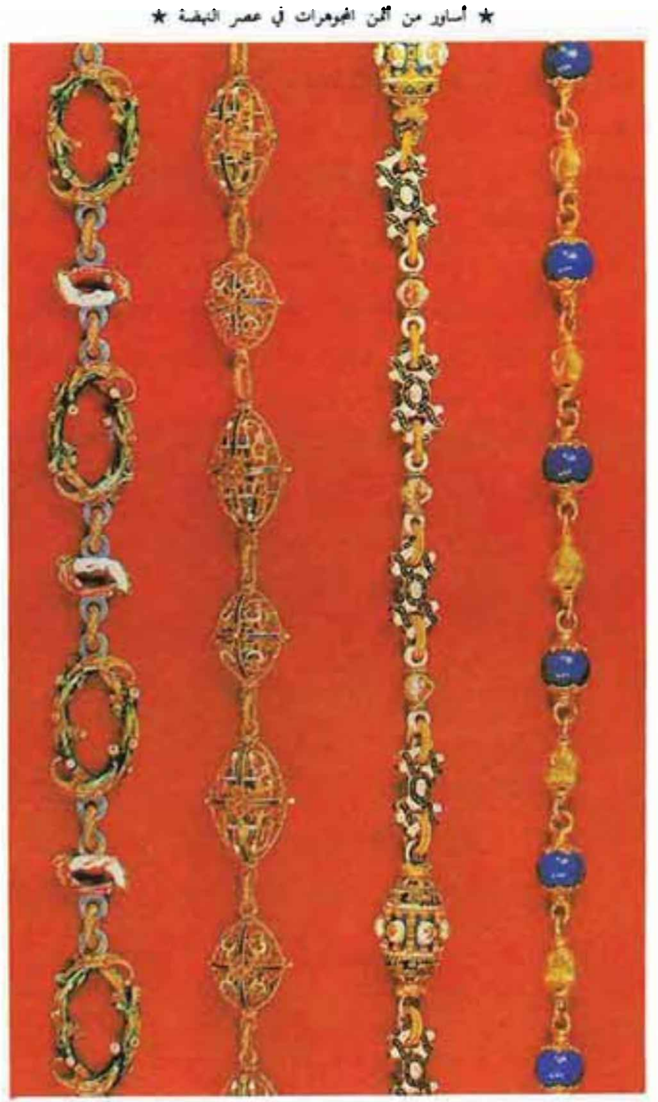
كذلك اشتهرت **شبه الجزيرة العربية** بالجواهر النفيسة كالجمشت والبلّور والعقيق الأحمر والأصفر والجزع وغيره . . . أضف إلى ذلك لؤلؤ البحرين .

كما أن الموقع الجغرافي **لليمن** ، جعلها ملتقى تجار العالم القديم ، وكان تجار الهند والأفارقة ، ينقلون بضائعهم إلى اليمن لتنقل براً إلى مختلف أنحاء العالم ، وكان اليمانيون عريقي الحضارة ، وقد بلغ غناهم وتذوقهم للجمال حداً ، جعلهم يعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صحائف الذهب مرصعة بالجوهر . وبقيت الملكة بلقيس في جمالها وتذوقها للمجوهرات وجمعها لها وتزينها بها مصدر وحي الفنانين ، وموضوع قصائد الشعراء على مدى الزمن .

وقد احتفظ العرب بحق حصرهم للتجارة في الخليج العربي وباب المندب ، وكانت الجزيرة العربية وتجارها يزودون العالم القديم بمختلف مواد الترف وأنواع الجوهر والأحجار الكريمة ، وفي الوقت الذي كان فيه



★ تريتون يخرج من صدفة (محار) Conch ويتأرجح ، من مجوهرات القرن السادس عشر الميلادي ★



★ أساور من أثمن المجوهرات في عصر النهضة ★

العرب يتزينون بلآلئ البحرين ، كان الإغريق يجهلونه طيلة القرون التي سبقت فتوحات الإسكندر . وبعد أن اطلع الإغريق على حضارة الشرق وفنونه ، وتعلموها ما لبثوا أن برعوا في قطع الأحجار المعروفة ، وتفننوا في نقشها ، وتقدموا في هذا الفن تقدماً كبيراً من حيث الأسلوب الفني واختيار الموضوع ، وإن ما تركوه من الأحجار ذات الصور الغائرة والنافرة ، ما زال موضوع الإعجاب والتقدير .

وانتقل الدور إلى **روما** التي أصبحت سوقاً لمنتجات العالم القديم ، وقد وصفها (**أيليوس أرستيدوس** Aelius Aristids) بقوله : « من شاء أن يرى طيبات العالم ، فعليه أن يطوف العالم كله ، أو يُقيم في روما فيرى حليَّ صقلية ومصر ، ولؤلؤ إفريقيا ، وذهب إسبانيا ، وزمرد اليونان ، والأحجار الكريمة الواردة من بلاد العرب » .

وغدت الأحجار الكريمة عنصراً هاماً في جهاز المرأة ، فقد ارتدت (**ليولا بولينا**) ثوباً مغطى من رأسها إلى قدميها بالزمرد واللؤلؤ ، وكانت تحتفظ معها بالإيصالات التي تدل على أنها كلفتها أربعين مليون سترس .

ويكفي لبيان مدى شغف الرومان باللآلئ والجوهرات مهما كان ثمنها ، أن نذكر أن **يوليوس قيصر** (١٠١ ـ ٤٤ ق . م) ، دفع ثمن لؤلؤة واحدة ستة ملايين سترس .

وكان (**نونيوس**) أحد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني ، يزين إصبعه بخاتم رُصِّعَ بحجر (عين الهر) ، له حجم البندقة قيمته مليون سترس .

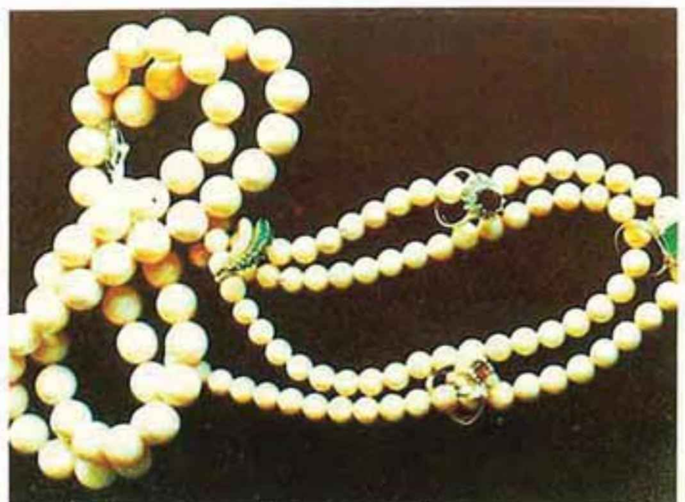
وحمل القائد العسكري الروماني (**بومبيه** Pompee) في أحد احتفالاته (شطرنج يتألف من حجرين كريمين) ، يقال إنه جعل صورته من اللؤلؤ ، وإن عادة اقتناء صناديق المجوهرات انتشرت في عهده .

وذكر (**بليني** Pliny) ، أكثر من مائة نوع من أنواع الأحجار الكريمة المعروفة في روما ، وقدم (**أوغست**) إلى معبد **جوبيتر** لآلئ وأحجار كريمة قيمتها ٥٠ مليون سترس . ولم يستطع الرومان أن يجعلوا حداً لولعهم بها ، حتى إن أحذية النساء كانت تزركش أحياناً بالذهب وتحلى بالجواهر . ومن اطرف ما ذكره (بليني) أنه كان على قبر **هرمياس** ملك **قبرص** أسد من رخام رُصعت عيناه بزمردتين براقتين ،

★ إبريق وكأس من الكريستال الصخري مرصع بالجواهر والفيروز Rock Crystal ★







★ عقد من المرجان ★



★ وزة من اللؤلؤ والماس ★

حتى قيل إن بريقها كان يخرق المياه إلى أعماق البحر ، مما كان يجعل أسماك التونا تخافه ، وتبتعد عن الشاطئ ، ولكن الصيادين انتبهوا إلى ذلك فغيروها لتقترب الأسماك منه .

وبعد أن هزمت الجيوش العربية الإسلامية إمبراطوريتي الفرس والروم ، أخذ الشرق العربي مشعل الحضارة ، وغدت **بغداد** في عصرها الذهبي في العصر الوسيط سوقاً رئيسياً للجواهر والأحجار الكريمة ، التي من شأنها أن تلبي رغبات سكانها في التزين بالياقوت والّلازورد واللؤلؤ والزبرجد والعقيق ، وحبهم التدثر بالديباج المنسوج بالذهب والمنظوم بالجوهر .

وفي حفلة زفاف الخليفة العباسي **المأمون** من **بوران** ابنة وزيره في عام ٨٢٥ م ، جلس العروسان ، وقد بسط لهما فرش كان الحصير منها منسوجاً بالذهب ، ومكللاً بالدر والياقوت ، وقد نثرت على بوران ألف درة كانت في صينية ذهبية ، حتى قيل إنه لا شيء يحجب مطر اللؤلؤ الذي غمر بوران بنت الحسن يوم زفافها إلى المأمون .

وكان **لأم المستعين** سجادة صنعت خصيصاً لها بلغت تكاليفها ثلاثين ومائة مليون درهم ، جُعلت عليها صور مختلفة فيها الطيور الذهبية ذات العيون الياقوتية .

ولم يكن الميل إلى الجواهر والأحجار الكريمة عند **الفاطميين وأمويّ الأندلس** ، أقل منه عند العباسيين .. يقول **ابن خلدون** في مقدمته الشهيرة : « ثم صاروا في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للإصبع ، فيستجيدون صوغه من الذهب ، ويرصعونه بالفصوص من الياقوت والفيروزج والزمرد ، ويلبسه السلطان شارة في عرفهم ، كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية ، والمظلة في **الدولة العبيدية** والله مصرف الأمور بحكمه » .

وفي **أوروبا** كان حكّام **البندقية** طيلة القرون الوسطى يعملون بصناعة وتجارة المجوهرات التي كان يصدرها إليهم تجار مصر وسورية والهند ، وفي عصر النهضة برع عدد من المتخصصين بقطع الياقوت ، وتميزوا بمواهبهم وذوقهم في عصر بدا فيه اللؤلؤ والماس والياقوت والسفير والزمرد والعقيق يزين الأصابع في الخواتم والذراعين في الأساور والرأس في الأكاليل والأذنين في الأقراط . وكان البندقيون أنفسهم يذهبون إلى **القسطنطينية** لشراء الجواهر منها ليعودوا ويبيعونها في **باريس** وغيرها من المدن الأوروبية .

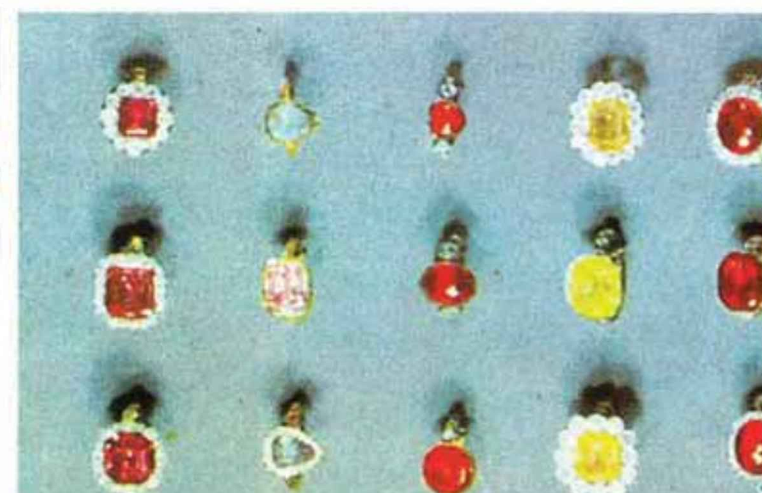
وقد أدى اكتشاف العالم الجديد (**أميركا**) إلى ملء أسواق أوروبا بالزمرد واللؤلؤ وغيرهما من الأحجار الكريمة .. وفي العصر الحديث أخذت مجموعات الجواهر والنفائس والتحف تهاجر لتستقر في أميركا أو ترسل إلى المتاحف .

التصنيف

يعد **الإغريق** أول من صنف المجوهرات بعد أن اطّلعوا على المراجع الشرقية القديمة ، وقد اهتم الطبيعيون بدراستها وصنفوها بمراتب أو فئات ... واستطاع الباحثون والعلماء في علم المعادن والجيولوجيا أن يعرفوا حوالي ٢٠٠٠ مادة ومركّب من محتويات القشرة الأرضية ، وفرزوا منها حوالي ١٠٠ نوع اعتبروها أحجاراً كريمة تتسلسل في مراتب عالية الثمن ومتوسطة الثمن .

والأحجار الكريمة هي مواد معدنية أو عناصر ذات أصل عضوي كاللؤلؤ والمرجان ، وتختلف الجوهرات تبعاً لندرتها وخواصها الطبيعية كالصلابة والشفافية واللمعان وعدم التغيّر ، ومعظم هذه الأحجار تتكوّن من السليكا ، أي من مركبات (**السليكيوم** Silicium) ، والأوكسجين مع معدن آخر أو أكثر ، وذلك فيما عدا الماس الذي يتكوّن من الكربون النقي المتبلور .

● الماس : Diamond **اشتق من اللاتينية** Adamas بمعنى لا يُغلب وهو الحجر الكريم الوحيد الذي يتكوّن من عنصر واحد (الكربون) ، وقد تم تكوينه في الأزمنة السحيقة عن طريق تبلور الكربون المختلط بالماجما التي قذفتها البراكين ، وهو أكثر المواد المعروفة في الطبيعة من حيث القساوة[٤] ، وهو موصل رديء للحرارة والكهرباء ، شديد



★ الياقوت الأحمر Roby مع حبات الماس ★



اللمعان ، شفاف ، عديم اللون ، أو أزرق ، أو أصفر ، أو أخضر ، أو أحمر ، أو بني ، أو أسود . ويعد الماس اللالوني والماس الأزرق أنفس أنواع الماس لجمالهما وندرتهما ، ومنهما تصنع المجوهرات القيّمة ، أما الماس الأسود والماس المشتمل على شوائب فيستخدمان لقطع الزجاج وتفتيت الصخور . **ويتم استخراج الماس من جنوب إفريقيا وروسيا والبرازيل وتانجنيقا والكونغو .**

كانت أولى الماسات التي عثر عليها ماسات رسوبية في قاع الأنهار ، وبعد ذلك أمكن العثور على الماس في الأراضي المرتفعة بمنطقة **كمبرلي**(*) بجنوب إفريقيا ، ويُعتقد بأنها من صخور بركانية المنشأ ، وقد تكوّنت نتيجة الضغط والحرارة الهائلة في باطن الأرض ، والله أعلم .

القطع والصقل والهندمة

وهذا يعد اختصاصاً قائماً بذاته في عالم الأحجار ، ويحتاج إلى الممارسة الطويلة والخبرة التامة بتركيب الأحجار وأشكالها الطبيعية ، كما تحتاج إلى فن رفيع لإظهار الحجر بشكل جميل يُضفي عليه مزيداً من



★ قرن مجوف عقيق (كأس للشراب) على شكل رأس ثور ذي فم مرصع بالذهب (من آسيا الوسطى) ★

التألق ويساهم في رفع قيمة الحجر . ومن أشهر بلاد العالم في عملية الصقل والشطف : **بلجيكا وسويسرا .**

إن عملية شق تلك الأحجار تختص بقطع الماسة في اتجاه الترتيب الطبيعي لعروقها ، مثلما يُشق الخشب في اتجاه أليافه ، ثم تأتي عملية التقطيع وهي تتم بعمليات نشر على قطع أخرى من الماس أو تراب الماس ، لأن تلك المادة شديدة الصلابة لدرجة يستحيل تشكيلها إلا بنفس المادة أي (قطع الماس بالماس نفسه) .

ولألاة الماس يمكن الحصول عليها عن طريق تعدد الأسطح المستوية ، التي تؤدي إلى انعكاس الضوء عليها وانكساره . وكل نوع من القطع يتطلب عدداً معيّناً من هذه الأسطح . فالماسة المستديرة (**البرلانت** Brillant) ، مثلاً يجب أن يكون لها ٥٨ سطحاً . أما الماسات والأحجار شديدة التلوين مثل الزمرد والياقوت الأصفر ، فتقطع بطريقة أبسط ، أي إلى قطعة (المدرج) ، أو قطعة (المائدة) ، أو قطعة (الوردة) إذا كان صغيراً .

الماسات الشهيرة في العالم

في عام ١٩٠٥م ، اكتشفت في مناجم **بريمييه** Premier بالقرب من **بريتوريا** ماسة هائلة تعرف باسم **ماسة كولينان** Cullinan ، وقد بلغ وزن هذه الماسة عند اكتشافها ٣١٠٦ قراريط ، أي ٦٢١,٢ جراماً ، وهو وزن فريد في العالم . وبعد قطعها نتج عنها ٩ أحجار رئيسية رائعة ، و ٩٦ قطعة من البرلانت الأصغر حجماً ، والماسة المعروفة باسم **نجمة إفريقيا** ، التي رُصع بها صولجان ملكة إنجلترا هي إحدى القطع الناتجة من تلك الماسة الفريدة . أما الماسة المعروفة باسم (**ريجنت** Regent) التي حصل عليها دوق أورليانز ، تعد أجمل وأنق الماسات الموجودة في أوروبا .

وهناك ماسة (الأمل) التي يبلغ وزنها ١١٢٥ قيراطاً ، حيث تنقلت بين أيدي الملوك والأثرياء طيلة ٢٠٠ عام ، إلى أن استقرت بمؤسسة





★ مجوهرات المهراجا «جواليورز» بالهند، معروضة في قصره ★

(سميث سونيون) الأميركية عام ١٩٥٨ م، وإن سحر هذه الجوهرة يستقطب ٣ ملايين متفرج سنوياً إلى هذه المؤسسة.

الوزن والقيمة

يجري التعامل في الأحجار الكريمة على أساس الوزن، والوحدة المستخدمة هي (القيراط)، وهو يوازي ٢٠٠ مليجرام، أي ١/٥ جرام، فالحجر الذي يزن ٥ قراريط يكون وزنه جرام واحد، وأجزاء القيراط هي (الحبة) وهي ربع قيراط، فأربع حبات تساوي قيراط واحد.

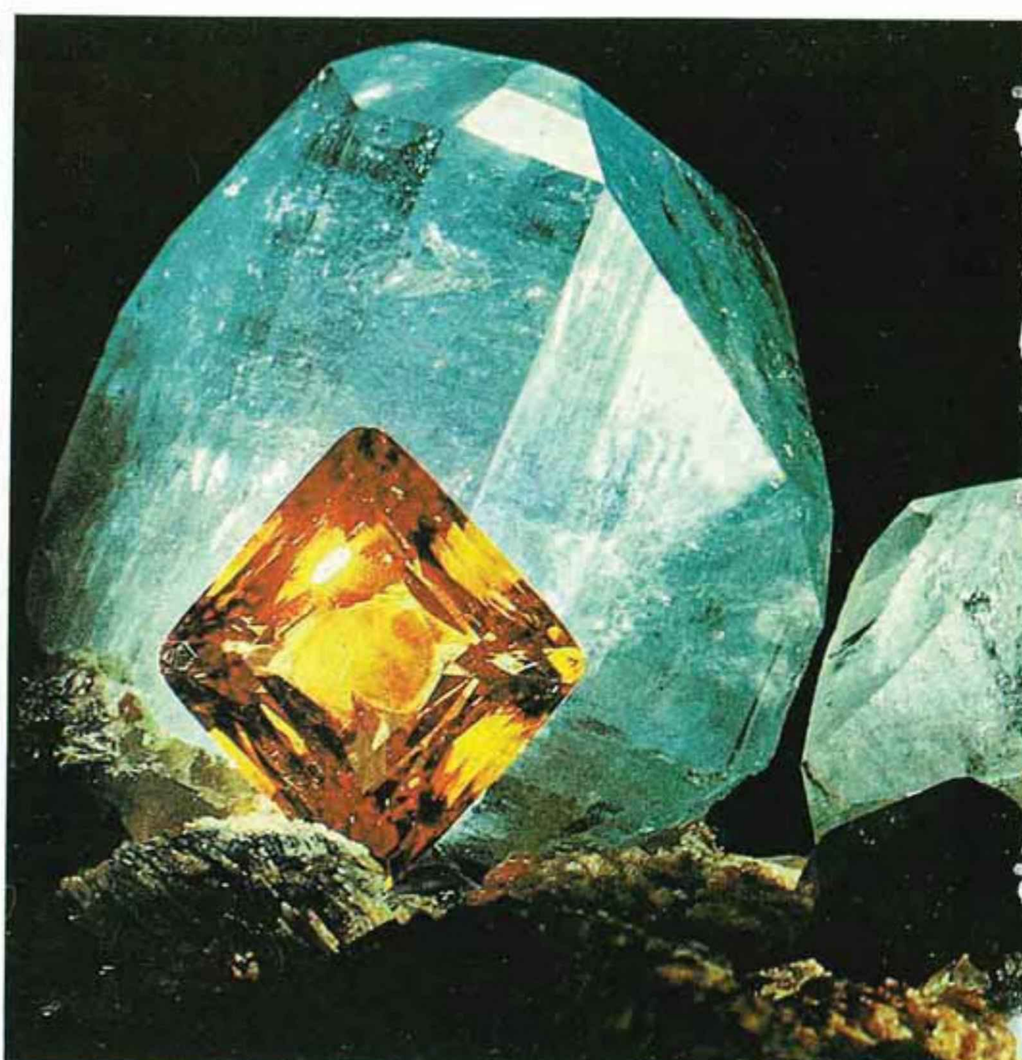
الأحجار المكونة من أكسيد الألمنيوم

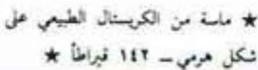
● الياقوت الأحمر Roby: (مُشتق من اللاتينية Ruber بمعنى أحمر)، ويعد أهم الأحجار الثمينة وأكثرها صلابة، وأجملها بريقاً، وأشدها تألقاً، وما زال من أكثر الأحجار الثمينة إقبالا عليه وولعاً به، بما يتميّز من شفافية ومائية، أضف إلى ذلك أن لشعاعه في الليل ضوء الشمع الأحمر. والياقوت الأحمر من أنفس أنواع الياقوت، وهو من أنواع مجموعة **القورند** Corundun (ألومين متبلور)، ومن أنواعه: (الرمائي، والبهرماني، والأرجواني، واللحمي، والبنفسجي، والجلناري (بلون زهر الرمان)، والوردي). **ويجري استخراجه من بورما وتايلاند وسيلان**. وإذا كانت **الهند** قد زودت العالم القديم به، فإن **إفريقيا** تنتج ٩٦٪ من الإنتاج العالمي في **الكونغو وغانا وأ... ولا وجنوب إفريقيا**.

● الياقوت الأزرق Sapphire سفير: ويعد من الأحجار الثمينة، ويرى البعض أن اسمه مشتق من عبارة (سفر الصبح إذا أضاء وأشرق)، وتذكر الأسطورة أن عينين جميلتين تشبهان وريقات زهرة اللوتس، كانتا قد سقطتا في نهر فتكاثرتا بمعجزة. لونه أزرق غامق (كحلي) من فصيلة (القورند). وقد يكون أحمر أو وردياً أو أسود، **يوجد في الهند وبورما وسيلان وتايلاند وأستراليا**.

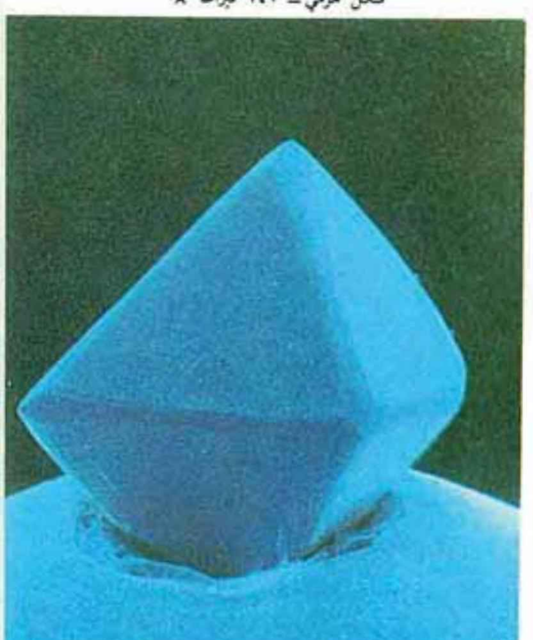
● الأسبينيل Spinel: حجر أحمر جميل، شديد الشبه

★ جوهرة «التوباز» البرتقالية ــ ٩٣ قيراطاً ★





★ ماسة من الكريستال الطبيعي على شكل هرمي ــ ١٤٢ قيراطاً ★



بالياقوت ، وهو أكسيد الألمنيوم والمغنسيوم ، يستخرج من بورما وتايلاند وسيلان والهند **وأفغانستان** .

● **الياقوت الأصفر Topaz** : من الهندية القديمة Tapus ، ومعناها : النار أو الشمس ، وهو حجر ثمين شفاف أصفر اللون ، تكوَّن من سليكات الألمنيوم والفلور ، **يوجد في البرازيل وسيلان وروسيا والولايات المتحدة الأميركية** .

الأحجار التي تتكون من السليكا

● **الزمرد Emerald** : أنفس أنواع البريل على الإطلاق ، وهو حجر كريم شفاف ، شديد الخضرة ، أجوده زمرد أميركا الجنوبية ، ويعد من أقسى الأحجار الكريمة بعد الياقوت . يتميَّز بجودة مائيته ولمعانه وفتنته وبريقه ، عرفه قدماء المصريين ، وكانوا يتحلون به منذ سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ، ومن أنواعه ما كان يُسمى (بالريحاني) ، و (السلقي) . وخلال الفتح الإسباني لأميركا الجنوبية انتزعت من أهالي (**بيرو**) مقادير ضخمة من الزمرد ، **يوجد اليوم في كولومبيا وجبال الأورال وبعض مناطق جبال الألب** ، وكان بعض الناس يعتقدون أنه يقي المرء من داء الصرع epilepsy ، ويذود عنه الأرواح الشريرة ، في حين اعتقد بعضهم الآخر أنه يساعد العذارى على الاحتفاظ بطهارتهن ، ويساعد الحوامل على الولادة من غير ألم . وفي عام ١٩٤٦ م ، بدأ في الولايات المتحدة الأميركية إنتاج الزمرد الصناعي ، والواقع أن هذا الزمرد المصنوع ، لا يقل جمالا وإشراق لون عن الزمرد الطبيعي .

● **الأكوامارين أو (الزمرد الأزرق الخفيف) Aquamarine** : ومعناها (الماء + الملح) ، وهذا يدل على تركيبه الكيميائي ، والنوع النقي منه له قيمة عالية ، ويستخرج على شكل بلّورات يبلغ وزنها في بعض الأحيان كيلوغرامين أو ثلاثة كيلوغرامات ، **ويوجد في مدغشقر وجنوب إفريقيا والبرازيل** .

● **اللعل (عقيق أحمر) Garnet** : من اللاتينية GARNUM بمعنى حبوب ، ويتكوّن من سليكات معادن مختلفة كالألمنيوم والحديد

والكالسيوم والمغنسيوم ، وهو حجر ثمين قاس ، صاف وشفاف ، برّاق ، له لون أحمر غامق ، وهو في مرتبة الياقوت من حيث اللون والبريق ، ولكنه أقل صلابة منه ، وتنسب الأساطير الشرقية القديمة لونه إلى لون دم بطل وقع في نهر (سنغالي) ، فتخثر كجوهر أحمر لامع . يتميّز اللعل بأن لونه يبقى رائعاً لا مثيل له في أي حجر ثمين آخر . وقد اتخذ رمزاً للحب . ومن أنواعه ، الوردي اللون والأصفر الوردي وأجود أنواعه العقيق اليماني الشديد الحمرة ، وتزداد قيمته بنسبة صفائه وإشعاعه . وقد استخدم العقيق بكثرة في الحلي الشانوية والأختام القديمة ، **ويوجد في بوهيميا وجنوب إفريقيا والهند وسيلان .**

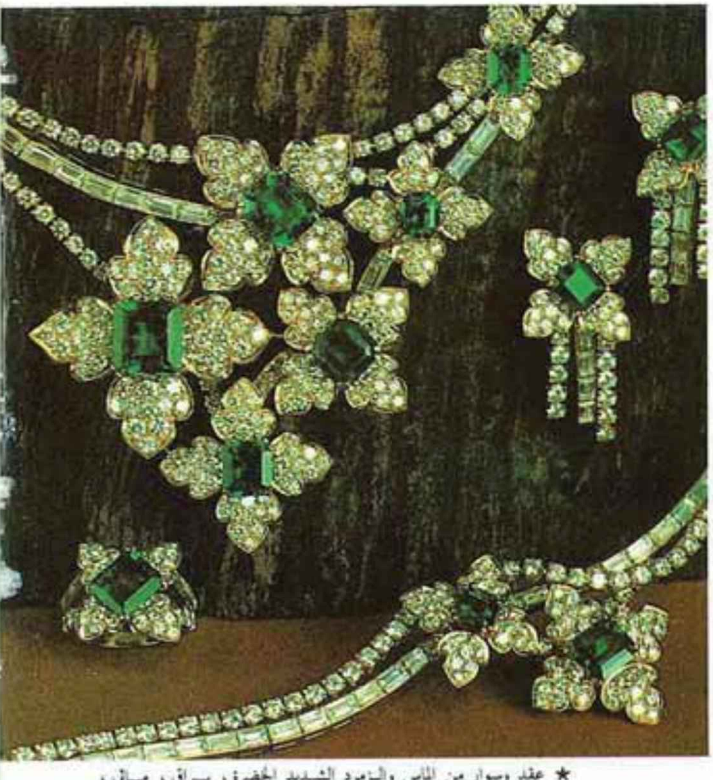
● **التورمالين Tourmalisne :** وتركيبه الكيميائي : (بوروسليكات الألمنيوم ومعادن أخرى) ، اكتشف في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي ، على يد بعض البحارة الهولنديين الذين أطلقوا عليه اسم (تورمالي) : Tormali ، بمعنى (الحجر الذي ينشط الرماد) . **يوجد في سيلان والبرازيل ومدغشقر وكاليفورنيا .**

● **الجمشت Amethyst :** من أنواع (الكوارتز) ، بنفسجي أو أرجواني اللون ، له اسم غريب باليونانية معناه (غير مُسكر) ، أو (الحجر الذي لا يُثير الأعصاب) ، وكان اليونانيون يضعونه أحياناً بالنبيذ لكيلا يُسبب الغيبوبة ، وهو حجر ثمين يشبه الياقوت البنفسجي ويغلب عليه اللون الوردي أو السماوي ، ومن أنواعه ما كان مغشى ببياض كالثلج على وجهه حمرة . وهذا ما جعل القدماء يستخدمونه وينقشون عليه الصور ، **وكان يوجد في الحجاز قرب المدينة المنورة ، وفي إسبانيا وقبرص والهند وسيلان .**

● **عين الهر Opal :** أحد أنواع السليكا المائية ، له انعكاسات متغيرة . وصفه **التيفاشي** بأنه : «عجيب الشكل . . وأنه يُرى في باطنه نكتة إلى الزرقة على قدر ناظر الهر» . وهناك ما يسمى بـ «عين القمر» ، الذي يعد نوعاً من الكوارتز . **يوجد في المكسيك وأستراليا .**

● **الخلقدوني Chalcedony :** نسبة إلى **خلقدونيا** المدينة القديمة في آسيا الصغرى ، وهو سليكا غير نقية ويسمى (العقيق الأحمر) ، عندما يكون أحمر اللون . وكان القدماء يطلقون عليه اسم Carchedonius ، وعلى أنواع الكوارتز ذات اللون الأبيض السديمي ، والأزرق الفاتح ، وكانوا يستخرجونه من مصر والهند وإفريقيا ويستخدمونه في ترصيع التحف من كؤوس وأوان . وله أنواع متعددة ، لكل منها لون ، ويتميّز بطبقاته الطبيعية ذات الألوان المختلفة ، وقد انتبه بعض الفنانين إلى هذه الخصائص ، فاستخدموه في ترصيع الخواتم والأطواق ، بعدما نقشوا عليه الصور النافرة والغائرة . **يوجد في ألمانيا وبوهيميا وروسيا والهند وكندا وأميركا .**

● **العقيق الأبيض Chalcedony :** أحد أنواع الخلقدوني ، وهو عبارة عن كوارتز متبلور نصف شفاف ، يتميّز ببريق شبه شمعي ، لونه أبيض ضارب إلى الزرقة ، أو رمادي ، أو أصفر ، وهو حجر شبه



★ عقد وسوار من الماس والزمرد الشديد الخضرة ، براق ، صافي ، فاتن ، ويعتبر من أثمن الأحجار الكريمة بعد الياقوت ★

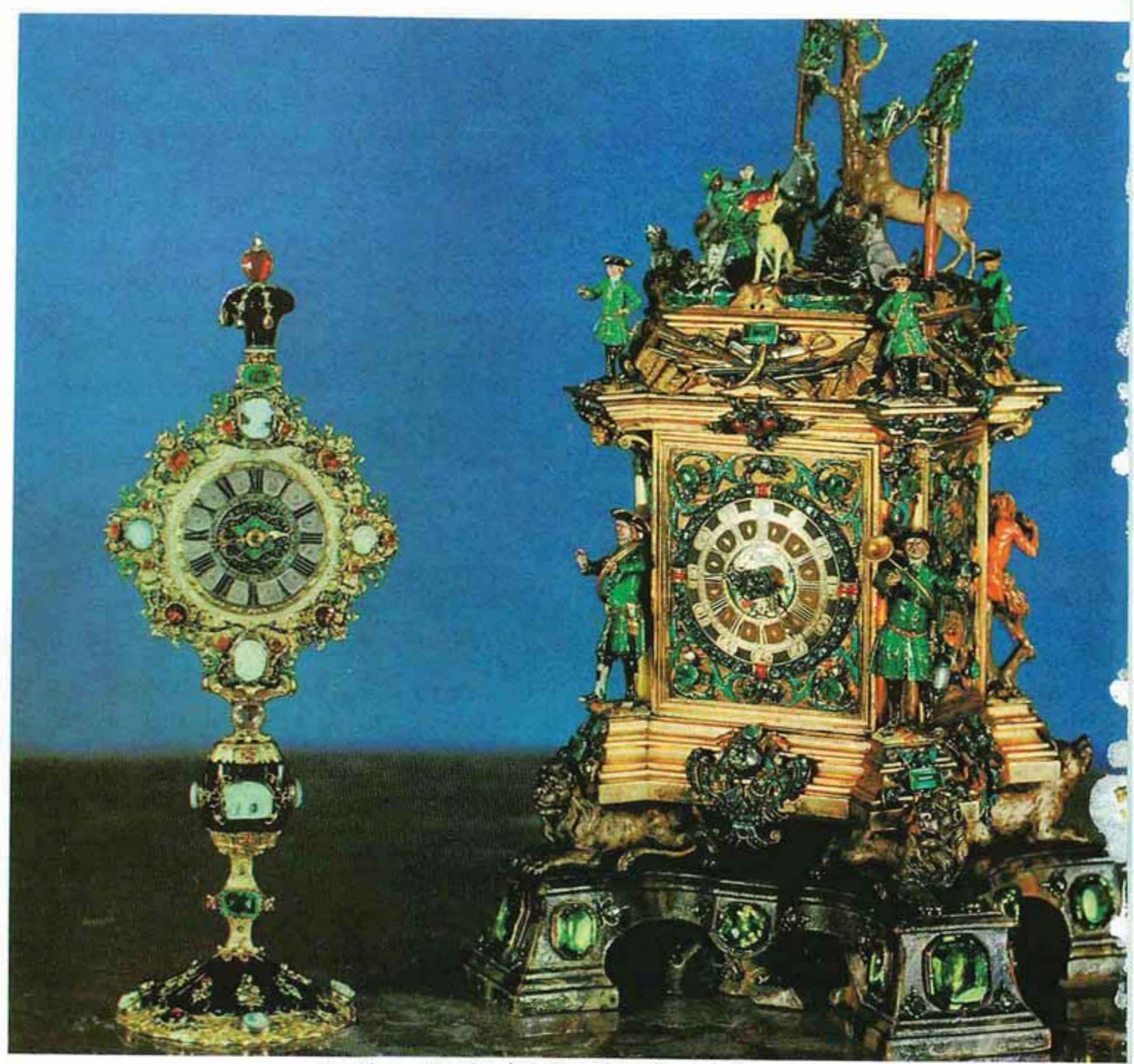


★ الماس الأزرق : من أنفس أنواع الماس ، شفاف ، براق ، شديد اللمعان . وهذه الماسة تزن ٩,٨٩ قراريط تتلألأ نتيجة وجود عشرات الأسطح المستوية التي تؤدي إلى انعكاس الضوء ★

كريم ، ويعد من المواد الكاشطة abrasives بسبب صلادته الشديدة ، ويستخدم في صقل الحلي ، **ويكثر وجوده في الهند ومدغشقر والولايات المتحدة الأميركية .**

● **الكريسوبريل Chrysobryl :** وهو أكسيد الألمنيوم والبيريليوم ، **يوجد في سيلان والبرازيل وبورما وإفريقيا الشرقية .**

● **الزبرجد Chrysolite :** نوع من السليكات معروف منذ سنة ١٥٠٠ ق . م ، اشتق اسمه من لفظ (الزبرج) ، أو (الزبرقة) ، وهو ما يفيد الصبغ بحمرة أو صفرة ، وهو حجر ثمين لونه أصفر أو وردي ،



★ ساعتان من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة واللآلئ، أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ★

صلب، شفاف وبرّاق كالزجاج، وقد أطلق اسمه في الماضي على أكثر الأحجار الكريمة الصفراء، **ويوجد في جزر البحر الأحمر والنرويج وبورما وأستراليا والمكسيك**.

● **الفلسبار Felspar :** وهو جزء أساسي من عدد كبير من الصخور، وهي سليكات الألمنيوم والكالسيوم، والبوتاسيوم، والصوديوم، وهو يوجد على أنواع عديدة أفضلها الـ : Obigoclase .

● **الزرقون Zircon :** كانت جميع الأحجار الكريمة التي ترد من الشرق في القرن الخامس عشر الميلادي، يُطلق عليها اسم (الزرقون). أما اليوم فهذه المجموعة تُسمى أيضاً (**بليكات الزرقونيوم**)، وهو معدن نادر، له ألوان مختلفة تميل عادة إلى الأصفر، والبني، **ويوجد هذا الحجر في كمبوديا وسيلان وسيام**.

● **حجر الدخنج (التوتية) Malachit :** (الملخيت) وهو حجر نصف كريم مثل اليشب Jade ، والفيروز Tourquoise ، ويتكوّن بصفة خاصة من كربونات النحاس، **ويوجد في جبال الأورال وشيلي وروديسيا**.

● **الكورديريت Cordierite** : وهو معدن أزرق شفاف ، أو شبه شفاف ، يتكوّن من سليكات الألمنيوم والحديد والمغنسيوم ، ويكون على شكل بلّورات أو حبيبات في الصخور النارية . **يتواجد في سيري لانكا وولاية (وايومينغ) الأمريكية** . يستخدم في الصناعة ، وصناعة الجوهرات ، دُعي على اسم العالم الجيولوجي الفرنسي بيير كوردييه ١٧٧٧ ــ ١٨٦١ م ، الذي كان أول من وصفه .

● **العقيق الأحمر (الغارنيت) Garnet** : ويسمى (البيجادي أو السيلاني) ، معدن شفاف أحمر اللون ، يعد من الحجارة شبه الكريمة ، يدخل في صناعة الحلي ، وكثيراً ما يستخدم كمادة كاشطة أو حاكة . والغارنيت قد يكون بني اللون أو أسوده أو أخضره أو أصفره أو أبيضه أحياناً . يتواجد في الصخور النارية والمتحولة ، عرفه المصريون القدماء ، واستعملوه في صناعة الحلي ، **ويكثر اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وجنوب إفريقيا ومدغشقر وإسبانيا والهند** .

● **العقيق (اليشب) agate** : ضرب من الكوارتز يزدان بحلقات من لونين أو أكثر ، **يوجد في أميركا الشمالية والبرازيل وأرغواي والهند** . ويستخدم في صناعة الموازين الكيمياوية والهواوين التي تُسحق فيها المواد الصلبة ، وفي صناعة الحلي . وهو يُعتبر حجر نصف كريم .

● **العقيق اللحمي Carnelian** : حجر شبه كريم ، أحمر اللون ، أو ضارب إلى الحمرة ، وهو شبه شفاف ، يستخدم في صناعة الحلي ، عرفه اليونان والرومان ، واتخذوا منه فصوصاً للخواتم ، يكثر في ثقوب الصخور ، **ويوجد في البرازيل والهند وأستراليا وفلوريدا وأميركا الجنوبية** ، اسمه مشتق من Carneus اللاتينية ومساها (لحمي Fleshy) ، وفي ذلك إلماح أو إشارة إلى لونه .

● **الجزع** : حجر قاس وناعم ، يتميّز بطبقاته الطبيعية المختلفة الألوان ، التي كانت تساعد الفنان على إبداع الصور النافرة . وهذه الطبقات الطبيعية ذات لون أحمر غير شفاف ، وأبيض غير شفاف ، وبلّوري شفاف . وعدُّ أجود أنواعه ما تساوت طبقاته من حيث الرقة وزادت نعومة سطحه .

● **الفيروز Tourquoise** : من مركبات السليكا أيضاً ، يفيد اسم حجر الفيروز في اللغة الفارسية معنى (النصر) ، لهذا كان يسمى بـ (حجر الغلبة) ، كما يسمى أيضاً بـ (حجر العين) ، لأنه يدفع عن حامله شر العيون المؤذية . وكان الملوك يميلون إليه لأنهم يعتقدون بأنه يدفع كارثة القتل عن صاحبه . يتميّز الفيروز بلونه الأزرق ، ويتصف بعدم شفافيته . ومن أنواعه (الاسمانجوني) ، أي (السماوي) اللون . ويعتبر أجوده ما كان أزرق صافياً مشرقاً ، **وقد اشتهرت به قديماً شبه جزيرة سيناء** .

● **اللازورد ــ الموهق** : حجر كريم أزرق اللون ، وأجوده ما كان أشده إشراقاً ، وأكثره صفاءً ، كانت ترصع به عيون التماثيل القديمة في بلاد ما بين النهرين .

● **الكريستال Crestal** : (الزجاج الصخري) ، يستخرج من باطن الأرض ، ويتميّز ببياضه الرائع وشفافيته النموذجية وصلابته الشديدة ، وكتل الكريستال هي صخور اندفاعية ، **وتوجد مع الذهب في الجزيرة العربية** . يستخدم في صناعة الحلي والتحف والعقود المؤلفة من حبّاته ، وتصنع منه أيضاً الأقداح والتماثيل والثريات ، **وتشتهر به تشيكوسلوفاكية** .

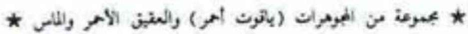
● **اليشم (الجاد) Jade** : اسم جامع يطلق بالمعنى العام على عدد من المعادن التي يتراوح لونها ما بين البياض والخضرة الداكنة ، ويطلق بالمعنى الخاص على ضربين من الحجارة شبه الكريمة هما : (الجاديت) وقوامه سليكات الصوديوم والألمنيوم ، و (النفريت) وقوامه سليكات الحديد والكالسيوم والمغنسيوم . الأول أنفس من الثاني ، **ويوجد في الصين وسيبيريا وآلاسكا وسويسرا** .

جوهرات من أصل عضوي

● **اللؤلؤ** : وهو عبارة عن جوهر كروي الشكل ، يتكوّن بفضل حيوان يعيش داخل صدفتين منطبقتين على بعضهما تسميان (المحار) . وقد ذكر أحد الكتّاب ، أن من عادة هذا الحيوان أن يفتح مصراعي محارته أثناء وجوده تحت الماء ليتغذى ، فتدخل إلى المحار بعض الذرات من الرمال العالقة بالماء ، وتثير في جسمه ما يجعله يفرز مادة هلامية ، فتتصلب هذه المادة ، وتصبح نواة لحبة كروية الشكل برّاقة من اللؤلؤ .

وبعدما اطلع الإنسان على كل هذا ، أخذ يقوم بتربية الحيوان الهلامي ليحصل منه على اللؤلؤ ، حتى أنه من المتعذر تمييز اللؤلؤ الحقيقي بدون الاستعانة بتصوير اللؤلؤة بأشعة إكس .

ويعد أفضل اللؤلؤ الطبيعي هو اللؤلؤ الصافي **العماني** ، الشديد التدحرج والاستواء ، ويصنف الخبراء أنواعه بحسب أشكاله . وقد وجدت


★ مجموعة من الجوهرات (ياقوت أحمر) والعقيق الأحمر والماس ★



الحسان فيه ما يزيد من جمالهن ، فكثر الطلب عليه ، مما جعل سعره مرتفعاً . ورغم الأخطار التي يواجهها الغواصون كخطر قنديل البحر والسمك المفترس ، وصعوبات الغطس الأخرى ، فقد وجدوا في صيده مورداً للرزق ، ووسيلة للعيش ، وخاصة في دول الخليج العربي قبل اكتشاف البترول .

وهناك أسطورة هندية عن تشكل اللؤلؤ من دموع فتاة ، ابنة منغولي كبير ، رفض أن يزوجها من (راجة) ، فانسحبت إلى جزيرة أمضت فيها بقية حياتها باكية سوء مصيرها ومأساة حبها ، وكانت كل دمعة من دموعها المنحدرة من مقلتيها تسقط في الأمواج وتستحيل إلى لؤلؤة ناعمة ، وقد أعطته شعوب العالم القديم أهمية خاصة ، إذ إنها كانت تعتقد بأن قوى سحرية تنتج عنه ، وأن من شأنها أن تُحيي .. وأنه يجلي العين ويقطع نزف الدم ... إلخ .

● **المرجان Coral :** حيوان بحري من الزهريات الشعاعية Anthozoa ، يبلغ عدد أنواعه نحواً من ٢٥٠٠ نوع ، وهو لاحشوي ، أي ذو تجويف بطني مركزي ، يقوم بوظيفتي الهضم والتبرز وغيرهما . والمرجان يفرز مادة كلسية تشكل هيكلاً عظمياً خارج جسده ، وهذه الهياكل تبقى بعد موت الحيوان لتكوّن الشعاب المرجانية Coral Reefs ، وما يعرف بالجزر المرجانية Atolls في مختلف أصقاع العالم .

يعيش المرجان في مستعمرات وهو لاحم Carnivorous ينتشر ليلاً لاقتناص طعامه ، وبعض أنواعه ما يفرز مادة ينشأ منها حجر كريم لونه أحمر برتقالي أو قرنفلي ، أو أبيض أحياناً ، ويستخدم في صناعة الجوهرات .

يوجد المرجان في المياه الاستوائية وشبه الاستوائية ، وخاصة في البحر الكاريبي ، وفي بحر كورال .

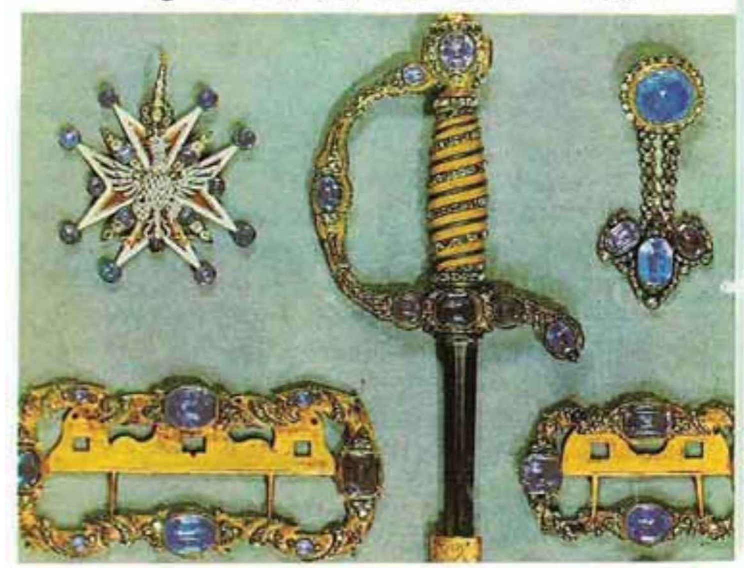
● **المحارة ـ القوقعة Conch :** حيوان رخوي بحري من رتبة بطنيات الأقدام ، ذو صدفة وحيدة القطعة ، حلزونية الشكل ، وعلى الرغم من ثقل هذه الصدفة ، فالمحار رشيق الحركة يندفع عبر الماء طلباً للطعام ، يقتات بالمواد النباتية في المياه الدافئة ، وتُتخذ من أصدافه الجميلة (الحلي والأزرار) ، ومن أشهر أنواعه (المحارة الملكة queen conch) ، التي تتواجد في السواحل الممتدة من ولاية **فلوريدا** إلى **البرازيل** ، والتي قد يصل طولها إلى ١٢ إنشاً (٣٠ سم) . وهذا النوع يُعرف علمياً باسم strombusgigas .

● **العاج Ivory** : هو المادة التي تتكوّن منها أنياب الفيل والبرنيق أو فرس النهر والفظ والزول أو كركدن البحر . وهذه المادة تتألف من أملاح معدنية بنسبة ٦٠ ٪ ، ومواد عضوية بنسبة ٤٠ ٪ ، وقيمة العاج التجارية رهن بمقدار صلابته وبلونه ، الذي يتراوح تبعاً لعمر الحيوان من ضارب إلى الخضرة إلى الأبيض . وخير العاج ما اتخذ من أنياب الفيلة لبياضها وضخامتها . وأنياب الفيلة الإفريقية يبلغ متوسط طولها ستة أقدام (١٨٠ سم) ، وقد يصل وزن الواحد منها إلى حوالي ٢٢ كيلوجراماً . وأهم مراكز تصدير العاج : (**زنجبار ، وموزمبيق ، والسودان ، والهند ، وسري لانكا (سيلان)**) . ولقد كان ساحل العاج في وقت من الأوقات غنياً جداً بالعاج ، لكنه فقد اليوم جانباً كبيراً من مكانته في هذا الشهار ، وإذا كان العاج يتميّز بالصلابة ، فقد اتخذ منه أبناء الحضارات الأولى ضروباً من الحلي والأمشاط والعقود والتماثيل ، ونقشوا عليه صور الحيوان وما إليها . أما اليوم فيستخدم العاج في صنع أصابع البيان وكرات البليارد والمقابض ، وضروب الحلي وأدوات الزينة والزخرفة ، وبعض القبائل الإفريقية يعمد إلى تخريم العاج وتتخذ منه أقنعة نفيسة .

● **الخرز Beads** : قطع صغيرة مدورة عادة تُصنع من زجاج أو خشب أو معدن أو عظم ، وتنظم بعد ثقبها في سلك لتتخذ قلائد للزينة ، أو لدفع الأذى ، وسبحات (مسابح) للتعبد أو للتسلية . عرف الخرز منذ عصور ما قبل التاريخ ، وفي العصر الحجري ، وكان الخرز في أغلب الظن عبارة عن بروز نباتات مجففة . والواقع أن الإنسان القديم لم يتخذ من الخرز أطواقاً للعنق فحسب ، بل أطواقاً للخصر والأقدام ، وكثيراً ما كان يلجأ إلى ثقب أنفه أو أذنه ليزينها بخرزة أو أكثر .

عرف **المصريون** الخرز منذ ٤٠٠٠ عام ق . م ، وهو من الحجارة ، ولكن أخذوا يصنعونه من الزجاج في وقت لاحق ، وأكثر **الفينيقيون** من صنع الخرز على شكل وجوه بشرية ورؤوس حيوانية ، وصنع **السومريون** وأصحاب حضارة وادي السند الخرز من الذهب . وفي القرون الوسطى ، استخدم الخرز في التجارة والمقايضة استخداماً واسعاً ، وفي عصر النهضة الأوروبية ، كان من دأب الأثرياء أن يزينوا ملابسهم بالخرز واللآلئ . والخرز مألوف اليوم في بلدان العالم كله ، ولا يزال بعض الناس في البلدان الشرقية حتى الساعة يطوقون أعناق الأطفال والعرائس والحيوان الأليف بقلائد الخرز الأزرق استجلاباً للحظ السعيد ، بل إن منهم من يطوق مقدم السيارة أيضاً بقلادة من الخرز صيانة لها من أعين الحاسدين حسب زعمهم .

★ مجوهرات مختلفة من الياقوت الأزرق (سفير) واللازورد (الأزرق الفاتح) ★



المراجع

١ ـ مجلة « الحوليات الأثرية السورية » ، مجلد ١٤ ، ١٩٦٤م .
٢ ـ مصر أصل الحضارة : سلامة موسى .
٣ ـ مصر ومجدها الغابر : مرجريت مري .

★ من مجموعة الإمبراطور رودولف الثاني : تمثال رجل زنجي يحمل كتلة حجرية زينت بأحجار الزمرد الأخضر ★



٤ ـ قصة الحضارة : ول ديورانت .
٥ ـ العصور القديمة : جيمس هنري برستد .
٦ ـ تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي . ترجمة زكي علي ، جزء ١ .
٧ ـ تاريخ اليونان : د . محمد كمال عبد .
٨ ـ تاريخ الأزياء وتطورها : ثريا كمال حسين .
٩ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام : جرجي زيدان .
١٠ ـ تاريخ العرب العام : سيديو ، ترجمة عادل زعيتر .
١١ ـ « الشعر المتجارة في وصف ما يستطرف في لندن من الأمتعة الترفيهة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة » ، تأليف عقاد عمرون بحر الخطط .
١٢ ـ تحف الذخائر في أحوال الجواهر : محمد أمين الأكفاني .
١٣ ـ الجماهر في معرفة الجواهر : تصنيف أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني .
١٤ ـ الذخائر والتحف : القاضي الرشيد ابن الزبير .
١٥ ـ مجلة « الحوليات الأثرية السورية » ، مجلد ٢٤ ، ١٩٧٤م .
١٦ ـ موسوعة المعرفة السويسرية ، مترجمة .
١٧ ـ موسوعة المورد : منير بعلبكي (٥) أجزاء ، دار العلم للملايين بيروت .
١٨ ـ مجلة « العربي » ، العدد (٢٧٥) ، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨١م .
١٩ ـ مجلة « الفيصل » ، العدد (٣٦) .

الهوامش

(١) يكفي لتبين أهمية هذه القيمة الاقتصادية في العصور القديمة ، أن نذكر أن مئة وعشرين سفينة كانت تبحر سنوياً من أحد ثغور مصر إلى الهند وسيلان ، وكان العرب يقومون برحلات الشتاء والصيف ، ويقومون بدور الوسيط بين الشعوب المتحضرة والأمم المستوردة . وقد استعمل الصينيون الخزف في التبادل السلعي حتى القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث ظهرت العملات المعدنية .

(٢) نقش الفنان (ديوسكوريد) على حجر كريم صورة (أوغست) ٦٣ ق . م ـ ١٤ م ، وصورة (شيشرون) ١٠٦ ـ ٤٣ م ، على الجمشت . ونقش (صولون) على حجر عقيق صورة (ديوميد Diomede) ملك آرغوس يرفع تمثال الربة (تيبريوس) ، وقد كُتب على بعضها أسماء أصحابها ، كما كُتب أحياناً إلى جانبها أسماء الفنانين كتواقيع لهم عليها . وهذه الصور والمعلومات تساعد على معرفة الشخصيات والتقاليد ، وما يتعلق باللباس والحلي والأسلحة والأدوات والمعتقدات ... إلخ .

(٣) باع ماركوس أوريليوس الجوهرات للإنفاق على الحرب ، ووهبت كثيرين مدهشي أحجار اللعل عند أولاد عمها مصرفيي فلورنسا ، لتسد منها نفقات الحرب ، ويذكر أن مجموعات الشرقيين من الجواهر والأحجار الكريمة يُضرب بها المثل ، ونذكر منها كنوز (مهيدات) ، ومجموعات (حيدر أباد) .

(٤) إن بلّورات الماس والكوارتز تعرف بالبلّورات التساهمية أو التكافؤية أو التجانسية ، نسبة إلى الرابطة الكيميائية التي تربط ذراتها بعضها ببعض ، فالذرات تبقى مثبتة في أماكنها بشدة . وعلى سبيل المثال : تحاط كل ذرة من ذرات الكربون في الماس بأربع ذرات كربون أخرى ، وتكون متماسكة بشدة مع بعضها بواسطة الرابطة التساهمية ، وتمثل أركان هرم رباعي منتظم .

(٥) إن منجم كمبرلي الذي يسمى بـ (المنجم العميق) ، يعتبر أوسع حفرة حفرها الإنسان في العالم كله ، فمساحة فوهته ٣٨ فداناً ، ومحيطها ١,٦ كيلومتر ، وقد بلغ عمق المنجم ١٢٠٣ أمتار ، حيث يستخرج التراب الأزرق ، وهو عبارة عن قشور صخرية هشة ذات لون أزرق ، وهي التي تملأ فوهات البراكين الخامدة . ثم يجري تفتيت هذا التراب وترسيبه في أحواض الغسيل ، ويجري تنقية الخلاصات ، ثم تُفرد على ألواح مدهونة بالشحم ، ولما كان الماس أثقل وزناً من غيره من الفتات التي تحويها الخلاصة ، فإنه يبقى ملتصقاً بتلك الطبقة الدهنية ، ويسهل بعد ذلك التقاطه .

وهذا عمل بالغ الضخامة ، إذا لاحظنا الكمية الهائلة من التراب التي يجري استخراجها ، إذ حجمها يعادل حمولة ٢٥٠ عربة بضاعة من عربات السكك الحديدية ، ومعاملتها بهذه الطريقة يؤدي إلى الحصول على كمية من الماس تكفي لملء فنجان شاي واحد ! . وهذا ما يجري عموماً في مناجم جنوب إفريقيا ، وتباع معظم هذه الأحجار الكريمة في لندن ، أو في جوهانسبرغ عن طريق (شركة الماس التجارية) .

والحشرة ذات الشوكة (الصورة) تجدها ـ عادة ـ جاثمة بلا حراك على أغصان الأشجار، تتخفى بالنتوء الكبير اللامع الملوّن الذي يبرز من على ظهرها، ويجعلها تشبه البقرة، ورغم ذلك فإن تموّهها الحشري هذا لا يخدع (النمل) الذي يستغلّها أحسن استغلال فيدجّنها ويستفيد من خيراتها.

والحشرة ذات الشوكة نوع من (٢٥٠٠) نوع من الحشرات نطّاطة الشجر، وتظهر في تنوّع واسع وبأشكال خيالية غريبة متنافرة، وجميعها تمتصّ نسغ النبات الذي يندفع إليها بتأثير الضغط من أغصان النبات، وتنتج هذه الحشرات عن طريق الشرج السائل الشهيّ اللذيذ الذي يدعى بـ (المـن) وبكمّيات هائلة، والذي يدخل في تركيبه الأحماض الأمينية والفيتامينات والمعادن ومواد مغذية كثيرة أخرى، إضافة إلى محتوياته من السكر عالي التركيز والبروتينات، وبعض أنواعها يفرغ من هذا المحلول الشهيّ بقدر (١٣٣٪) من وزنه كل ساعة.

و(المـن) وجبة شهيّة جدًا للنمل والنحل وحتى للإنسان!

ويعتبر الإنسان مستهلكاً جيّداً للمن الذي هو مصدر غذائيّ رئيسي في أستراليا، وباستطاعة الحشرة الواحدة إنتاج أكثر من (١,٥) كيلوغرام من المن يومياً، وفي المناطق القاحلة من منطقة الشرق الأوسط يُنتج المن بواسطة حشرة تسمى (البقة المغبّرة Mealybug) ويكون شكله جامداً غير سائل وعلى شكل رقاقات تنتقل بواسطة الرياح، وهذا هو المـن الذي ذكره الله (جل جلاله) في كتابه الكريم والذي كان طعاماً لبني إسرائيل عند رحيلهم عن مصر.

وعلى كل حال، يعتبر النمل مستهلكاً رئيسياً للمن إذ يتغذى على ما يسقط منه إلى الأرض من الأشجار، ولكن معظم أنواع النمل طوّرت وسائل عجيبة في عالم الحيوان لتنال بواسطتها هذا السائل العذب مباشرة من منتجيه. فالنمل يستغل حشرة نطّاطة الشجر أحسن استغلال، فهو يضرب بطنها بقرون استشعاره فتسيل منه القطيرات التي يتغذى بها مباشرة، أو إنه ينتظر إفرازها منها ببطء. وتفرز الحشرة عادة المن بكثرة حين لا يلازمها النمل.

ومن أغرب ما يجري في عالم النمل من سلوك، هو تربيته وتدجينه لحشرات المن هذه في أوكاره، فهو يعتني عناية تامّة ببيوضها أثناء الشتاء، وعمله هذا يشابه عمل المزارعين الذين يربّون الأغنام والأبقار ليحصلوا على غذائهم منها، فهو يبني لها حظائر طينيّة وملاجئ ويطوّقها بأسوار داخل أوكاره، كما يخصّص لها بعض أفراده لترعاها وتدير شؤونها، والنمل يرعى بيوض المن والحوراء (بين اليرقانة والحشرة) بأفضل مما تفعل الأم ذاتها، ولذلك نرى أن الأم من حشرة المن تتخلى عن ذرّيتها من البيوض والحواري للنمل ليعتني بها ويحرسها، وهذا عادة يسمح لها بالوقت الكافي لتجهّز دفعة ثانية من البيوض بسرعة، ولتزداد أعدادها في مستعمرات النمل، وهذا يزيد بالتالي إنتاج المن الشهي اللذيذ الذي يحبّه النمل ويشتهيه.. وهم يقدّمون هذا الغذاء للنمل مقابل الرعاية والحماية.





الأسياد والعبيد في عالم الحيوان..!

حشرة المنّ honeydew، مصّاصة لنسغ sap النبات، وبرازها غائط سكّري، **والحشرة البقّرة**، ذات الشوكة، نوع من حشرات **نطّاطات الشجر treehopper** التي تتغذى بدسّ منقار رفيع لها من خلال لحاء الشجر، إلى النسيج الداخليّ للشجرة، تمتص من نسغها سائلاً شهيًا لذيذاً. وتمتص هذه الحشرة من النسغ ـ عادة ـ سائلاً يزيد بكثير عن حاجتها.

اكتشافات علمية • اكتشافات علمية • اكتشافات علمية •

كيف يتنفس نبات الأرز تحت الماء

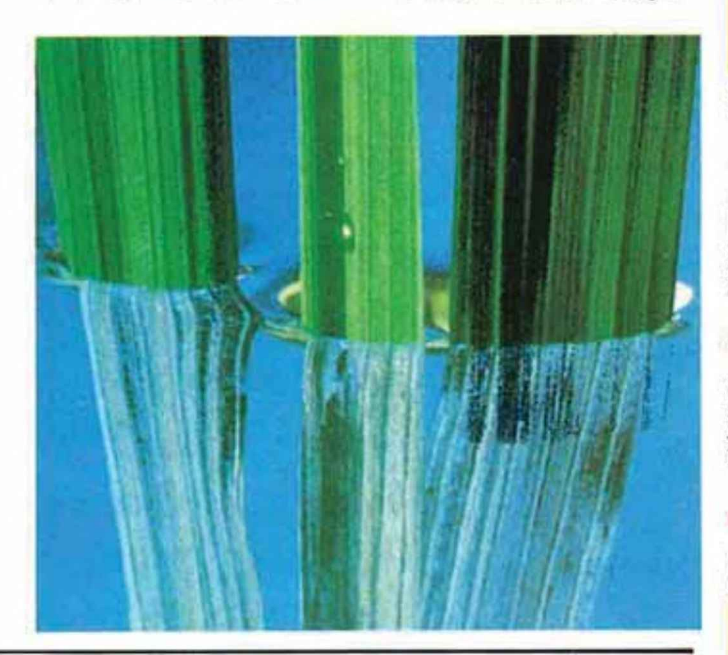
يعيش معظم محصول العالم من الأرز تحت الماء لفترات طويلة، إذ تتم زراعته قبل موسم الفيضان... ولكن **لماذا لا يختنق النبات..؟**.

فقد أظهرت الأبحاث التي جرت بولاية **ميتشيجان** الأميركية، أن نبات الأرز يشفط الهواء، فعملية التمثيل الغذائي للنبات تخلق نوعاً من التفريغ، من شأنه أن يجذب الهواء مثلما تجذبه رئة الإنسان.

وعلى عكس النباتات المائية، فإن **أوراق نبات الأرز تغطيها طبقة شمعية تمنعها من امتصاص الهواء مباشرة من الماء**.. وعلى نباتات الأرز التي غمرها الفيضان أن تسحب الغازات من الهواء الجوي مباشرة من خلال ثقوب في أوراقها فوق سطح الماء، وأيضاً من خلال غلاف الهواء الذي يحيط بالأوراق المغمورة...

إن الذي ينظم سريان الهواء هو كمية غاز **ثاني أوكسيد الكربون** في هذه الممرات الهوائية، فبالرغم من أن نبات الأرز يأخذ ثاني أوكسيد الكربون، إلا أنه يُطلق هذا الغاز مرة أخرى في الممرات الهوائية... وفي العادة، فإن النبات يُطلق جزيئاً واحداً من ثاني أوكسيد الكربون لكل جزيء من الأوكسجين يقوم بامتصاصه.

مثل هذا التبادل العادل من شأنه أن يُبقي الضغط في هذه الممرات الهوائية ثابتاً ومتعادلا، ولكن لأن ثاني أوكسيد الكربون **أكثر ذائبية في الماء من الأوكسجين**، فإنه يتسرب بسرعة أكبر في الماء، مما يؤدي إلى تقليل الضغط حول الورقة، وبالتالي إلى دفع هواء جديد،



طاقة
ENERGY
أشعة

ليس هذا الذي نراه في الصورة انفجار نجم شكّل حادثاً رهيباً في السماء، ولكنه جزء من الجهود الجبّارة التي تجري في **مختبرات ساندیا** القومية في **(نيومكسيكو)** لإيجاد **ليزر شعاع (X)** الهائل القوة. والعلماء في هذه المختبرات ركّزوا



(١٦) حزمة أشعة في معجل الجسيمات (Proto II) لإعاقة غاز الأرجون، ولرفع حرارته لعدة ملايين من الدرجات المئوية،

بحيث أعطى فيضاناً من أشعة (X) التي يأمل العلماء أن يستخدموها مضخّة لعمل الليزر الجديد، ودرجات الحرارة العالية نشاهدها في الصورة باللون الأحمر، ومثل هذا الليزر الهائل الجديد يُمكن أن يستخدم لخطط حرب النجوم التي تُعدّ لها حالياً وزارة الدفاع الأميركية، كما يمكن أن يُستخدم كسابر مكتشف في مختلف حقول المعرفة ومنها علوم الحياة.

باتجاه الورقة من الهواء الجوي خلال هذه الأنابيب لمعادلة الضغط.

ومن المعروف أن نبات الأرز يمكنه أن يعيش في عمق ١٥ قدماً تحت الماء.. وأثناء المواسم الممطرة، ينمو النبات بمعدل قدم كامل في اليوم، تاركاً أطراف أوراقه بالكاد فوق سطح الماء.

★★

هرمونات الحمل من النباتات!

استطاع فريق من علماء شركة **مونسانتو** في مدينة سانت لويس الأمريكية نقل الجينات الوراثية البشرية إلى نبات **البتونيا** Petunia... والجينات التي تم نقلها تتلخص مهمتها في الخلية البشرية في إرسال الشفرة الوراثية لتصنيع أحد هرمونات الحمل ويدعى HCG (وهي اختصار لـ HUMAN CHORIONIC GONADOTROPIN).

وكانت المفاجأة عندما قامت خلايا النبات المُهَجَّنة بالجينات الوراثية البشرية بإنتاج كميات ضئيلة ـ لكنها ذات قيمة ـ من هذا الهرمون.

ووضع جينات الإنسان في خلايا النبات عملية ممكنة، لأن كل الأشياء الحية مكوّنة من القواعد الكيميائية الأساسية الأربع التالية: **الأدنين** Adenine، **الثايمين** Thymine، **الغوانيدين** Guanidine، **والسايتوسين** Cytocine...

وترتيب ارتباط هذه المركبات بعضها البعض يُملي الوظيفة التي تقوم بها الجينات. ويعتبر نجاح الفريق في إيلاج هذه الجينات في نبات البتونيا امتداداً لنجاح سابق في نقل جينات البكتيريا إلى خلية نباتية.

وفي نفس الفترة تقريباً، حقق العلماء في معهد **ماكس بلانك في ألمانيا الغربية** نتيجة مماثلة لنتيجة الفريق الأمريكي... والسبب في استخدام نبات البتونيا بالذات في هذه التجارب، هو قدرة خلية واحدة من خلايا هذا النبات على النمو إلى نبتة كاملة داخل المعمل في فترة زمنية قصيرة.

وتتم الخطوة الأولى في مثل هذه التجارب بفضل الجينات الوراثية المسماة Agrobacterium Tumefaciens من الخلية الأدمية، ثم ربطها بعد ذلك مع الحمض النووي DNA على شكل حلقة يُطلق عليها اسم **بلازميد** PLASMID، تُؤخذ من البكتيريا المسماة E. Coli، وفي النهاية تتم زراعة الجرثومة الناتجة في خلية نبات البتونيا، حيث تندمج مع نواتها...

ويأمل العلماء من تجاربهم في حقل هندسة الجينات هذا، أن يطوروا أنواعاً من النباتات ذات قدرة عالية على مقاومة الأمراض... أو لحث النباتات على إنتاج مركبات نادرة نحتاجها.

أول صورة حيّة لإحدى الصفائح الدموية

هذه الصورة، هي أول صورة حيّة تم التقاطها بواسطة الأشعة السينية لإحدى الصفائح الدموية Blood Platelet في الدم البشري، قام بتجهيزها بعض الباحثين في شركة **آي. بي. إم** IBM في **نيويورك**... وقد كشفت الصورة عن تكوينات لم ترها عين بشرية من قبل، مثل تلك الحبيبات التي تظهر بالقرب من العقدة الزائدة Appendage في أسفل الصورة من اليمين.

فعندما يتجلط (**يتخثر**) الدم، تتلاحم هذه الزوائد مع الزوائد في الصفائح الدموية الأخرى.. مما يؤدي إلى انسداد الجرح.. وقد تم التقاط هذه الصورة بواسطة شعاع خاطف ومباغت من الأشعة السينية، استمر لمدة مائة جزء من بليون جزء من الثانية، كان من شأنه قتل الخلية، ولكن ليس قبل أخذ صورة لها، وهي على قيد الحياة.

والجدير في هذه التقنية، أن المجاهر الإلكترونية قادرة على التقاط صور مكبرة ودقيقة أكبر من تلك بكثير، ولكن لالتقاط مثل هذه الصورة بالمجهر الإلكتروني يتوجب وضع العينة تحت ظروف التفريغ الكامل، مما يؤدي إلى قتل الخلية قبل التقاط صورتها... ولكن الأشعة السينية تقتل الخلية بعد التقاط صورتها.

★★

رحلة ماجلان عبر أرخبيل الملايو

فرديناند ماجلان. ملاح برتغالي. ولد حوالي سنة ١٤٨٠ م. ومن المعروف أن البرتغال تقع غرب أوروبا في الجنوب الغربي من **شبه جزيرة أيبيريا.** يحدها من **الغرب والجنوب** المحيط الهندي وإسبانيا. وسطحها معظمه جبلي. وقد وصلت في عهد **الأمير هنري الملاح** إلى مصاف الإمبراطوريات الكبرى. فقد كشف الملاحون البرتغاليون تحت زعامته ساحل إفريقيا الغربي، واستعمرت البرتغال جزر مديرا والأزور. ومهد هنري الملاح هذا الطريق أمام ظهور الملاحين والقواد الكبار. وقد وضع **الفونصو دي البوكرك** أسس حكم البرتغال في الشرق. وقد جدوا إلى المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر فاتحين لإنشاء إمبراطورية طويلة عريضة، وتم لهم احتلال المنطقة المصاقبة **لخليج عمان** وبعض الخليج العربي، وخاصة **هرمز.** وظل هؤلاء البرتغاليون أصحاب الأمر والنهي حتى بدأت محاولة الأتراك لإخراجهم. وسيطروا على تجارة الهند الشرقية، وتجارة العبيد الإفريقيين، وامتلكوا المستعمرات في إفريقيا وأمريكا الجنوبية، وهذا ما جعلهم يدخلون في سلسلة من الصراعات والنزاعات، والتنافس القاتل مع إسبانيا التي تجاورها، وتمتلك ساحلاً طويلاً على **البحر الأبيض** في الشرق والجنوب الشرقي، وسواحل الأطلنطي في الشمال الغربي والجنوب الغربي.

وكان اكتشاف **كرستوفر كولمبس** للعالم الجديد حدثاً خطيراً في تاريخ إسبانيا والعالم أجمع، فقد اقتسمته مع البرتغال بمقتضى **معاهدة نورديسيلاس** سنة ١٤٩٤ م، وبلغت الملكية الإسبانية ذروة مجدها، خاصة أنها قد ورثت عن العرب حضارة مجيدة، وانتصرت إسبانيا في الحروب الإيطالية التي بدأت عام ١٤٩٤ م، ولم تنته سوى عام ١٥٥٩ م، عن كبرى منافسيها ألا وهي فرنسا، وأصبحت إسبانيا دولة مركزية تحكم حكماً مطلقاً، تسعى إلى الاتساع والاستعمار، وتشجع كل ما يساعدها على ذلك.

في مثل هذا الجو المشحون بالتناقض والتنافس بين الإسبان والبرتغال، نشأ الملاح الرحالة **فرديناند ماجلان.** خدم في الهند البرتغالية فيما بين سنة ١٥٠٥ ـ ١٥١٢ م، تحت رئاسة **دي الميدا والبوكرك،** الذي أسس حكم البرتغال في الشرق، ثم انتقل إلى الخدمة في المغرب الأقصى من سنة ١٥١٣ ـ ١٥١٤ م، حيث عاصر إجلاء البرتغاليين عن المغرب في عهد **السلطان أحمد الأعرج** وعن **أغادير.** وقد أدت تصرفاته المالية إلى فقدان عطف المسؤولين، ومن ثم رفضوا عرضه لمحاولة الوصول إلى **ملقا** عن طريق الغرب، وتقع ملقا على الساحل الجنوبي الغربي لشبه جزيرة الملايو، ومضيقها يصل المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي، وأسست مدينة ملقا على هذا المضيق عام ١٤٠٠ م، وأصبحت مركزاً تجارياً هاماً بجنوب شرقي آسيا، وفي القرن الخامس عشر الميلادي، بسط ملوكها نفوذهم على جزء كبير من شبه جزيرة الملايو وسومطره، وقد استولى البرتغاليون عليها عام ١٥١١ م، بقيادة **الفونصو دي البوكرك،** ولما رفض البرتغاليون فكرة ماجلان للوصول إليها عن طريق الغرب عرض ذات الفكرة على منافستها إسبانيا فأقرت الفكرة، وأمدته بالمعونة عام ١٥١٨ م، حاولت البرتغال عرقلة الرحلة إلا أنها فشلت، وأقلع ماجلان عام ١٥١٩ م، ومعه ٢٧٠ رجلاً على خمسة مراكب، فعبر الأطلنطي، ووصل إلى ساحل أمريكا الجنوبية، وارتاد مصب لابلاتا المنتسب إلى مدينة لابلاتا عاصمة مقاطعة **بوينس أيرس** بشرق **الأرجنتين،** ثم اكتشف المضيق الذي حمل اسمه «مضيق ماجلان» الذي يبلغ طوله حوالي ٥٣٠ كيلومتراً، وعرضه بين ٤، ٢٤ كيلومتراً، ويفصل بين أمريكا الجنوبية عن «تيرا دل فويجو» ويقع في **شيلي،** ما عدا بضعة كيلومترات تقع في

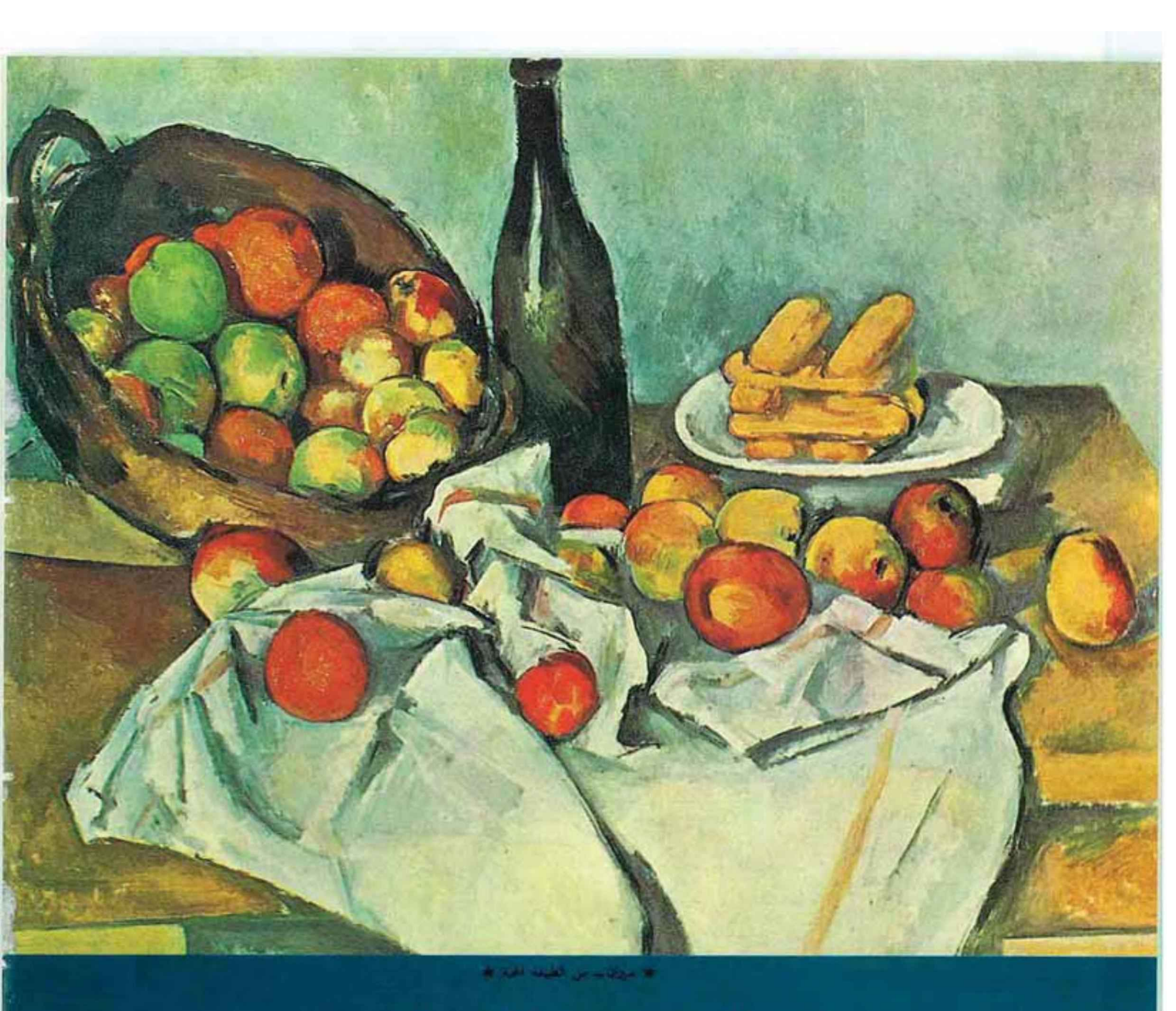
★ الباخرة التي أبحر بها ماجلان ★

الأرجنتين ، وقد اكتشفه ماجلان وسار فيه ، فدخل المحيط الهادي في ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٥٢٠ م ، واتجه نحو الشمال الغربي ، فوصل جزر الفيليبين التي تقع بجنوب شرقي آسيا ، والتي هي عبارة عن أرخبيل يشتمل على حوالي ٧٠٠ جزيرة يضمها أرخبيل الملايو ، وكلها في المنطقة الاستوائية الغزيرة الأمطار .

وتعتبر رحلة فرديناند ماجلان هذه أول البعثات الأوروبية التي وصلت إلى **الفيليبين** عام ١٥٢١ م ، وفيها قُتِل في السابع والعشرين من أبريل (نيسان) من نفس السنة ، ولم يتمكن من الرحلة حول العالم سوى سفينة واحدة من سفنه عام ١٥٢٢ م ، ولم يصل إسبانيا من رجاله إلا أربعة رجال فقط . وقد برهنت رحلة ماجلان على كروية الأرض التي كانت تعد من أخطر القضايا الجدلية في تلك الحقبة ، كما صححت الفكرة عن نسبة مساحة اليابس والماء ، وأظهرت أن الأمريكتين عالم جديد منفصل عن آسيا ، وعندما وصل الأوروبيون إلى العالم الجديد كان يقطنه جماعات متفرقة ينسبون إلى جنس خاص ، يعرفون بهنود أمريكا أو **الهنود الحمر** ، ويرى الباحثون أنهم جاءوا إلى القارة من آسيا .

أما الملايو فهي شبه جزيرة بالطرف الجنوبي الشرقي لآسيا بين المحيط الهندي ومضيق ملقا ، تطل على غربي وجنوبي بحر الصين ، وتمتد جنوباً حوالي ١٦٠٠ كيلومتر ، من شبه جزيرة كرا إلى **سنغافوره** ، وتمتد بشبه الجزيرة سلسلة جبلية (ارتفاعها حوالي ألفي متر) ، وهي بمثابة العمود الفقري ، وتنتشر بها الأدغال الكثيفة ، وقد كانت وما زالت من أهم أقطار العالم إنتاجاً للمطاط والقصدير . وقد ظل النفوذ البرتغالي بها منذ عام ١٥١١ م ، إلى أن جاء الهولنديون عام ١٦٤١ م ، وأداروا منطقة ملقا حتى أيام حروب **نابليون** ، ثم آلت سيادة المنطقة إلى الإنجليز .

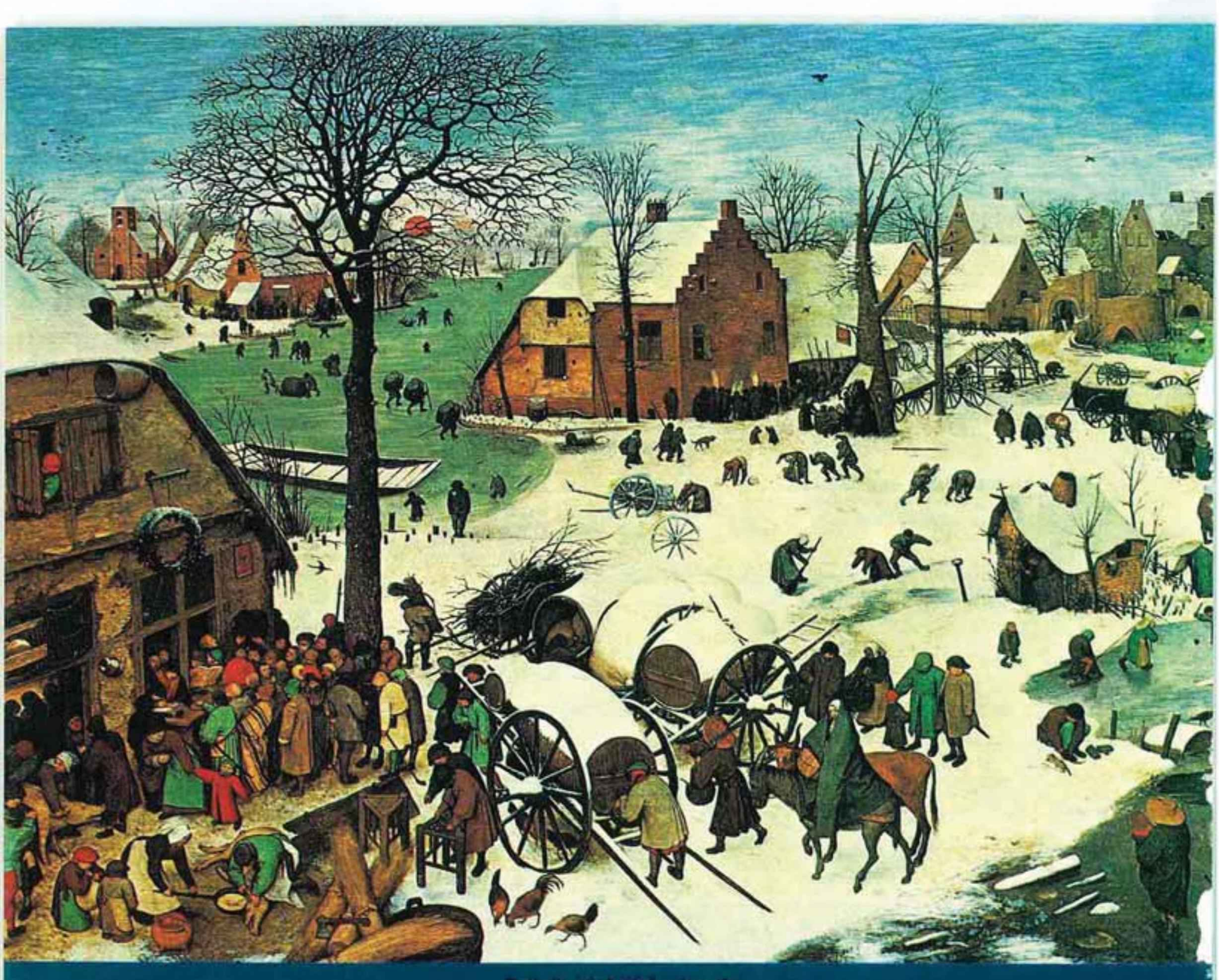




مفهوم «التكوين» في الفن التشكيلي

بقلم
د. شاكر عبد الحميد
سليمان

التكوين الشامل ، هو إحداث الوحدة والتكامل بين العناصر المختلفة للعمل من خلال عمليات التنظيم وإعادة التنظيم والتحليل والتركيب والحذف والإضافة والتغيير في الأشكال والدرجات اللونية وقيم الضوء والظل والمساحات وغير ذلك من المكونات ، وكما يقول رسكن J. Ruskin ، فإنه ببساطة وحرفياً فإن التكوين يعني وضع أشياء عديدة معاً ، بحيث تكون في النهاية شيئاً واحداً وطبيعة وجودة كل من هذه العناصر يساهم مساهمة فعالة في تحقيق العمل النهائي الناتج ، وفي التكوين لا بد أن يكون كل شيء في موضع محدد ويؤدي الدور المطلوب والنشط ومن خلال علاقته بالمكوّنات الأخرى . فالوحدة أو التكامل في العمل الفني ، أي التكوين ، هو تآلف وتعاون كل الخصائص الضرورية كالخط والمساحة واللون والضوء .. إلخ ، في إحداث تلخيص كلي تكون كل العناصر التكوينية فيه متفاعلة في نمط واحد منسق .



★ بروجل ـ التعداد في قرية بيت لحم ★

إن غرض التكوين هو الوصول إلى النمط المتناسق المتماسك . ولدى «ماتيس» « التكوين » هو فن التنظيم بطريقة زخرفية للعناصر المختلفة التي تكون متاحة للمصور للتعبير عن مشاعره ، وتعبير « طريقة زخرفية » جسدت آنذاك منهج الطريقة الوحشية في الفن التي تبناها « ماتيس » وأبدع فيها ، والتي تؤكد على حضورية اللون وتألقه وحرارته ، وقد لا يكون مثل هذا التعبير مناسباً لمن يعتنق مدارس فنية أخرى .

إن قيمة العمل الفني تتمثل في التنظيم للعناصر التصويرية من خط وكتلة وسطح ولون ، علاوة على ذلك ينصب على ما هو كامن ومرئي في التصوير ، أي على ما لا يمكن رصده أو إدراكه على أي نحو آخر . وقد كان سيزان يقول : « إن عملية التصوير التي لا تعني نقل الشيء نقلاً جامداً ، بل معناها فهم التناسق بين مختلف العلاقات ووضعها على اللوحة على شكل سلم ألحان في تآلفه ، عن طريق تنمية هذه العلاقات تبعاً لمنطق جديد أصيل ، فمحتوى اللوحة معناه تشكيلها » .

ويؤكد بول كلي أحد عمداء التكوين قائلاً : « إن اللوحة تقدم تشريحياً من خلال أبعاد عديدة وعدة ، فليس من المناسب الإشارة إليها بعد ذلك على أنها عملية تركيب أو بناء ، بل يجب أن نعطيها اسم التكوين » ، ويشير أرنهيم إلى « أن ديناميات التكوين سوف تكون ناجحة فقط ، عندما تكون حركة كل جزء فيه متناسبة منطقياً مع الحركة الكلية للتكوين ، فالعمل الفني يكون منظماً حول موضوع ديناميكي سائد ، ومنه تشع الحركة إلى النطاق الشكلي للعمل » .

قوانين التكوين

والتكوين الجيد يجب ألا يشتت العين من خلال عدم الاستقرار في بعض مكوناته ، أو من خلال نقص التوازن فيه ، ففي الأعمال الفنية المكتملة تتفاعل كل العناصر مع بعضها البعض ، إنها تتماسك من أجل تكوين وحدة لها قيمة أكبر من مجرد تجميع هذه العناصر . وقد أشار رسكن إلى أن هناك العديد من أنواع التكوينات التي يمكن أن يعتمد عليها الفنان

مفهوم "التكوين" في الفن التشكيلي

أثناء عمله ، وهذه الأنواع هي في الواقع مبادئ أو قوانين للتكوين أكثر منها فئات منفصلة أو مستقلة ، ومن أهم المبادئ أو القوانين التكوينية التي أشار إليها **رسكن** نذكر ما يلي :

★★ قانون الأساسية أو الأهمية : Law of Principality ، فالشيء البارز أو الكبير في التكوين ، غالباً ما يكون مسؤولا عن الوحدة ، أي أنه على الفنان ــ وفقاً لرسكن ــ أن يحدد ملمحاً أو شكلاً واحداً يكون أكثر أهمية من الأشكال الأخرى ، ثم يقوم بتجميع هذه الأشكال حول الشكل الكبير وإخضاعها لها .

★★ قانون التكرار : Law of Repetition ، وهو يقوم على أساس خلق نوع من التعاطف أو الترابط بين مكوّنات اللوحة من خلال جعل بعض هذه المكوّنات مجرد صدى أو تكرار أقل أهمية لمكوّنات أخرى يتم التأكيد عليها كما فعل **تيرنر** في إحدى لوحاته حين رسم إحدى سفن الصيد باللون الأحمر ، ورسم سفينة أخرى باللون الأبيض ، وعلى الشاطئ رسم نوعاً من السمك أحمر اللون ، ونوعاً آخر أبيض اللون وهكذا ، وقال **رسكن** : « إن هذا القانون عادة ما يكون موجوداً في عقل الفنان القائم بالتكوين أكثر من قانون الأساسية أو الأهمية » .

★★ قانون الاستمرار : Law of Continuity ، ويتم من خلاله إعطاء بعض التتابع والاستمرار المنظم لعدد من الأشياء الأكثر أو الأقل تشابهاً ، ويكون هذا التتابع أكثر إثارة للاهتمام عندما يرتبط ببعض التغير التدريجي في طبيعة الموضوع أو في جانب منه ، ويؤكد هذا القانون على فكرة الحرية الفردية للمكوّنات ، ويوحي بقدرتها على الإفلات من القواعد ، لكنه رغم ذلك يتفق إلى حد كبير مع التصوّر المعروف عن المنظور .

★★ قانون التقويس : Law of Curvature ، أي أن الأشكال الموجودة في اللوحة عادة ما تخضع لنوع معيّن من المنحنيات أو الأقواس التي يمكن رسمها لتوضيح وتحديد الأشكال البارزة فيها ، وقال **رسكن** : « إن المنحنيات أكثر جمالا من الخطوط المباشرة ، لذلك فإنه من الضروري للتكوين الجيد أن تكون مكوّناته ، بقدر الإمكان ، على شكل منحنيات بدلا من كونها خطوطاً مستقيمة أو زوايا » .

★★ قانون التضاد أو التقابل : Law of Contrast ، ويعني به النغم الخافت والمرتفع في الموسيقى ، والتقابل بين الألوان المختلفة خاصة الأبيض والأسود في فن التصوير ، وكذلك التقابل بين الأنواع المختلفة من الخطوط كالمنحنى والمستقيم مثلاً .

★★ قانون التغيّر المتبادل : Law of Interchange ، وهو يؤكد على وحدة الأشياء المتعارضة بإعطاء كل منها دوراً أو مساهمة في طبيعة وحركة الأشياء الأخرى ، فالتغير في لون أو حركة أو شكل أحد المكوّنات يصحبه تغيّر

★ وليم تيرنر ــ داخل منزل في إيوز ★



ضروري في المكوّنات الأخرى .

★★ قانون الاتساق : Law of Consistency ، فرغم الاختلافات التي قد تكون كبيرة بين مكوّنات اللوحة من أشكال وألوان ، فالأقسام الفرعية لها يجب أن تظهر ميلاً واضحاً للتجمع المنسق .

★★ قانون التناغم : Law of Harmony ، فاللوحة الجيدة هي تجريد للحقائق الطبيعية ، ولا يستطيع الفنان تمثيل كل ما يريد تمثيله ، ولكن عليه الإيجاز والاختصار ، وما يؤكد عليه **رسكن** هنا هو تناغم الألوان والأشكال واللمسات اللونية ، مؤكداً أكثر على أهمية النغمات اللونية ، وأهمية التناغم فيما بينها .

★★ قانون الإشعاع : Law of Radiation ، وقد أكد رسكن هنا أهمية تجمع الخطوط واتجاهاتها لتكون مجموعات خاصة متميّزة منها ، وأكد أهمية تناسق أو تناغم الخطوط من خلال علاقتها البسيطة والمعقدة . إن قانون الإشعاع يؤكد أهمية الوجود الواضح القوي للانسجام المتناغم في التحرك من جزء معيّن من اللوحة إلى أجزاء أخرى . ولذلك فإن له أهمية كبيرة في تكوين الأشكال .

والشيء الجدير بالملاحظة أن **رسكن** كان مهتمّاً أساساً بالحديث عن التصوير الطبيعي ، وقد لا تكون بعض هذه القوانين كافية لتفسير حركة التصوير في القرن العشرين الميلادي ، فقد كان **رسكن** معنياً أساساً بالحديث عن الفن الكلاسيكي والفن الطبيعي في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي ، فهل يمكن أن تنطبق هذه القوانين على حركات فنية أخرى تبتعد كثيراً عن التمثيل ، وتتجه إلى التجريد بدرجاته وأنواعه المختلفة ؟ .

أشكال التكوين

نحن نرى أن الكثير من **قوانين رسكن** ما زالت صالحة للاستخدام مع بعض التطويع على الكثير من الأساليب الفنية المعاصرة التي ظهرت في القرن العشرين الميلادي . وهناك دراسة أخرى أكثر حداثة عن أشكال أو أنماط التكوينات قام بها رودروف L. Rudrouf وميّز فيها بين الأنواع التالية من التكوينات :

١ ــ التكوينات الانتشارية : Compositional Diffuses أو تكوينات الانتشار ، وفيها تكون الوحدات موزعة بطريقة متجانسة ومنتظمة دون مركز للإشعاع أو نقطة للتركيز أو التأكيد ، كما في حالة **بوش** H Bosch **وبروجل** P Bruegel ، والتصوير المدرسية الدقيقة أو المصغرة (أو المنمنمات) .

٢ ــ التكوينات الإيقاعية : Compositions Scandees ، وهنا يوجد إيقاع فراغي أو إيقاع في التوزيع النسبي للمساحات وهيراركية لنقاط التركيز . وقد قسم **رودروف** هذا النوع إلى :

أ ــ التكوينات المحورية Axial Compositions ، وفيه تنتظم المكوّنات حول محور مركزي خاص بالشكل الرئيسي أو مجموعة الأشكال الرئيسية التي تتركز على عدد من المحاور .

ب ــ التكوينات المركزية Central Compositions ، حيث تشع المكوّنات أو تصدر أو تتعلق بنقطة مركزية للجاذبية .

جـ ــ التكوينات القطبية Polarized Compositions ، وتتكون من شكلين متقابلين



★ ماتيس ــ الأحزان ★

أو مجموعتين من الأشكال المتقابلة توجد بينهما علاقة دينامية .

ونحب أن نؤكد في النهاية أن هناك تكوينات تتم بالخط فقط مركزة على الشكل ، وتكوينات تتم باللون فقط وتقوم بالتركيز على تدرجات النغمات والكثافات اللونية ، لكنها تخلق في النهاية أشكالا ، سواء كانت أشكالا طبيعية أو هندسية متخيلة أو واقعية ، لكن الشيء **الجدير بالتنويه هو أنه في عديد من الأعمال الفنية تتفاعل الأشكال والألوان في تكوينات فنية متماسكة مؤكدة على أهمية اعتماد كل منها على الأخرى** . فهناك تكوينات بالخط وتكوينات باللون وتكوينات بهما معاً ، لكن هناك أيضاً الأكثر أهمية بالنسبة لنا العمليات السيكولوجية التي تقوم باكتشاف هذه التكوينات وتشكيلها وتنفيذها ، مؤكدة أهمية الوحدة والتفاعل والاتساق الكامل بين مختلف العناصر ، أو المكونات المساهمة في التكوين الكلي ، ومستفيدة أثناء ذلك ، بل ومعتمدة اعتماداً أساسياً على عمليات التنظيم وإعادة التنظيم الجشطلتية المعروفة وعلى غير ذلك من العمليات السيكولوجية المختلفة أيضاً .

إن العرض السابق يوضح لنا أن الفنان لا يعمل هكذا دون ضوابط أو قوانين ، بل هو يفكر من خلال قواعد وأسس تعطي لعلمه في النهاية صفة الاستقرار والتماسك ، وهذا لا يتناقض بالطبع مع كون الفنان المبدع يبتعد كثيراً عن القواعد ويتجاوزها لكي يبدع قوانينه الخاصة به ، لكن هناك أولا وقبل كل شيء أسساً وقواعد مشتركة متفق عليها ، تعد نقاط انطلاق ومنها يتحرك العقل الإبداعي بحرية شديدة .



★ بول كلي ــ البدر ★

المــــراجع

١ ــ J. Ruskin, The elements of Drawing, New York: Dover, 1971.

٢ ــ V. Lowenfield & B. Lambert, Creative and mental growth, New York. The MacMillan Company, 1968

٣ ــ Henri Matisse, Matisse on Art, ed by J.D. Flam, Oxford: Phaidon, 1978.

٤ ــ جيروم ستولينتز ، النقد الفني (ترجمة الدكتور فؤاد زكريا) ، القاهرة ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٧٤م .

٥ ــ حنا برتليمي ، بحث في علم الجمال (ترجمة أنور عبد العزيز) ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٠م .

٦ ــ R. Arnheim, Art and Visual perception APSychology of the Creative eye, Berkeley Univ of California press, 1954.

٧ ــ Herbert Read, The meaning of Art, London Penguin Books, 1963



الانجراف القاري .. بين الواقع والخيال

بقلم: د. حمودي عدنان

شهد الفكر الجيولوجي خلال العقدين الأخيرين تطورات جذرية وسريعة، أدت إلى إعادة النظر في الكثير من المفاهيم والمعتقدات الجيولوجية الكلاسيكية عن الأرض .. ماضيها وتطورها، ونشوء الجبال والمحيطات والبحار والقارات. وتحتل نظرية الانجراف القاري اليوم مركز الصدارة في الدراسات والأبحاث الجيولوجية المعاصرة. وتقوم هذه النظرية على فكرة مفادها أن القارات الحالية كانت في الماضي البعيد تشكل قارة عملاقة واحدة، يحيط بها محيط عالمي واحد، ثم أخذت هذه القارة تتكسر إلى قطع كبيرة نشأت منها القارات، التي أخذت تبتعد عن بعضها مع مرور الزمن حتى استقرت في شكلها الحالي.

التفسير القديم

ولكن فكرة حركة القارات والمحيطات ليست جديدة، بل تمتد بجذورها إلى أقدم العصور، ووجدت انعكاسها بأشكال وصور مختلفة في روايات وأساطير الشعوب القديمة. فمن **بلاد ما بين النهرين** وصلتنا أقدم التصورات والأساطير عن نشأة الكون والأرض. وفي هذه البلاد العريقة بحضارتها المشهورة بأهوارها وفيضاناتها ومستنقعاتها تبلور اعتقاداً راسخاً لدى الناس بنشوء اليابسة من الماء، وأن الماء هو المبدأ الأول الذي نشأت منه المواد الأخرى. وكان **السومريون** يعتقدون أن الأرض عبارة عن قفة مقلوبة تطفو فوق الماء. ومن **العراق القديم**، وصلتنا أقدم قصة عن الطوفان العالمي دونها السومريون بخطهم المسماري على ألواح الطين، وورد ذكرها في **ملحمة جلجامش** الشهيرة التي تعدُّ من أقدم الملاحم الشعرية في العالم.

انتقلت هذه الروايات والأساطير إلى خارج حدود ما بين النهرين، وشاعت في الكثير من بلدان الشرق القديم، وأخذ بها اليهود، وعن طريقهم انتقلت إلى العالم المسيحي، حيث اعتمدتها الكنيسة ورجال الدين وعلماء الطبيعة لفترة طويلة من الزمن، وظلت سائدة في الوسط العلمي الأوروبي حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

ويتجلى تأثير الأساطير السومرية بوضوح في **الأساطير اليونانية القديمة**، التي تتحدث عن نشأة الكون والأرض، وبالأخص في الأدب اليوناني القديم ـ في **الإلياذة والأوديسة**، وملحمة **هزيود** الشهيرة ـ مبحث آلهة الأقدمين «**التيوجونيا**».

وقبل أكثر من ٢٣٠٠ سنة، كتب فيلسوف اليونان الشهير ـ **أفلاطون** ـ عن **قارة «الأطلانتيد»** الأسطورية، التي ازدهرت فيها حضارة رفيعة ثم اختفت في «ليلة مأساوية واحدة»، تحت مياه بحر **إيجه** قبل أكثر من تسعة آلاف سنة. وقد كتب عن هذه القارة عشرات الآلاف من الكتب والأبحاث والمقالات، ولا زال العلماء حتى يومنا هذا منهمكين في البحث عن الآثار المادية التي خلفها سكان قارة أفلاطون الغريقة.

وتتحدث الكثير من **أساطير الشعوب الهندية** القديمة عن القارة الكبيرة، و«الوطن الأم» التي غرقت في عرض المحيط الهندي في الأزمان الغابرة. وتتردد لدى سكان جزر المحيط الهادي الكثير من الأساطير التي تؤكد على تلك القارة الشاسعة، والتي ابتلعتها مياه المحيط الهادي، والتي لم يبق منها سوى قمم الجبال التي ترتفع اليوم فوق سطح الماء، على شكل جزر صغيرة متناثرة في عرض المحيط مثل: **جزيرة هايتي، وجزيرة الفصح، وجزر بولينيزيا وميكرونيزيا**.

في التراث الإسلامي

يدور الحديث في جميع هذه الأساطير والروايات عن تبدل مواقع البر والبحر، وتغير معالم اليابسة، وبلغة العالم الجيولوجي، عن الحركة الرأسية للقشرة الأرضية، ارتفاع مستوى سطح البحر، أو بالعكس، انخفاض مستوى اليابسة. ولا نجد ما يشير إلى الحركة الأفقية لبعض أجزاء القشرة الأرضية. وأول إشارة إلى مثل هذه الحركة، وإلى القارة الواحدة التي تكسرت فيما بعد إلى عدة أجزاء وردت في **كتب التراث العربي الإسلامي**. وتتجلى هذه الفكرة بكل وضوح في تصورات بعض العرب والمسلمين عن نشأة الكون والأرض.



يقول المؤرخ العربي الشهير **أبو الحسن المسعودي** في كتابه «**مروج الذهب ومعادن الجوهر**». نقلاً عن **ابن عباس** وغيره من أهل العلم «إن أول ما خلق الله عز وجلّ الماء، وكان عرشه عليه، فلما أراد أن يخلق الخلق، أخلق من الماء دخاناً، فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماءً، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين».

الذي يهمنا من هذه الفقرة هي الأرض والمادة التي نشأت منها، وما حصل لها فيما بعد. هنا نلاحظ نفس الفكرة السومرية القديمة، عن نشوء الأرض من الماء. ولكن الجديد عند **ابن عباس** وغيره من أهل العلم، كما يقول المسعودي هو أن الأرض التي نشأت من الماء، لم تبق كما كانت، بل انفتقت وتكوّنت منها سبع أراض.

وفي كتاب «**الكامل في التاريخ**»، ينقل لنا المؤرخ الإسلامي **عز الدين بن الأثير** (٥٥٥هـ ـ ٦٣٠هـ)، روايات مختلفة عن خلق الأرض والسماوات، وكان من بينها الرواية التالية: «وروى **السُّدي** عن أبي صالح، وعن ابن مالك عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، وعن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات**﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٩)، قال: إن الله عز وجل كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء. فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء، فسما عليه، فسماه سماءً، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين: يوم الأحد ويوم الاثنين...».

وينقل لنا نفس الفكرة، ولكن بأسلوب آخر مع شيء من التفصيل، عالم إسلامي آخر عاش في القرن الثامن الهجري، هو **شهاب الدين الدينوري**، في كتابه «نهاية الأرب في فنون الأدب». يقول الدينوري: «والأرض سبع كما أن السماوات سبع. والدليل على ذلك قوله عز وجل ﴿**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن**﴾ (سورة الطلاق، الآية ١٢). واختلف فيها هل هي سبع متطابقات بعضها فوق بعض، أو سبع متجاورات، فذهب قوم إلى أن الله تعالى خلق سبع سماوات متطابقات متعاليات، وسبع أرضين متطابقات متسافلات، وبين كل أرض وأرض كما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام. وفسر قوله تعالى ﴿**أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما**﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٣٠)، أي كانت كل سماء واحدة، ففتقناهما سبعاً...، وذهب قوم إلى أنها سبع متجاورات متفرقات لا متطابقات. فجعلوا **الصين** أرضاً، و**خراسان** أرضاً، و**السند والهند** أرضاً، و**فارس والجبال والعراق وجزيرة العرب** أرضاً، و**الجزيرة والشام وبلاد أرمينية** أرضاً، و**مصر وإفريقيا** أرضاً، و**جزيرة الأندلس** وما جاورها من بلاد الجلالقة وسائر طوائف الروم أرضاً».

ويشير الشيخ **فخر الرازي** إلى أن الفقهاء اختلفوا في تفسير قوله تعالى ﴿**كانتا رتقاً ففتقناهما**﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٣٠)، حيث كان هناك **فريقان**: **الأول** يعتقد أن الأرض والسماء كانتا في البداية شيئاً واحداً، ثم فتقتا إلى سبع سماوات وسبع أراض. أما الفريق **الثاني**، فكان يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق السماوات منفصلة عن الأرض، ثم فتق السماء إلى سبع سماوات، وفتق الأرض إلى سبع أراض.

يتضح من النصوص السابقة أن فريقاً من المسلمين، كان يعتقد بأن الأرض كانت في البداية كتلة واحدة، ثم فتقت وقسمت إلى سبعة أجزاء. ولو وضعنا جميع البلدان التي ذكرها الدينوري على خارطة جغرافية، لحصلنا على خارطة جغرافية للعالم القديم كان معروفاً في ذلك العصر.

وتتجلى فكرة تطور الأرض، وتغير ملامحها وتبدل مواقع اليابسة والبحر بأروع صيغها عند **ابن سينا** في مؤلفه «**الشفاء ـ المعادن والآثار العلوية**»، الذي طرح فيه الكثير من المفاهيم والأفكار الجيولوجية عن الأرض التي «كانت في سالف الأيام غير معمورة، بل مغمورة في البحار، فتحجرت في مدد لا تفي التأريخات بحفظ أطرافها». يقول ابن سينا: «ونحن نعلم بأقوى حدس أن ناحية الشمال كانت مغمورة بالماء حتى تولدت الجبال. والآن فإن البحار جنوبية، فالبحار متنقلة، وليس يجب أن يكون انتقالها محدوداً، بل يجوز فيه وجوه كثيرة. بعضها يؤذن بانقطاع العمارة. فيشبه أن تكون في العالم قيامات تتوالى في سنين لا تضبط تواريخها...».

إن لغة مفاهيم ابن سينا أقرب إلى اللغة الجيولوجية المعاصرة من لغة المسعودي وابن الأثير والدينوري. ولكن من الصعب أن نحدد ما الذي كان يقصد بتنقل البحار غير المحدود. هل كان يشير إلى انجراف القارات؟ أو إلى تحول البحار إلى قارات نتيجة لترسيب الصخور ونشوء الجبال؟.

التفسير الحديث

لنعد من جديد إلى الأرض التي انفتقت ونشأت منها الأراضي السبع. فقبل عقدين من الزمن، كان الكثير من الناس ينظر إلى هذا الاعتقاد الذي تبلور قبل أكثر من ألف عام، على أنه أسطورة من الأساطير العربية القديمة. وقد رفض بعض الباحثين المعاصرين تفسير السلف، وعدّوه «تفسيراً سطحياً»، أو تفسيراً أخذ بالمعنى الظاهري للكلمات دون أن يتعمق في محتوياتها. ويمكن الإشارة إلى كتاب الأستاذ **أحمد حنفي** «**التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن**»، الذي صدر في مطلع الستينات. فبعد أن تسلح المؤلف بأحدث ما توصل إليه علم الفلك والجيولوجيا من نظريات، ناقش آراء علماء التفسير مثل الشيخ فخر الرازي و**الراغب** و**أبو السعود** وغيرهم، فرفضها وقدم تفسيره «العلمي الجديد»، الذي جاء متطابقاً مع ما توصل إليه العلم

حدثت من فرضيات ونظريات عن نشوء الكون والأرض وتطورها. وهي النظريات التي كانت سائدة في مطلع الستينات، والتي وصفها المؤلف بكونها «نظريات معقولة ومقبولة من العلماء».

ولكن، دلت المؤلف الكريم أن العلم بحر لا يثبت على قرار، بل يتطور باستمرار. والنظريات التي كانت «معقولة» في الستينات، لم تعد «مقبولة» في مطلع السبعينات. **فمن بين أمواج المحيط الصاخبة، ومن تحت مياهه، ومن بين رواسب قاعه انتشل العلماء الكثير من الأدلة والقرائن التي تؤكد الفكرة القديمة التي تقول إن الأرض كانت واحدة في البداية ثم انفتقت. لقد مهدت هذه الأدلة والمعلومات السبيل لنشوء أحدث نظرية عن تطور الأرض ونشوء القارات والمحيطات. الا وهي نظرية الانجراف القاري.**

بداية غير موفقة

لم تكن نظرية الانجراف القاري التي عززت الوسط العلمي في السبعينات جديدة في جوهرها، بل يرجع تاريخها إلى مطلع هذا القرن. كانت البداية مع العالم **الفريد فينكر**. فقد لاحظ هذا العالم أوجه التشابه في طبيعة حدود القارات المطلة على جانبي المحيط الأطلسي، إفريقيا وأوروبا من ناحية، **وأمريكا الشمالية والجنوبية** من الناحية الأخرى. وكان التشابه في حافات القارات لدرجة يمكن إعادة لصقها لتشكل قطعة كبيرة واحدة. ومن هذه الملاحظة تبلورت فكرة جديدة، حولها فينكر فيما بعد إلى نظرية جريئة، وجد فيها الكثير من العلماء تحدٍ صارخ لتصوراتهم ومعتقداتهم عن الأرض. وأعلن فينكر أن القارات كانت فيما مضى، تشكل قارة كبيرة واحدة أطلق عليها اسم قارة «**بانجيا**». انشطرت فيما بعد إلى قارتين كبيرتين هما: «**غندوانا**»، و«**لوراسيا**». ومن هاتين القارتين نشأت القارات الحالية، التي أخذت تنجرف فوق قاع المحيط، وتبتعد تدريجياً عن بعضها البعض (رسم ١).

جوبهت نظرية فينكر بمعارضة شديدة من قبل علماء الجيولوجيا. ولكن فينكر لم ييأس، وأخذ على عاتقه مهمة العمل من أجل تحويل الفكرة «الجريئة» المخالفة «للعلم والمنطق» إلى نظرية علمية. ولتحقيق هذا الهدف، لا بد من توفر الأدلة المادية الملموسة، ووضع الأسس النظرية لتفسير سبب انشطار القارة الكبيرة والأسباب والعوامل المحركة هذه الكتل الضخمة من الصخور، وانجرافها آلاف الكيلومترات.

جمع فينكر الكثير من **الأدلة** التي تدعم وجهة نظره. **هناك قبل كل شيء التشابه في طبيعة حدود القارات، والتشابه في التركيب الجيولوجي والحيوانات والنباتات القديمة. ونوعية الصخور التي تنتشر في المناطق التي تطل على جانبي المحيط الأطلسي** (رسم رقم ٢).

ولكن معرفة النتائج وتفسيرها، لا يكفي لتحويل الفكرة إلى نظرية، بل لا بد من معرفة **الأسباب** أيضاً: **ما هي القوة المحركة للقارات؟، ولماذا تهشمت القارة الكبيرة الأولى؟، وما هي طبيعة القوى المحركة للقارات، التي بمقدورها أن تسوق مثل هذه الكتل الهائلة من اليابسة آلاف الكيلومترات في عرض المحيط؟**.

لقد كان فينكر عالماً حقيقياً وذا إرادة فولاذية لا تلين. ولكنه مع ذلك عجز عن تحريك القارات وجذبها من مواقعها. فمن أجل أن يتطور العلم، فلا بد بالإضافة إلى العبقرية، وسعة الخيال، والعمل الدؤوب، من توفر المعطيات والقرائن. لم يكن تحريك قارة مستقرة من موقعها أمراً هيناً.

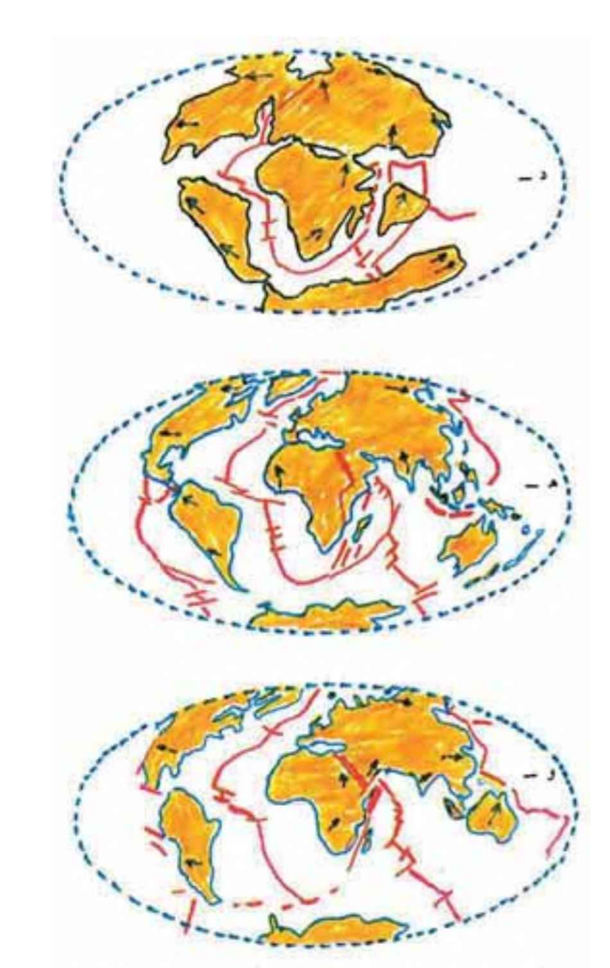
لقد خسر فينكر الجولة. ولكنه أفلح في إثارة الجدل والنقاش في الوسط العلمي خلال عقدين من الزمن. وفي نهاية العشرينات، أخذ الاهتمام بنظرية الانجراف القاري يتضاءل تدريجياً، حتى انسحبت من خشبة المسرح وطواها النسيان.

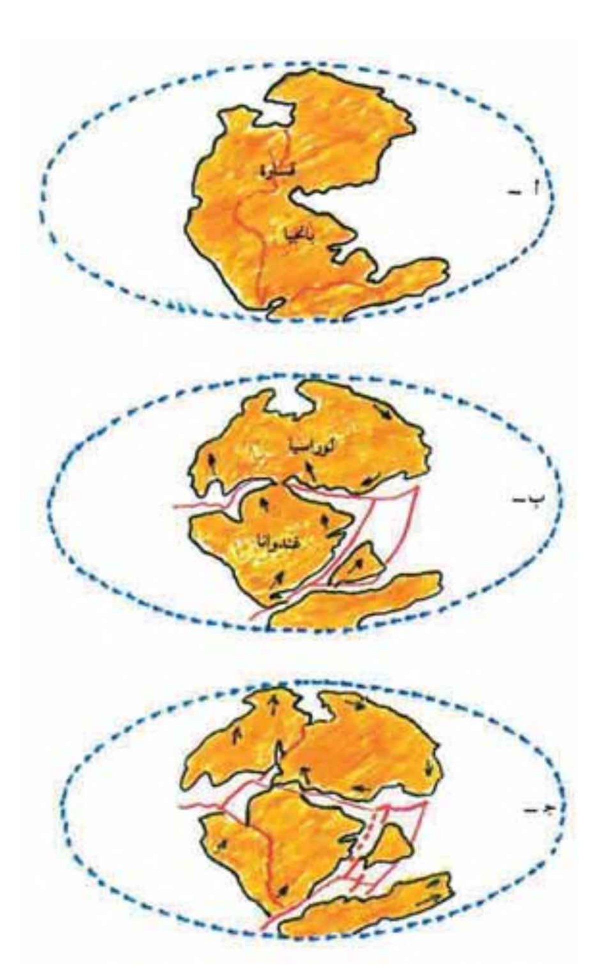
الانبعاث الجديد

قدمت الدراسات والأبحاث التي أجريت في نهاية الخمسينات ومطلع الستينات، أدلة جديدة تساند النظرية القديمة عن الانجراف القاري. وفي السبعينات تبلورت الآراء لتتمخض عنها نظرية متكاملة، وعادت إلى المسرح من جديد لتقف على أرضية راسخة، ومسلحة بقرائن يصعب دحضها. لقد حافظت النظرية الجديدة على الفكرة القديمة التي بلورها فينكر، ولكنها جاءت بمفاهيم جديدة عن طبيعة الانجراف والأسباب الكامنة خلفه. **وتستند نظرية الانجراف القاري الجديدة على فرضيتين أساسيتين: فرضية الصفيح، وفرضية اتساع قاع المحيط.**

فرضية الصفيح

تنص على أن الغلاف الصخري للكرة الأرضية «**الليثوسفيد**»، الذي يبلغ معدل سمكه (٧٠) كيلومتراً، يتألف من مجموعة من الصفائح الكبيرة، وعدد كبير من الصفائح الصغيرة. تتكوّن بعض الصفائح من قشرة محيطية فقط. في حين إن الصفائح الأخرى تتكوّن من قشرة محيطية وقشرة قارية. فعلى سبيل المثال: إن **صفيحة الهادي** تحمل على متنها كل من القارتين: **أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية**. والصفائح ليست مستقرة، بل تتحرك باتجاهات مختلفة فوق طبقة لدنة شبه منصهرة هي طبقة «**الأستينوسفيد**». وتؤدي حركة الصفائح فوق هذه الطبقة إلى انجراف القارات. وهناك في الأساس نوعان من الحدود الفاصلة بين





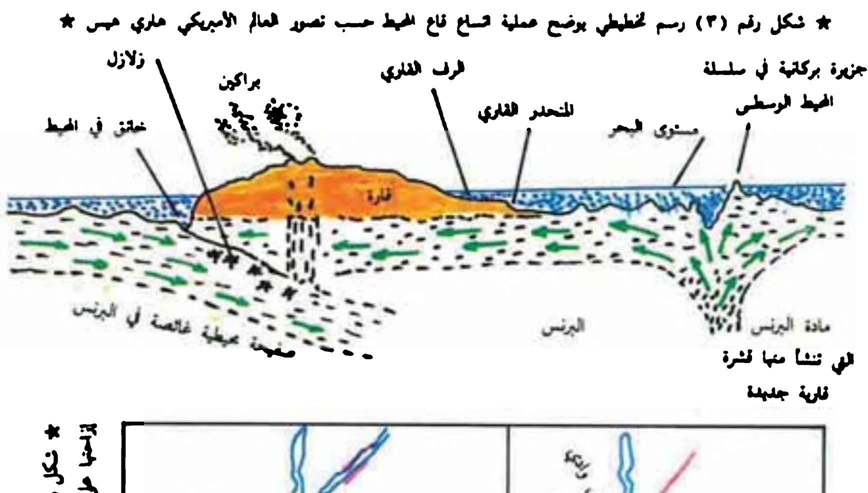
★ شكل رقم (١) انشطار القارة الأولى ، ونشأة القارات وتطورها في العصور الجيولوجية المختلفة :
أ ـ الأرض الأم ـ القارة الأولى بانجيا ـ كما كانت عليه قبل ٢٠٠ مليون سنة تقريباً .
ب ـ الكرة الأرضية في نهاية العصر الترياسي قبل ١٨٠ مليون سنة ، وبعد ٢٠ مليون سنة من بدء عملية الانجراف . خلال هذه المرحلة نشأت القارتان الكبيرتان ـ لوراسيا وغندوانا .
جـ ـ الأرض في نهاية العصر الجوراسي بعد ٦٥ مليون سنة من بدء عملية الانجراف .
د ـ الأرض في نهاية العصر الطباشيري ، أي قبل ٦٥ مليون سنة .
هـ ـ الأرض في العصر الحاضر .
و ـ هكذا ستبدو الأرض بعد ٥٠ مليون سنة ، إذا ما استمرت حركة الصفائح حتماً ★

الصفائح : **النوع الأول** حدود منفرجة تفصل بين صفيحتين تتحركان في اتجاهين متعاكسين متباعدين . وينتج عن ذلك اتساع المسافة بين الصفيحتين . وتظهر هذه الحدود في قاع المحيط على هيئة بروزات جبلية ضخمة تعرف **بالسلاسل المحيطية الوسطى** . **والنوع الثاني** حدود متراكبة ، تنتج عن التقاء صفيحتين تتحركان في اتجاهين متقابلين . في مثل هذه الحالة تغور إحدى الصفيحتين في طبقة الأستينوسفيد ، في حين تركب الصفيحة الأخرى فوقها . وينتج عن ذلك نشوء خوانق المحيط العميقة من جهة ، والسلاسل الجبلية من الناحية الأخرى (رسم رقم ٢) . وفي حالة تصادم صفيحتين قاريتين ، تنشأ سلاسل جبلية جديدة . مثال على ذلك سلسلة **جبال هملايا** ، الناتجة عن تصادم القارة الهندية التي انجرفت نحو الشمال مع الساحل الجنوبي لآسيا .

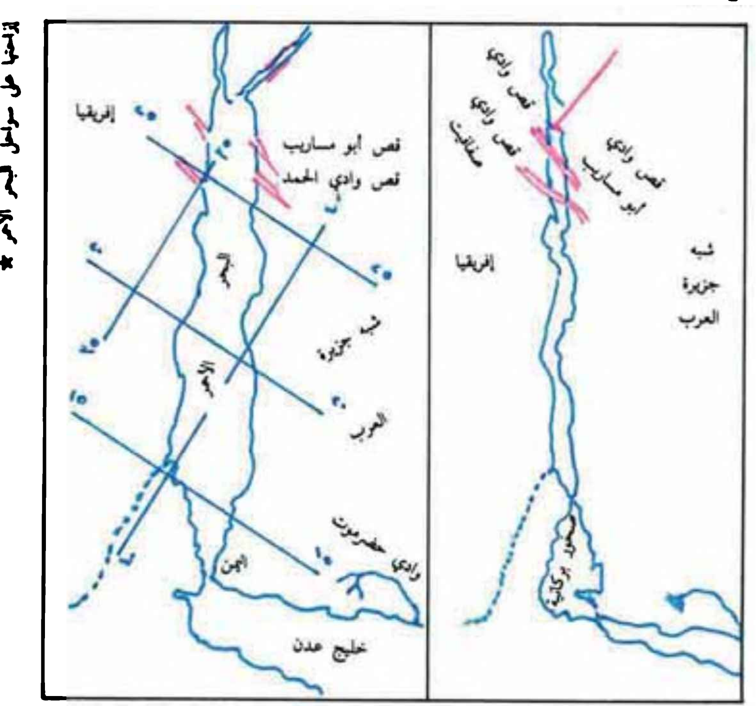
اتساع قاع المحيط

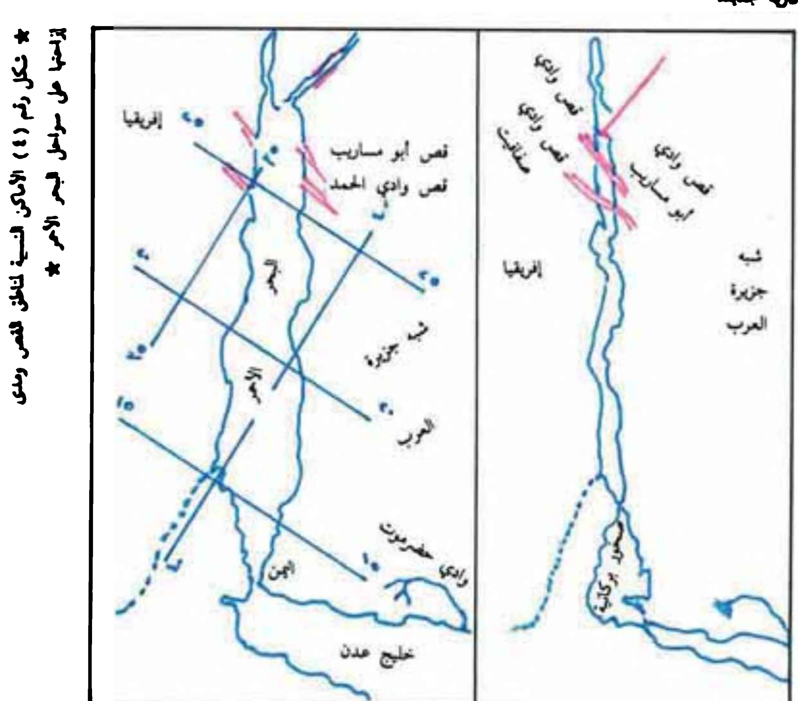
تشكل هذه الفرضية مع فرضية الصفيح ، الأساس النظري الذي تقوم عليه نظرية الانجراف القاري . لقد تم اكتشاف مناطق في المحيط تتكوّن فيها قشرة حديثة فوق القاع ، نتيجة لتدفق المواد المنصهرة من أعماق الأرض . والمناطق التي تتكوّن فيها القشرة الحديثة هي بالذات **السلاسل المحيطية الوسطى** ، التي تمتد في جميع المحيطات . وفي هذه المناطق كما ذكرنا آنفاً ، تتباعد الصفائح عن بعضها ، وتتسع المسافة بينها ثم تملأ بالمواد الصخرية المنصهرة ، التي تتدفق من الأعماق . وبذلك ينشأ قاع جديد للمحيط ، يأخذ بالاتساع تدريجياً من مركز السلسلة المحيطية باتجاه السواحل . أما في المناطق الساحلية ، حيث تلتقي الصفيحتان تغوص إحداهما في الأعماق ، مما يؤدي إلى اندثار مادة القشرة القديمة ، ونشوء خوانق المحيط العميقة (رسم رقم ٣) .

وهكذا ، فإن قاع المحيط حسب هذه الفرضية ليس مستقراً ، بل يتحرك باستمرار ، ويجدد صخوره أيضاً . أما القوة المحركة للصفائح فهي تيارات الحمل التي تنشأ في طبقة الأستينوسفيد اللدنة ، والتي تتحرك من

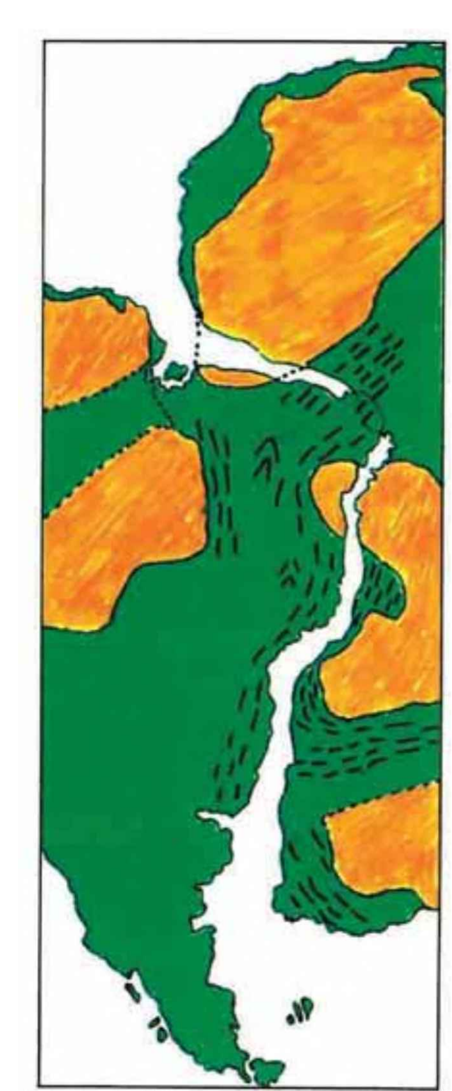


★ شكل رقم (٣) رسم تخطيطي يوضح عملية اتساع قاع المحيط حسب تصور العالم الأمريكي هاري هيس ★





★ شكل رقم (٤) الأماكن النسبية لمناطق القص ومدى تزاحمها على سواحل البحر الأحمر ★



★ شكل رقم (٢) تطابق حواف القارة الإفريقية وقارة أمريكا الجنوبية ، اللون البرتقالي يشير إلى الصخور الأقدم ، الخطوط المتقطعة تشير إلى اتجاه امتداد التراكيب البنيوية في الصخور الأحدث ★

الأسفل نحو الأعلى تحت سلاسل المحيط الوسطى ، ثم تتحرك تحت قاع المحيط باتجاهين متعاكسين باتجاه الساحل ، ثم تتجه نحو الأسفل تحت خوانق المحيط . ويمكن أن نتصور تيارات الحمل كالحزام الناقل ، الذي يتحرك باستمرار من سلاسل المحيط الوسطى نحو الساحل . وفوق هذا الحزام ، توجد الصفائح المحيطية والقارات التي تتحرك مع حركة الحزام .

أما السلاسل المحيطية الوسطى ، فهي المناطق التي يبرز فيها حزامان فوق القاع ، ويتحركان باتجاهين متضادين . فكلما أضيفت مواد صخرية جديدة في السلاسل الوسطى ينقلها الحزام باتجاه الساحل حتى تصل إلى مناطق تصادم صفيحتين فتغوص في أعماق الأرض لتعود وتنصهر في الأعماق . وهكذا هي دورة لا تتوقف ، حيث تضاف مواد جديدة في وسط المحيط ، وتندثر مواد قديمة في الخوانق .

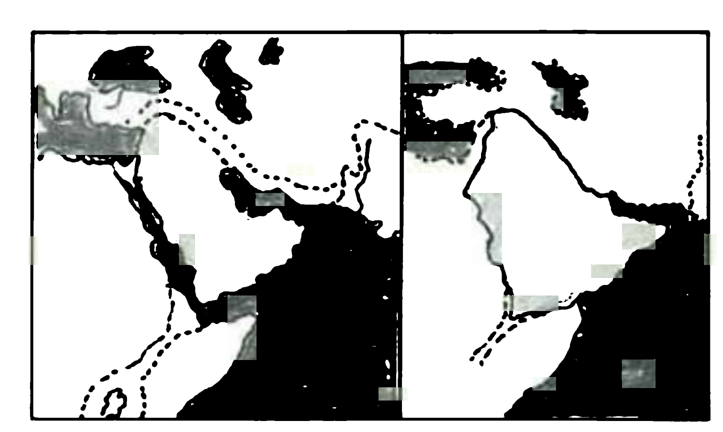
لم تعد القارات تتحرك مثل السفن العائمة ، أو الجبال الجليدية العائمة في البحر كما ظن ألفريد فينكر ، بل تتحرك سوية مع قاع المحيط المتحرك باستمرار . وتشير نتائج الدراسات ، أن قاع المحيط يتسع بمقدار يتراوح بين ثلاثة وستة سنتيمترات خلال العام الواحد .

الجزيرة العربية

تستخدم اليوم نظرية الانجراف القاري لتفسير الكثير من الظواهر الجيولوجية ، **وتعتمد أساساً لدراسة التاريخ الجيولوجي ، وتطور مختلف المناطق خلال العصور الجيولوجية المختلفة .**

وتشير الدراسات الحديثة أن منطقة الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية ، تتألف من مجموعة من الصفائح الكبيرة والصغيرة التي كانت موجودة منذ عصور البريكامبري ، أي حوالي مليارد سنة . غير أن أشكال وأبعاد ومواقع هذه الصفائح تبدلت وتغيّرت خلال العصور الجيولوجية اللاحقة . واتضح أن صفيحة





★ شكل رقم (٥) : أ – شبه جزيرة العرب في العصر الطباشيري الأوسط. ب – شبه جزيرة العرب – الجغرافية الحالية ★

الجزيرة العربية قد تزحزحت بمقدار ١٥٠ كيلومتراً ، بالنسبة إلى القارة الإفريقية وبمحاذاة أخدود البحر الأحمر (رسم رقم ٤) .

ويرى بعض الباحثين أن شبه جزيرة العرب كتلة من إحدى كبريات الكتل للقشرة الأرضية ، التي حافظت على تماسكها ، بالرغم من حركتها عشرات الكيلومترات منذ أواخر الزمن **الطباشيري** . ومنذ ذلك الحين دارت الجزيرة العربية في قوس مقداره ٦ درجات في اتجاه عكس عقرب الساعة . ونتج عن هذا الدوران أنواع مختلفة من التراكيب حول الحافة العربية ، في حين بقيت الكتلة الرئيسية غير متأثرة نسبياً (رسم رقم ٥) .

وتدل الدراسات أيضاً عن وجود خندق يمتد بامتداد أخدود البحر الأحمر ، ينفتح على محوره المركزي بمعدل (١) سنتيمتر في العام الواحد ، وذلك منذ حوالي ثلاثة ملايين سنة مضت . وخلال ذلك تحقق مواد صخرية جديدة فوق قاع هذا البحر ، مما يؤدي إلى اتساعه وتباعد القشرة القارية بمحاذاة محور البحر الأحمر وخليج عدن ، **مما يدعو إلى الاعتقاد أن البحر الأحمر عبارة عن محيط جديد في طريق التكوين .**

القدماء على حق

إنها لمفارقة حقاً من مفارقات تأريخ العلم . لقد عاد العلم الجيولوجي ألف عام إلى الوراء ، لتتحول المعتقدات التي نقلها لنا المسعودي وابن الأثير والدينوري عن الأرض ، التي انفتقت إلى «سبع أرضين» إلى نظرية علمية متكاملة ، استطاعت أن تحدث مثل هذا الانقلاب الجذري في أفكار ومعتقدات علماء النصف الثاني من القرن العشرين ، ولكن مع فارق جوهري هو أن فكرة الانجراف القاري المعاصرة ، تستند إلى مجموعة من الدلائل والقرائن التي تم التوصل إليها بفضل تطور وسائل البحث العلمي في شتى المجالات ، وخاصة الدراسات الجيولوجية والجيوفيزيائية والأقيوناغرافية .

بقيت هناك ملاحظة أخرى جديرة بالاهتمام . لقد وردت في بعض الروايات القديمة التي أشرنا إليها آنفاً نصوص أخرى هي ، كما نعتقد أهميتها التاريخية ، إذ تعكس لنا تصورات ومفاهيم العرب والمسلمين عن بعض المواضيع الجيولوجية مثل : نشوء الصخور ، وتطور الأرض . إذ يتجلى بوضوح أن فكرة نشوء اليابسة من الماء ، كانت متداولة عند المسلمين منذ صدر الإسلام . لذلك فإن هذه الفكرة التي طورها فيما بعد العلماء المسلمون الذين اهتموا بالمعادن والصخور – مثل **الكندي والبيروني وابن سينا** – لم تنتقل عن طريق الكتب والتراجم اليونانية ، بل هي فكرة محلية نبعت وتبلورت في بلاد العرب . وفي الشعر العربي القديم الكثير من النصوص التي تثبت وجهة النظر هذه . وهذا على أية حال موضوع آخر .

لقد حاولنا في هذه المقالة ، إلقاء الضوء على الخطوط العامة ، والمفاهيم الأساسية لأحدث نظرية في مجال علوم الأرض . ويجب أن لا نظن أن الأمور مع هذه النظرية على ما يرام ، وأنها أجابت على جميع الأسئلة المطروحة على بساط البحث حول تطور الأرض ونشوء القارات والمحيطات والجبال . فبقدر ما حلت من حلول معقولة لمعضلات شتى ، بقدر ما جاءت بمعضلات جديدة لا زالت تتطلب الحل ، وأثارت تساؤلات قديمة منسية لم يتم الجواب عليها من قبل . وبالرغم من أهمية الدلائل والقرائن المادية التي تستند إليها ، فإن عنصر الخيال لا يزال يشغل حيزاً مهماً وبارزاً في جميع الدراسات التي تستند إلى هذه النظرية . ولكن العلم لا يتوقف عن التقدم ، ولا تعيقه أخطاء ونواقص هذه النظرية أو تلك . ومن يدري ، فليس من المستبعد أن يحل اليوم الذي تصبح فيه أفكارنا المعاصرة عن الأرض ، أفكار قديمة . . .

المصادر

١ – أحمد حسن : «التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن» ، طبعة شعبية ، دار المعارف بمصر ، عام ١٩٦٢م .

٢ – ابن الأثير : «الكامل في التاريخ» ، الجزء الأول ، ص ١٩ ، دار صادر بيروت ، عام ١٩٨٢م .

٣ – إدوارد كيو : «الكنوز في الصين» ، ترجمة د. محمود حسين الأمين ، ص ص ١٣٥ – ١٥٠ ، مكتبة دار المثنى ببغداد ، عام ١٩٦٤م .

٤ – جورج سارتون : «تاريخ العلم» ، الجزء الأول ، ترجمة مجموعة من الأساتذة بإشراف إبراهيم بيومي مدكور ، القاهرة ، عام ١٩٨٠م .

٥ – جورجيه النقيب : «الانجراف القاري – تكوين القارات والمحيطات» ، مجلة الجمعية الجيولوجية العراقية ، المجلد الخامس ، عام ١٩٧٢م ، ص ص ٢ – ٣٧ .

٦ – النويري : «نهاية الأرب في فنون الأدب» ، الجزء الأول ، ص ١٩٨ ، دار الكتب المصرية بالقاهرة .

٧ – المسعودي : «مروج الذهب ومعادن الجوهر» ، دار التحرير للطبع والنشر ، عام ١٩٦٩م .

٨ – Alison A S , PALMER F D "Geology" MC Graw - Hill Book Company, New York

٩ – ISALLIVAN W 1974, "Continents in motion The New Earth Debate" MC Graw - Hill Book Company, New York

١٠ – MARVIN u 1973, "Continental Drift" Smith Sonian Institution Press, Washington



الدورات الأولمبية

بقلم: وجيه الخيمي

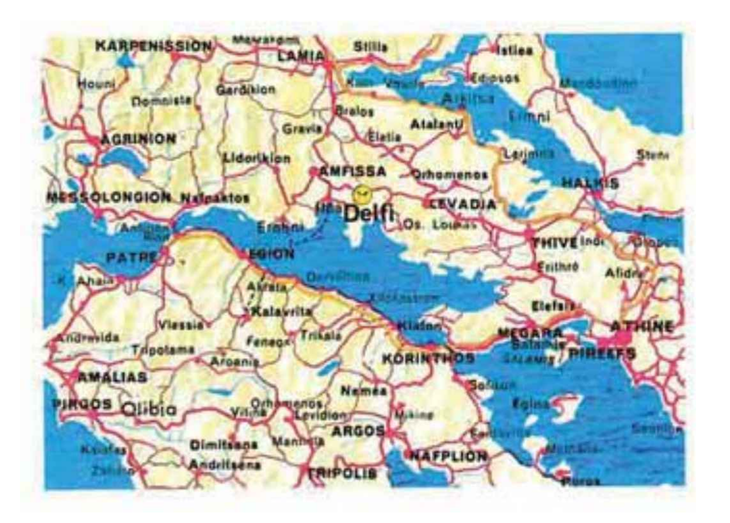
★ معبد دلفي ★



كان الإغريق شعباً مولعاً بالألعاب الرياضية لدرجة التقديس، مما جعلهم يتقربون بها إلى بعض معبوداتهم، ودليل ذلك أن أولى المباريات كانت وثيقة الصلة بالأعياد والطقوس الدينية التي كانت تقام في المناسبات سواء البهيجة كالخطبة والزواج والانتصار، أو المناسبات الحزينة كالموت والوداع، حيث يربط كل حادث بإله.

ولم يكن الغرض الذي توخاه واضعوا الألعاب الأولمبية، مجرد اللهو أو العبادة فقط، وإنما كان هدفهم أيضاً تربية النشء تربية بدنية نظامية وتحبيب المنافسة في إحراز الفوز والغلبة. وتلك كانت عندهم أهم صفات الرجل الوطني المهذب الذي يدافع عن وطنه بقوة إيمانه وبقوة جسده.

ولشدة اهتمام الإغريق بهذه الألعاب، كان يشترك فيها جميع اليونانيين



سواء المقيمون منهم على الأرض الأم أو في الجزر وسواحل آسيا الصغرى وجنوبي إيطاليا وجزيرة صقلية وشمالي إفريقية. ولقد كانت هذه الألعاب أحد عوامل الوحدة بين شعوب الأمة اليونانية.

يقول إيزوقراط[1]: إن هؤلاء الذين أسسوا الألعاب الأولمبية، يستحقون منا كل شكر لأنهم أورثونا تقليداً جمع روابطنا وشدها، وأبعدنا عن الأحقاد كي يجمعنا في نفس المكان الذي تسود فيه نفس الصلوات وتقدم فيه

★ منظر عام لساحة الألعاب الأولمبية في اليونان ★



★ ستاد أثينا الرخامي وفي المقدمة تمثال رامي القرص ★

نفس القرابين ، والتي أصبحت تذكرنا بأصلنا المشترك . وينتهي اجتماعنا لنلتقي في مستقبل يكون فيه بعضنا قد استعد بشكل أفضل لمقابلة الآخرين ، هناك في ذلك المكان حيث نتمسك بكرم الضيافة القديم الذي ندمج فيه بعضاً من كرم الضيافة الجديد .

كانت الألعاب الرياضية تقام في عدة أماكن من بلاد الإغريق وكان أشهرها الألعاب الأولمبية ، التي كانت تقام بجانب نهر **الفيوس** ALFIOS[٢] في بلاد **البلوبونيز**[٣] . وقد **سميت مدينة أولمبيا بهذا الاسم نسبة إلى جبل أولمبس الواقع قرب ساحل بحر إيجه والذي ترتفع قمته إلى ٢٩١٧ متراً** فتغطيها السحب بسبب هذا الارتفاع . ومن هنا تقول الأساطير الإغريقية ، إن هذه القمة مهبط الآلهة ومقر كبيرهم **زفس** (Zeus) أو **زوس** (حسب اختلاف اللفظ) الذي يعده الإغريق والد الآلهة وله الحكم على جميع الكائنات الحية ، لأنه واهب الحرية والحياة ، وسيد جبل أولمب وراعي الاحتفالات .

تقول الأسطورة : **إن بيلوبس بن تانتال ملك ليديا ، وابن زفس** قُتل بيد أبيه تانتال وقدم جسمه طعاماً في وليمة أقيمت تكريماً لآلهة الأولمب ، ولما سمع جده زفس بهذه الفاجعة تأثر كثيراً ، وبعث بيلوبس حياً . ثم كبر بيلوبس وتزوج وصار ملكاً على المنطقة التي حملت اسمه (بيلوبونيز) . ولما مات الميتة الحقة النهائية دفن على ضفاف نهر **الفيوس** حيث بنيت فيما بعد **مدينة أولمب** ، وصار قبره محجاً للإغريق يمارسون حوله طقوساً كانت تسفر عن ضحايا بشرية في أول الأمر ، ثم تطورت أساليب الاحتفالات ولم تعد مبارزات دامية بل أصبحت مباريات لإظهار القوة والغلبة .

لم تبن أولمب كغيرها من المدن ، إنما كانت عبارة عن **مدينة هياكل وصروح ومعابد** بعضها مصغر يمثل معابد المدن اليونانية ، ويطل على هذا كله **هيكل زفس بلونه الأحمر القاني** المرتفع إلى ثمانية عشر متراً وكان من أجمل هياكل اليونان . وفي داخل هذا الهيكل **تمثال ذهبي** لزفس مرصع بالأحجار الكريمة ، وكان يعد **من عجائب الدنيا السبعة** . وهو من صنع **المثال الإغريقي فيدياس** . وقد هدم الهيكل وحطم التمثال في زمن **الإمبراطور تيودوسيوس الأول حين أمر بأيقاف الألعاب الأولمبية عام ٣٩٣ م** ، باعتبارها طقوساً وثنية ، وعمل على هدم المعابد والهياكل ونقل آثارها النفيسة إلى **القسطنطينية** .

وتوجد روايات أخرى عديدة عن منشأ هذه الألعاب الرياضية منها :

(١) إن هرقل ابتكر هذه الألعاب . وقيل بل احدث فيها إصلاحاً وتعديلاً .

(٢) وقيل إن ليكورغ ملك إسبرطة وإيفيتوس ملك إليس هما اللذان أدخلا الإصلاح والتجديد على هذه الألعاب عام ٧٧٦ ق . م .

تقول الأسطورة : إن إيفيتوس استشار كهنة **معبد دلفي** في شأن الألعاب فقالوا له : إن سخط الآلهة وغضبهم سوف يحيطان به إن لم يستأنف إقامة الألعاب الأولمبية مرة أخرى ، ولذلك سارع إيفيتوس إلى توقيع المعاهدة مع ليكورغ التي كان أهم بنودها :

« تعد أولمبيا مكاناً مقدساً ، وكل من يجرؤ على دخول هذه المدينة وهو يحمل سلاحاً يكوى بالنار تدنيساً له ، كما إنه يعد ملحداً كل من تهيأت له الوسائل ولم يحل دون ارتكاب هذه الجريمة » (أي الدخول إلى أولمبيا بالسلاح) .

وقد جرى الالتزام بنصوص هذه المعاهدة وكان الأمراء والملوك يوقفون القتال خلال فترة الألعاب الأولمبية . وكان يعاقب من يعترض الآخرين في طريقهم إلى أولمبيا ، وقد فرضت على **الملك فيليب** غرامة مالية لأن أحد جنوده اعترض رجلاً كان في طريقه إلى أولمبيا .

واتفق على إقامة الألعاب الأولمبية بعد ظهور الهلال الجديد الأول في ذروة الصيف أي حوالي **منتصف تموز (يوليو)** أو النصف الثاني منه .

كما اتفق على أن **مدينة إليس** تقوم بالإشراف على تنظيم الألعاب الأولمبية . لكل هذا عد الإغريق هذه السنة مبدأً للألعاب الأولمبية كما جعلوها مبدأً لتاريخ عندهم .

(٣) ويروي هوميروس في الإلياذة أن **آخيل**[٤] بعد أن انتقم لصديقه **فطرقل** من قاتله **هكتور** ، بدا له فطرقل في المنام طالباً منه أن يدفنه . عندئذ استيقظ آخيل وأمر بأن يجمع الحطب ويلقى فيه فطرقل ثم ذبح كلبين من كلابه وأربعة من الجياد واثني عشر أسيراً من **أبناء طروادة** ، ورمى الجثث كلها فوق الحطب وأشعل النار . ثم قال :

اسمع يا فطرقل : إن اثني عشر من أبناء طروادة تأكلهم النار معك . . أما هكتور فسألقي به إلى الكلاب .

وعندما بدأت النار تخبو قال آخيل :

اطفئوا النار بالخمر واجمعوا عظام فطرقل وضعوا رمادها في قارورة ذهب ، وأقيموا فوقها لحداً عظيماً كالميت .

ولما انتهت هذه الطقوس ، أقام آخيل حفلاً تكريمياً للميت ، اشترك في مبارياته القادة والأمراء ، وأحضر من سفنه كثيراً من الكنوز ليوزعها على الفائزين ، وبدأت المباريات بسباق المركبات الذي وضعت له عدة جوائز :

- **الأولى :** جارية حاذقة بكل أنواع النسيج ومعها وعاء من البرونز .
- **الثانية :** فرس عمرها ست سنين .
- **الثالثة :** مبخرة من البرونز .
- **الرابعة :** كوب له قاعدة عريضة ، ومقبضه على شكل ثعلب .



ويبدو من استعراض ما سبق أن الألعاب الرياضية قديمة جداً في اليونان، وإن طرأ عليها تعديل وتجديد مع الأيام.

الدعوة للاشتراك في الألعاب الأولمبية

ينطلق ثلاثة من الرياضيين في ربيع السنة الأولمبية من **مدينة إليس**، وقد عصبوا جباههم بأغصان الزيتون، ويجوبون البلاد منادين ببدء الهدنة المقدسة وداعين الشعب إلى نبذ الخلافات، فتتوقف الحروب، كما تتوقف الأعمال ويتدفق الناس على صهوات الجياد ومشياً على الأقدام، ومستطين السفن، من جميع المدن اليونانية، من آسيا الصغرى وجنوبي إيطاليا وصقليه وبرقه وغيرها. تتحرك هذه الوفود، تحركها حماسة مشتركة للإسهام في هذا المهرجان المعظم.

الاستعداد للألعاب الأولمبية

بعد اختيار اللاعبين بإشراف وجهاء مدنهم، ثم يداوم المشتركون على تمارينهم ويبذلون جهداً أكبر كلما اقترب موعد المباريات، صباحاً ومساءً لمدة ثلاثين يوماً وأكثر، ويكون ذلك تحت رقابة أهل مدينة إليس الذين أوكل إليهم أمر تنظيم الألعاب الأولمبية منذ عام ٥٧٢ ق . م . وترى اليونانيين خلال هذه الفترة ينصرفون إلى مختلف أنواع النشاط، فترى **هيرودوت** مثلاً يقرأ من كتبه على الجمهور، **وينداروس الشاعر** يلقي مقطوعات من شعره، **وفيدياس** يشتغل بتماثيله، وهكذا . . .

كيف كانت تجري الألعاب الأولمبية

كان اليوم الأول من المهرجان مكرساً لعبادة زفس وتقديم القرابين له، كما يجري فيه استعراض الحكام بألبستهم المزخرفة، وسفراء المدن اليونانية الذين يحملون الهدايا الثمينة للمعبد، بينما يسير الكهنة مصطحبين ما اختاروه من أضحيات لتقديمها قرابين لزفس، وتنشد الأناشيد الجنائزية حول ضريح رمزي لأخيل. وعند غروب الشمس تراق الدماء على ضريح بيلوبس لتذكر مرة أخرى بأصل هذه الاحتفالات ومنبعها. كما تقوم النساء بمسيرة إلى إليس التي تبعد حوالي ثلاثين كيلومتراً.

وفي هذا اليوم أيضاً يؤدي الرياضيون قسماً، الواحد تلو الآخر أمام المعبد، يتعهدون فيه بأن يتصرفوا بتواضع واحترام وإخلاص، وبأنهم رجال أحرار ومن العرق الإغريقي الصافي، وأنهم لم يدانوا من قبل بأية جريمة.

ثم يلقنهم المشرفون، المبادئ التي يترتب عليهم مراعاتها أثناء المباريات تحت طائلة تجريدهم من صفاتهم البطولية، وحرمانهم من المضي في المباريات.

وكان أقرباء المتسابقين وأصدقاؤهم يتعاهدون بالامتناع عن أية محاولة سيئة تؤدي إلى انتصار بطلهم . . ويتوجه المتسابقون إلى ميدان السباق، وقبل البدء بالمباريات يعلن المنادي:

هل من عائب لهؤلاء المتسابقين؟ هل فيهم أحد مستعبد؟ هل فيهم من يحترف مهنة مهينة؟

فإذا لم يتصد أحد لتجريحهم، أذن لهم أن يتسابقوا . . وقبل البدء باللعب تجرى القرعة، فإذا كانت اللعبة بين اثنين، تجرى القرعة على الشكل التالي: يؤتى بوعاء فضي مكرس لزفس، وتلقى فيه قطع بحجم حبة الفول، على كل قطعتين من القطع حرف واحد، (آ) على قطعتين، (ب) على قطعتين، (ج) على قطعتين، وهكذا . . .

يتقدم المتسابق ويتلو دعاء لزفس ثم يمد يده في الوعاء ويتناول قطعة واحدة بإشراف أحد المسؤولين، ولا يحق للمتسابق أن يفتح يده ليرى الحرف الذي كان من نصيبه.

وبعد انتهاء الاقتراع، ينهض **رئيس الاحتفال ويسمى ALYTARCHE (اليتارك)** ويطوف بالمتسابقين الواقفين على شكل حلقة ويطلع على الحرف الذي كان من نصيب كل منهم، ثم يشير إلى الذي سحب حرف (آ) ليباري من يحمل نفس الحرف، وهكذا تتكرر العملية بالنسبة إلى اللذين سحبا الحرف (ب) وهكذا . . .

وإذا كانت المسابقة في العدو، وقف المتسابقون في أول الميدان صفاً واحداً بعد أن يخلعوا أرديتهم منتظرين الإشارة، والناس من حولهم، كل يشجع من يعرفه، فإذا نفخ في البوق اندفعوا نحو النهاية حيث يجلس الحكام والمشاهدون الذين يهتفون لأول متسابق يجتاز الحد المعين ثم تدوي أصوات الطبول والأبواق تحية للمتسابقين وخاصة للفائز منهم الذي يعطى **سعف النخيل علامة الظفر**. ويحدق به معارفه وأقرباؤه معانقين، ثم يرفعونه على أكتافهم شاقين به صفوف المشاهدين الذين يحيونه ويرمونه بالورود والأزهار، ويشعر الفائز بحلاوة الظفر لأن نجاحه يعد فخراً له ولوطنه مدى الحياة وحتى بعد المهات. بل إن بعض المراسم والطقوس الدينية كانت تؤدى إلى بعض الأبطال الرياضيين في حياتهم وبعد مماتهم.

بعد انفضاض اللعب، يكلل الفائز **بإكليل من أغصان الزيتون والغار**، وربما منح جوائز مادية من الرقيق والخيول والثياب والأسلحة والمال، وأثناء ذلك ينادي المنادي معلناً أسماء الفائزين ومن أي مدينة هم.

يسير الفائزون بعد ذلك نحو **المسرح**، يتبعهم المشاهدون، والعربات التي أحرزت قصب السبق (إذا كان السباق للعربات) مزدانة بالأزهار، حتى إذا بلغوا المسرح صدحت الموسيقى وقدمت القرابين، وسجلت أسماء الفائزين في سجل الشرف لتخليد ذكراهم.

ثم يقيم الأصدقاء الولائم للفائزين، ويعود كل منهم إلى مدينته فيخرج أهل المدينة لملاقاة بطلهم بالأغاني، وقد يفتحون ثغرة في أسوار المدينة ليدخل منها البطل دخول الفاتحين المنتصرين، دلالة على أن المدينة لم تعد بحاجة للسور بوجود هذا البطل. **وتقام للفائزين التماثيل في موطنهم وفي غابة جبل أولمبوس**. وإذا نجح بطل ثلاث مرات، يعفى من جميع الأعباء والضرائب التي تفرضها الدولة على المواطنين، ويتغنى الشعراء بمدح هؤلاء الأبطال.

ويعد **الشاعر بنداروس** (٥١٨ ــ ٤٣٨ ق . م)، أعظم الشعراء الغنائيين عند الإغريق، وقد نظم عدداً كبيراً من أناشيد النصر إشادة



★ أولمبيا القديمة ـ مكان المصارعة ★

بالانتصارات التي كان يحرزها الأبطال في الألعاب الرياضية، وكان السكان يتغنون بهذه القصائد عند استقبالهم للفائزين، وكانت كل أغنية تتضمن أسطورة تتصل من قريب أو بعيد بالبطل الفائز. قيل إنه طلب مالاً كثيراً لنظم قصيدة للبطل **بتياس**. فاستعظم أصدقاء بتياس المبلغ وقالوا: إننا يمكن أن نقيم له تمثالاً من النحاس بأقل من هذا المبلغ. وتشاور الأصدقاء وتغلب رأي المؤيدين للقصيدة حيث وجدوا القصيدة خيراً من التمثال. ودفعوا المبلغ المطلوب للشاعر الذي نظم قصيدة مطلعها:

لست بصانع تماثيل لا تشاهد إلا حيث تنصب
ولكني ناظم أشعار تطير في الآفاق
ويطير معها صيت بتياس المكلل بأكاليل الظفر

ومن أهم قصائد بنداروس، **قصيدة الأولمبياد الثالث عشر** المقدمة إلى **اكزنوفون (دوكورنث) المنتصر في سباق الستاد والبانتاثل**.

من المصادفات الغريبة التي وقعت في المباريات الأولمبية أن رياضياً يدعى **دياغوراس**، كان قد حاز في شبابه إكليل الظفر، وعندما كبر أولاده اشترك اثنان منهم في المباريات ففازا ونالا إكليل الظفر. فأسرع الأب يهنئ ولديه، فعانقاه ونزعا الإكليلين عن رأسيهما وكللا رأس والديهما إقراراً بحسن تربيته لهما، ثم حملاه على أكتافهما كأنه هو الظافر واجتازا به الميدان فحياه المشاهدون وقال بعضهم: الآن طاب لك الموت يا دياغوراس لأنك بلغت أقصى أمانيك. فغلب عليه السرور والفرح وأحنى رأسه على كتف ابنه الأكبر وأسلم الروح.

لم تكن الاحتفالات مقتصرة على الألعاب الأولمبية. بل كانت بمثابة الأسواق عند العرب يحضرها كل متباه بعمل. فيخطب الخطباء خطبهم البليغة. وينشد الشعراء قصائدهم الرائعة. ويلقي المؤرخ بعض فصول كتبه. ويسعى التجار إلى ترويج بضائعهم. ويعرض الصناع أبدع ما صنعوا. ويغتنم السياسيون هذه الفرصة للدعاية لآرائهم. بينما يطرح الفلاسفة نظرياتهم.

وهكذا نجد أن هذه الاحتفالات يقصد بها التربية الوطنية والبدنية التي تجمع بين الشعوب اليونانية بالدرجة الأولى ثم لتبادل المنافع والاطلاع على منتجات المناطق اليونانية المختلفة.

ولكن مع الزمن ظهرت طبقة من الرياضيين مميزة وغنية ودخلت الانتهازية أيضاً في الألعاب الأولمبية، كما أن بعض المدن صارت تسعى إلى شراء الأبطال ونقلهم إلى غير مدينتهم فكان سكان مدينة البطل الأصلية يثأرون كثيراً وربما هاجموا منزله ورجموا أهله بالحجارة ويذكرنا هذا بما حصل في **بريطانيا** عندما أراد **اللاعب البريطاني الشهير سير ستانلي ماتيوز** أن ينتقل من **نادي ستوك سيتي** إلى ناد آخر، حيث جرت اضطرابات في بلدته تمنعه من الانتقال.

وفي **العهد الروماني** بدأت الألعاب الأولمبية تتصف بالوحشية والهمجية وتبتعد عن الروح الرياضية الإنسانية(*). ولقد فكر **سولا** (٨٢ ــ ٧٩ ق. م)، بنقلها إلى **روما** ثم جاء **نيرون** فأمر بإزالة تماثيل أبطال الدورات الأولمبية السابقة (لعله كان يغار منهم) مع أنه اشترك في سباق العجلات. وأخيراً جاء **تيودوسيوس الأول** (٣٧٩ ــ ٣٩٥م). الذي انحاز إلى أحد المذاهب المسيحية، وأعلن المسيحية دين الإمبراطورية الرسمي وأخذ يحارب المسيحيين من غير مذهب الدولة ثم أصدر مرسوماً اعتبر فيه الوثنيين كفرة ومجرمين وكان ذلك في عام ٣٩٢م. وبعد ذلك بعام أعلن إيقاف الألعاب الأولمبية* باعتبارها طقوساً وثنية، وعمل على هدم الهياكل. وتجدد أمر حظر الألعاب الأولمبية في **عهد جوستنيان** (٤٨٢ ــ ٥٦٥م)، كما أمر بإغلاق **جامعة أثينا**.

نوع الألعاب الرياضية وأيامها

اختلفت الألعاب الرياضية التي كانت تمارس في الألعاب الأولمبية، كما تبدل عدد الأيام. ولقد مرت هذه الألعاب بعصور خمسة يمكن إيجازها بما يلي:

١) **العصر الأول** ويمتد بين القرنين ١٥ ــ ٨ ق. م. كانت الاحتفالات الجنائزية الدينية هي الأصل وكانت الألعاب الرياضية تحتل دوراً ثانوياً إلى جانبها.

(٢) **العصر الثاني**: (٧٧٦ ــ ٤٧٢ ق. م). تعد سنة ٧٧٦ ق. م. بداية الألعاب الأولمبية. ذلك أنه في هذه السنة عقدت المعاهدة بين **الملكين إيفيتوس وليكورغ**. ونظمت إثر ذلك الدورات الأولمبية. وكانت تستغرق يوماً واحداً كما كان هناك مهرجان ثقافي بين المدن اليونانية.

٣) **العصر الثالث**: (٤٧٢ ــ ٤٠٠ ق. م). يعد هذا العصر، **العصر الذهبي لأولمبيا**. حيث أصبحت الألعاب الأولمبية تستمر خمسة أيام. وصار الأمراء وكبار رجال الدولة يشتركون في الألعاب شخصياً أو يحضرون مشاهدتها.

(٤) **العصر الرابع**: (٤٠٠ ــ ٣٣٨ ق. م). سيطرت الحروب بين المدن اليونانية خلال هذه الفترة، وقد استمرت هذه الحروب من ٤٠٤ إلى ٣٥٩ ق. م. واشتركت فيها أهم المدن اليونانية **إسبرطة وأثينا وكورنث**





وطنية . وكان من نتائجها ضعف النشاط الرياضي في الأرض اليونانية وازدياد هذا النشاط لدى اليونانيين القادمين من مناطق المستعمرات الإغريقية حول البحر المتوسط .

(٥) العصر الخامس : الذي يبدأ من عهد **الملك فيليب الثاني** ثم ابنه **الإسكندر المقدوني** ٣٣٦ ـ ٣٢٣ ق . م ، ولقد اشترك الملك فيليب نفسه بالألعاب الأولمبية كما كان الإسكندر مولعاً بها . وعندما أصبحت اليونان مقاطعة رومانية عام ١٤٨ ق . م ، زادت الوحشية والهمجية في بعض الألعاب ولكنها مع ذلك استمرت قائمة حتى جاء **الإمبراطور تيودوسيوس الأول** فأمر بإيقافها ومنعها لأنها حسب رأيه من بقايا الطقوس الوثنية .

أما عدد الأيام التي كانت تجري خلالها المباريات والاحتفالات فقد تراوح بين يوم واحد في أول الأمر إلى ثلاثة أيام ثم إلى خمسة أيام ، وقد تمتد إلى سبعة أيام مع يومي الافتتاح والاختتام .

ولقد تطورت الألعاب من حيث النوع ، بدأت بمسابقة **للعدو** ، وفاز بها **كوريبوس** وبعد ستة وتسعين عاماً أصبحت تضم خمسة ألعاب أساسية هي : **العدو ، ورمي السهام ، ورمي القرص ، والمصارعة ، والقفز** . ثم أدخل **سباق العربات ، والملاكمة** .

سباق العدو

أول المباريات وأقدمها ، كان المتسابقون يتجهون إلى ميدان السباق **(ستاد)** الذي كان يبلغ طوله ١٩٢،٢٧ متراً[٦] ، وقد بقيت آثار ميدان السباق قائمة حتى الحرب العالمية الثانية ، وكان الستاد بشكل بيضوي U . يبدأ خط الانطلاق المبين بحفر صغيرة تساعد العدائين على الانطلاق ، وتنتهي بخط الوصول ، وتشتمل هذه الأرضية على عشرين ممراً ، عرض كل ممر ١،٢٨ متر . ومع الزمن أصبح السباق على أنواع **فنه سباق المراحل** الذي يجري على ثلاث مسافات مختلفة : **سباق المرحلة الواحدة ، والمرحلة المزدوجة** (ذهاباً وإياباً) **والمرحلة السداسية** ، وقد يمتد السباق ليصبح أربعاً وعشرين مرحلة .

كما وجد **سباق الحواجز** ، حيث ينطلق المتسابقون فيواجهون باثني عشر حاجزاً خشبياً ، والهدف من هذا السباق تليين عضلات المتسابقين ، وكان طوله يبلغ ٥٤٠٠ متر .

ألعاب القوى : بانتاثل PENTATHLON

وكانت تشمل **القفز ، وقذف الرمح** أو السهم ، **ورمي القرص ، والعدو ، والمصارعة** . وكانت تجري في اليوم الثالث :

● **مسابقة القفز** : كانت أصعب مما هي عليه الآن ، إذ كان على الرياضي أن يقفز وهو يحمل أثقالا ، يرميها خلفه في نفس اللحظة التي يؤدي فيها قفزته إلى الأمام .

● **قذف الرمح أو رمي السهام** : وكانت درجات الفوز تحسب على أساس إصابة الهدف وليس حسب بعد الرمية .

● **رمي القرص** : خلد المثال الإغريقي **ميرون** هذه الرمية بتمثاله المشهور ، وكان الإغريق يسمونه **(ديسكوبول)** ، وأول مسافة عرفت برمي القرص قدرت بـ ٩٥ قدماً من مقاييس دلفي ، أي ما يعادل ٢٨،١٧ متراً ، **سجلها البطل الإغريقي فايلوس دي كروتون** حوالي عام ٥٠٠ ق . م .

● **المصارعة** : من أقدم أنواع الرياضة عند الإغريق ، ولعل الكلمة جاءت من الأمكنة التي كانوا يتمرنون فيها وتسمى PALESTRE من الكلمة اليونانية PALE أي مصارعة .

وكان المتصارعون يتبارون بأرديتهم ، فتفق أن أحدهم سقط رداؤه أثناء المباراة فتوقف عن اللعب ، وانهزم ، فتقرر بعدها أن يتصارع المتبارون عراة ، ومن يومها منعت النساء من حضور المصارعة وسائر الاحتفالات ، وإذا اكتشفت امرأة بين الحضور يحكم عليها بالموت وتلق من قمة عالية في المنطقة . ولكن يسمح للفتيات بالحضور .

ومن المصارعين الذين خلدهم تاريخ الألعاب الأولمبية هرقل وميلون دوكرتون وهيبوستين . وقد سجل الشاعر هوميروس في الإلياذة وصفاً للمصارعة التي قامت بين أوليس وأجاكس ووصفها بأنها أضخم وأعظم مصارعة حدثت في ذلك العصر . كما يقول هوميروس إن **أول من وضع قانون المصارعة هو تيزوس بن أغوس ملك أثينا عام ٩٠٠ ق . م** .

ومن تقاليد المصارعة الإغريقية ، أن يطلي المصارعون أجسامهم بالزيت ثم يتمرغوا في التراب وتبدأ بعد ذلك المصارعة على **نغمات الفلوت** .

إلى جانب المصارعة بين الكبار ، كانت هناك **مصارعة الأولاد لاكتشاف المواهب الجديدة** . وقد تـوج **هيبوستين وميلون دي كروتون** وهما ولدين قبل أن ينتصرا عدة مرات بعد أن بلغا أشدهما . وكان الفوز حليف صاحب الوزن الأثقل ، لأنه لم يكن هناك تفريق في الأوزان ، وكانت المباراة تنتهي بوقوع أحد المتبارين على الأرض ثلاث مرات ، أو برفع يده اليمنى علامة الاستسلام . . وكانت مصارعة الأولاد تجري في اليوم الخامس .

● **العدو** : وكان موعده في اليوم الخامس أيضاً .

أدخلت لعبة جديدة على الألعاب الأولمبية منذ عام ٦٤٨ ق . م ، هي **البانكراتيوم** ، وهي مزيج من المصارعة والملاكمة ، وكان موعدها اليوم الرابع .

أما اليوم السادس فكان **مخصصاً لسباق العربات** : بدأت هذه السباقات قديماً ، وتقول الأسطورة إن **أريخيثوس** ERECHTEION ملك أثينا اخترع عربة السباق ذات العجلات الأربع ، وكان هذا الملك على شكل ثعبان في نصفه الأسفل ، وينسب إليه بناء معبد الأريخيثوس الواقع شمالي الأكروبول[٧] ، كما يقال إنه أقام **أعياد الباناثينا** .

وكان الملوك يشتركون في هذا السباق بأنفسهم أو ينيبون عنهم خاصتهم .



★ أولمبيا القديمة بلاد الألعاب الأولمبية ، ما تزال شعلة الألعاب تؤخذ من هذا المكان ★

وقد كانت مجال فخر واعتزاز ، وكان **ملك إسبرطة** يتخذ من الظافرين في السباق حرس الشرف له . وفي عام ٦٧م ، اشترك نيرون بسباق العربات التي تجرها عشرة خيول ، وكان قد أعلن قبل بدء السباق أنه سينتصر أو يموت ، وقد انتصر رغم وقوعه من العربة وتدحرجه على الأرض ، كما اشترك من الملوك **فيليب الثاني المكدوني والإمبراطور طيبيريوس** وغيرهما .

وكان السباق يجري على بعد ١٠كم من أولمبيا ، وقد أدخل سباق العربات على الألعاب الأولمبية في الدورة الخامسة والعشرين .

أما **سباق الخيول** فقد كان على أنواع أيضاً ، منها **سباق الخيول غير المسرجة وسباق الخيول المسرجة وسباق الأمهار** ، وكان طول حلبة سباق الخيل ١٥٣٨ متراً وعرضها ٣٢٠ متراً . وكان ملعب هذه السباقات يسمى **هيبودروم** ويبلغ طوله ٧٧٠ متراً .

إلى جانب الألعاب الأولمبية كانت تقام دورات رياضية أخرى منها :

●● **الألعاب البوثية :** نسبة إلى بيثون ، وهو الثعبان المارد الذي قتله الإله أبولون على جبل برناس ، وكانت تقام ذكرى لانتصار أبولون على الثعبان ، مرة في كل خمس سنوات ، قرب **مدينة دلفي** ، ويكلل الفائزون بأكاليل الغار .

●● **الألعاب الإستيمية :** كانت تقام تكريماً لإله البحر **نبتون** ، وكانت محلية إقليمية في بادئ الأمر ، ثم أصبحت قومية ، وكان المنتصرون فيها يكللون بأكاليل الصنوبر ، أو الآس اليابس ، وكان لسكان أثينا المقاعد الأولى بين المتفرجين .

●● **الألعاب النيمية :** تقام في **وادي نيم** تكريماً لأرشومور ابن ملك نيم الذي قتله ثعبان . وقد **أسس هذه الألعاب دوريان** عام ٥٧٥ ق . م ، وكان المنتصرون يكللون بأكاليل من الآس الأخضر ، ومن أشهر الفائزين بهذه الألعاب **بتياس** الذي مر ذكره .

●● **الألعاب الإليوسية :** نسبة إلى **مدينة إليوسيس في انيكا شمال غربي أثينا** بـ ١٩كم ، عند مصب **نهر كفيسوس** ، وكانت هذه المدينة مقراً للطقوس الإليوسية ذات الأسرار ، وكان فيها معبد لديميتر[8] ، وتتصل الألعاب الرياضية بتلك الطقوس ، وقد كشف عن أطلال المدينة القديمة والمعبد قرب **قرية إليوسيس** الحديثة ELEUSIS .

●● **الألعاب البرزخية :** التي كانت تقام في **مدينة كورنثه** ، وقد نظمت أول مرة عام ٥٨١ ق . م . وكانت تقام في ربيعي السنة الأولى والسنة الثالثة للألعاب الأولمبية ، وكانت شبيهة بالمباريات الأولمبية ولكن على شكل مصغر .

●● كما كانت توجد دورات رياضية خاصة بالنساء وأخرى بالأطفال بدأت عام ٦٣٢ ق . م .

الهوامش

(١) ايزوقراط : ٤٣٦ ـ ٣٣٨ ق . م ، خطيب يوناني تتلمذ على سقراط ، كتب خطباً سياسية وتعليمية وقضائية ، وفي خطبه السياسية يدعو اليونانيين ويحثهم على التمسك بوحدتهم ليتسنى لهم الوقوف في وجه الفرس .

(٢) الفيوس : نهر ينبع من جبال تايجيتوس ويصب في البحر الأيوني ، تروي الأساطير أن مياهه تجري تحت مياه البحر ثم تنبثق على شكل نافورة (اريتوزا) في سيراقوسة (صقلية) وأن هرقل حول النهر إلى حظائر أوجياس لتنظيفها .

(٣) ملوبونيز : تسمى أيضاً شبه جزيرة المورة ، كانت في الزمن القديم تقسم سياسياً إلى عدة ممالك منها إليس وأخايا وأرغوليس وكورنث وأركاديا ولاسيديمونيا (ميسينيا ولاكونيا) وكان من أهم مدنها إسبرطة وكورنث وأرغوس وميغالوبوليس . وفي أقصى الجنوب الغربي من شبه الجزيرة يقوم ميناء بيلوس وهو ميناء دولة ميسينيا القديمة على خليج بيلوس ، ويعرف هذا الميناء حالياً باسم نفارينو حيث وقعت المعركة البحرية عام ١٨٢٧م ، كما عرف هذا الخليج انتصار الأثينيين على الإسبرطيين عام ٤٢٥ ق . م . أما إليس فهي المنطقة الواقعة غرب شبه الجزيرة وتقع في أراضيها مدينة أولمبيا .

(٤) أخيل ACHILLE أعظم أبطال الإغريق المذكورين في إلياذة هوميروس ، قتل هكتور انتقاماً لمقتل صديقه فطرقل الذي قتله هكتور ، وأخيراً قُتل أخيل بسهم في كعبه على يد باريس ابن فريام ملك طروادة .

(٥) دخل الاحتراف إلى الألعاب الرياضية فشوه أهدافها ، وأصبحت مباريات المصارعة لا تنتهي باستسلام المغلوب ، بل بموته ، إذ صار بإمكان الغالب أن يجهز على المغلوب مباشرة من الحكام أو الجمهور .

★ أقيمت آخر دورة ألعاب أولمبية عام ٣٨٨م ، وكان رقمها ٢٩٢ ، أي إنها استمرت ٧٧٦ق . م + ٣٨٨م = ١١٦٤ سنة .

(٦) ستاد : كلمة لاتينية STADIUM مشتقة من الإغريقية STADIA وهي وحدة لقياس المسافات ، تعادل ٦٠٠ بوصة أو قدم يوناني ، وبما أن القدم اليوناني يساوي ٣٠.٨٤سم فيكون طول الستاد : ٦٠٠ × ٣٠.٨٤ = ١٨٥.٠٤م ، وكانت هي المسافة لمضمار سباق العدو في الدورات الأولمبية ، ثم تحول الاسم إلى المكان الذي تجري فيه السباقات ، وكان يبنى على شكل حرف U ذي طرفين متقاربين ، يبلغ طوله ٢١١ متراً وعرضه ٣١.٥ متراً . وكانت المدرجات تحفر على سفوح الجبل من الجهات الثلاث ، ويتسع بعض هذه المدرجات لأربعين ألفاً من المشاهدين .

(٧) أرخيتوس : هيكل أثينا ويقع عند مدخل الأكروبول في أثينا ويعرف برواق الكارياتيد وقد بني بين ٤٢١ ـ ٤٠٦ ق . م .

(٨) ديميتر : سيريس عند الرومان (آلهة الزراعة) .

المصادر

١ ـ تاريخ الحضارة : وول ديورانت .

٢ ـ موجز تاريخ الحضارة : حاطوم وطربين .

٣ ـ مجلة الرياضة والجيل (عدة أعداد) .

٤ ـ مجلة الرياضة والجمال (عدة أعداد) .

٥ ـ مجلة جيش الشعب السورية .

٦ ـ الصحف الرياضية .

٧ ـ المجلات الرياضية العربية .

٨ ـ نشرات رياضية متعددة .

إن أبرز الأمثلة على جدية الحياة المعاصرة وأثرها في أمة من الأمم ، نجده في اليابان ، هذا البلد الذي فاق بجديته في الحياة كثيراً من الأمم التي سبقته في مضمار الحضارة المادية .

والجدُّ (بالكسر) الاجتهاد في الأمر وضد الهزل ، وهل تهزل أمة تسابق غيرها في ميداني التقنية والإنتاج ؟ .

ومن معالم الجد في هذه الأمة ، أن كل فرد فيها منصرف إلى عمله أو إلى علمه ، ومنكبّ عليه ، ومنهمك في التزود من العلم ، أو في اكتشاف ما يساعده على إدخال الجودة في عمله . ولا يتيسر له ذلك إن لم يكن متزوداً بالعلم في مجال تخصصه ومؤهلاً تأهيلاً مهنياً ممتازاً .

اليابان .. ومنظار المصلحة

بقلم : د . محمود محمد بابللي

والتخصص في اليابان أمر ملاحظ ، وهو مبني على التفرغ لعمل من الأعمال والإجادة فيه .

واليابان بلاد جبلية ، وسبعة عشر في المائة من أراضيها صالح للاستثمار الزراعي ، وهذه الأراضي المستثمرة خصبة ، وترتوي من مياه الأمطار الغزيرة التي تسقط على الجبال ، وكثير من جبال اليابان بركاني ، ولهذا تعتري البلاد بعض هزات أرضية ، ومساحة اليابان جميعها تقدر بتسعة وستين وثلاثمائة ألف كيلومتر مربع ، وهي واقعة بين خطوط عرض ٣٠/٤٥ ، أي هي من البلاد المعتدلة الشمالية ، وأن تيارات الرياح الباردة والدافئة التي تغسل شواطئها ، **زودتها بثروة كبيرة من الأسماك** .

والجزر الأربع الكبرى في اليابان ، تشكل قوساً مفتوحاً في مواجهة الساحل الشرقي لآسيا ، ويفصل بينها وبين هذا الساحل **بحر اليابان** .

وموارد اليابان المعدنية قليلة جداً ، غير أنها تستثمر القوى المائية على أوسع نطاق . وتربتها السطحية غنية بالمواد التي تساعد على الزراعة .

واليابان كانت في القديم تشكل جزءاً من الحضارة الصينية ، وكانت في عزلة ـ شبه تامة ـ عن العالم الخارجي ، فرضتها على نفسها ، متأثرة من كونها جزراً بعيدة نسبياً عن القارة الآسيوية ، والاتصال باليابسة الشرقية لم يكن يسيراً لضعف وسائل النقل البحرية .

وهذه العزلة جعلت منها أمة حذرة من التعامل مع الغريب ، لأنها لم تكن معتادة على ذلك من قبل .

وعندما أُجبرت على فتح موانئها للتجارة الخارجية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، **تحت ضغط الولايات المتحدة وإنجلترا وروسيا** ، ابتدأت تتصل بالعالم الخارجي ، وكانت بداية لها ما بعدها في تاريخها الحديث .

وإن التقدم العظيم الذي حققته أخيراً في النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، قد عمّ اليابان ، حتى إن الإنسان الغربي أصبح على يقين من أن اليابان لديها جامعات أكثر مما لدى جميع دول غربي أوروبا ، **وأن نصف شباب اليابان بمقدورهم الحصول على دراسات عليا** .

التقليد .. والابتكار

وقد تفتحت أعين الشعب الياباني على كل جديد ، وشغفت الأمة اليابانية بتتبع كل مبتكر ، حرصاً منها على أن تكتشف أسراره ، وتزيد عليه تعديلاً في تحسين ، ولهذا وجدنا المصانع الغربية لا تطرح نوعاً من الإنتاج العلمي الجديد ، إلا سبقت اليابان إلى دراسته والتعرف على سر الصنعة فيه ، ومضاهاته بالشكل الذي يجعل منه نوعاً آخر يؤدي الغرض من سابقه ، ويتفوق عليه بمزايا عديدة .

وإنني لا أريد أن أسجل هنا أن الشعب الياباني مقلد وغير مبتكر ، بل أريد الإشارة إلى أنه متفتح البصيرة ، وسبّاق في مضمار الكشف العلمي ، وهو المشهور عنه أنه صاحب الذوق الرفيع في إخراج الإنتاج على خير صورة وأقربها إلى النفس الإنسانية .

وهذا التفوق العلمي لم يأت اعتباطاً ، وإنما جاء نتيجة لهذه الجدية التي انتهجها الشعب الياباني ، واتخذها شعاراً له ، ونتيجة لهذا التصميم الذي أخذ به في أن يدخل معترك الحياة من أبوابها الموصلة إلى طريق القوة والعزة .

وقد كان رائد هذا الطريق **الإمبراطور الياباني ميجي** Mieji (١٨٥٢ ـ ١٩١٢ م) ، الذي أطل من زاوية (المصلحة) على التقدم العلمي والصناعي ، الذي ظهر في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ، في ديار الغرب ، أي في عام ١٨٦٨ م ، تاريخ بداية إصلاحات الإمبراطور المذكور ، فأوفد عدداً من البعثات المتلاحقة لارتشاف الموارد العلمية من منابعها ، ولاكتشاف أسرار الصناعة الحديثة ، والتعرف على مزاياها ، والعودة إلى بلاده بما

ينفع منها ، وقَصَرَهم على هذه الدراسة ، ولم يقبل منهم العدول عنها إلى غيرها بشكل من الأشكال ، وشدّد في الرقابة على هذه البعثات وأحكمها ، ولم يقبل من أفرادها إلا الجدية في تعلمهم والانصراف الكلي إلى تحقيق الغاية التي ابتعثهم من أجلها .

وقد عادت هذه الوفود العلمية بما تزودت منه ، وابتدأت عملية تمثل هذا الزاد في جسم الشعب الياباني ، وفي عقله تؤتي أكلها وتعطي ثمارها .

إن فترة حكم هذا الإمبراطور التي امتدت مدة خمسة وأربعين عاماً ، كانت تتميّز بطابع الاقتباس العلمي ، وتمثل عناصر الحضارة الغربية التي وجدوا مصلحة في تبنيها .

وقد أصرت اليابان على أن تتعلم وتقتبس من كل دولة ما هي متفوقة فيه ، فأرسلت بعثات إلى إنجلترا لتعلم صناعة السفن الحربية والتجارة البحرية ، وإلى **ألمانيا** لتعلم التدريب العسكري والطب ، وإلى **فرنسا** لتعلم القانون ، وإلى الولايات المتحدة لتعلم أساليب التجارة . . .

فالعالم المتقدم آنئذ كان لها مدرسة مفتوحة ، يتعلم فيها أفراد بعثاتها ــ من كل بلد ــ ما هو أقوى تخصصاً .

ومن الأمثلة الواضحة على تأكيد الاتجاه الذي سلكته اليابان في بداية تفتحها على الغرب ، أن بريطانيا هاجمتها عام ١٨٦٢ م ، بأسطول قوي بسبب مقتل أحد رعاياها في اليابان دون أن تُسوَّى قضيته بما يرضيها ، وبعد معركة عنيفة كانت لجانب بريطانيا ، لم تتأخر اليابان عن إيفاد بعثة إلى بريطانيا للتخصص في صناعة السفن الحربية . وما إن عادت هذه البعثة ، حتى بدأت اليابان في إنتاج العديد من السفن الحربية ، مع ما أدخلت عليها من تطوير وتحسين ، جعل **الأسطول الياباني الحربي يتفوق على الصين عام ١٨٩٤ ــ ١٨٩٥ م ، وعلى روسيا القيصرية عام ١٩٠٥ م ، وإن أضخم إنتاج للسفن في يومنا هذا تنفرد فيه اليابان .**

ولولا سبق الولايات المتحدة في اكتشاف **القنبلة الذرية** واستعمالها في إخضاع اليابان ، لكان لليابان شأن آخر في عالمنا المعاصر .

واليابان التي خرجت من **الحرب العالمية الثانية** بذل المنكسر ، لم يفارقها عامل الجد مطلقاً ، بل تمكنت عن طريقه من جعل الدول المنتصرة (وروسيا معها) في حاجة إلى كثير من إنتاج اليابان المتفوق في عالم الصناعة الدقيقة والثقيلة .

وقد أشرت فيما سبق ، إلى أن إمبراطور اليابان (ميجي) أطلّ من زاوية (المصلحة) على التقدم الصناعي لأوروبا الغربية ، واستفاد منها ما تحققت فيه مصلحة أمته .

وإن هذا المنظار (منظار المصلحة) هو سر تقدم الأمم ، التي تدرس بإخلاص ما هي في حاجة إليه ، وتعمل على تحقيقه برغبة وعزيمة صادقة ، متوخية في ذلك كله (المصلحة) لا غير ، مصلحة الأمة جمعاء ، في أن تكون عزيزة الجانب بعيدة المنال مرغوبة الصلة .

الأمة .. والدولة

ومن المصلحة أن يكون الفرد جاداً في منطلقه في هذه الحياة ، وأن لا يضيع الوقت فيما لا يعود عليه بالنفع ، لأنه لبنة في كيان الأمة ، وأن أي تقصير من جانبه يعود على الأمة جمعاء ، ويكون سبباً في تسرب الضعف إليها من جهته ، ولهذا جاء في الأثر : « إن كل واحد منا على ثغرة من ثغور الإسلام فلا يؤتى من قبله » .

ومن المصلحة أيضاً أن لا تكون الدولة في واد ، وأن يكون الشعب في واد آخر ، لأن القاعدة الكلية تنص على أن الحكم بالرعية منوط بالمصلحة ، وأن ولاة الأمر هم الرواد في طريق السلامة ، وهم الأمناء على مصالح الأمة ورعايتها .

وقد ضرب إمبراطور اليابان (ميجي) ، خير مثل على توخي المصلحة لأفراد أمته ، فأورثهم هذه الجدية في الأمور جميعها ، فهم يسيرون في الخط الذي اختطه لهم ، ويقطفون من الثمار التي غرسها بيده ، وأينعت بحسن تعهدهم لها .

وهذا ما أشار إليه **وزير خارجية اليابان** في حديثه عن أبرز عوامل ازدهار الاقتصاد الياباني ، وذلك في خطبة ألقاها في عاصمة أستراليا عام ١٩٦٨ م ، فقال :

« عندما قررت اليابان منذ مئة عام أن تنفتح على العالم ، وأن تتبع سبل المدنية الحديثة ، فإن روح الاحترام والثقة بالنفس لدى أجدادنا ، جعلت في إمكان ذلك الجيل أن يقبل التوجيهات من الأمم الغربية المتقدمة دون إحساس بمركب نقص ، وقد كانت هذه أحد العوامل الكبرى التي أسهمت في خطا اليابان السريعة نحو المدنية الحديثة .

« وعلاوة على ذلك ، فقد وضع أجدادنا اهتمامهم الرئيسي في مجال التربية والتعليم ، فتركوا لنا رصيداً وافراً ، ويشهد على ذلك أن **٩٩,٩ ٪ من الشعب الياباني اليوم قد استكمل فترة التعليم الإلزامي .**

« ولما كان العمال اليابانيون البالغ عددهم خمسين مليوناً من العمال المتعلمين الأكفاء ، ولما كانوا يتمتعون بالنزعة إلى الادخار ، فإن معدل الادخار في اليابان الذي وصل إلى ١٨,٥ ٪ عام ١٩٦٦ م ، يزيد مرتين أو ثلاث مرات على ما هو عليه في أوروبا وأمريكا .

« وتعتبر هاتان الخاصيتان من أهم العوامل التي أسهمت في تحقيق معجزة النمو الاقتصادي في اليابان » .

وأخيراً ، فقد صدق من قال بحق هذه الأمة الجادة في طريق التقدم :

أمة تنشئُ الحياة وتعلو
في مراقي الحياة يوماً فيوما
لا كمثل المُزَنَّدِينَ الكُسالى
يُشبِعون الأقدار ذماً ولوما[1]
إن من يبتغي الحياة عزيزاً
يستزيد الحياة جداً وعلما

الهوامش

(١) تزنّد فلان : إذا ضاق بالجواب وغضب .

اليوم والغد

اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد
اليوم والغد

حفارة ضخمة

في الواقع ، تعتبر هذه الحفارة المجهزة بمجرفة **هيدروليكية** سعة ٤٧٤ طناً أضخم آلة من نوعها ، وهي تستعمل بشكل خاص لجرف التربة من المناجم المفتوحة . تقدر استطاعة محرك الحفارة بـ **٢٣٥٢** حصاناً بخارياً ، وقد صنعت في ألمانيا الغربية .

الاتصال المباشر

كيف يمكن الاتصال مع مصاطب التنقيب عن البترول ، الموجودة عند الأفق ، وفي المناطق البعيدة عن الشواطئ ؟ .

قام أحد الباحثين بحل هذه المسألة باستعمال الهوائيات المبينة في الشكل للاتصال مع مصاطب الحفر ، بالقرب من شواطئ **سكوتلندة الشمالية** على بعد **١٧٥** ميلاً ، وذلك باستعمال أجهزة اتصال ميكروية . المجال الفعال لهذه الطريقة هو **٤٠٠** ميل .



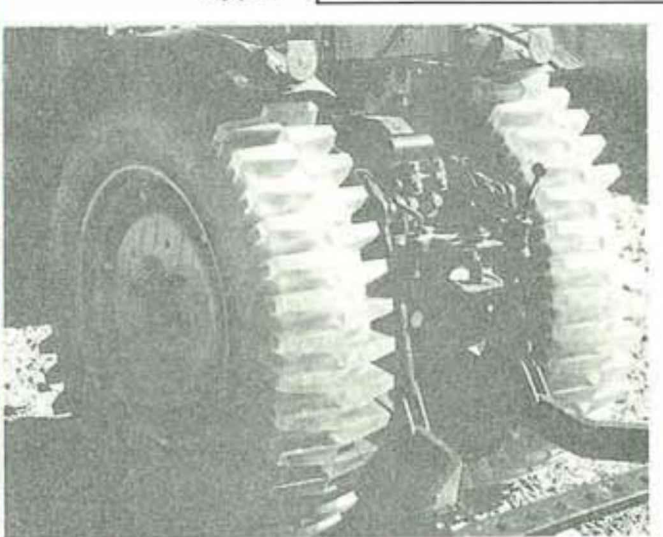




إطارات من البلاستيك

تبين الصورة إطارات بلاستيكية تجريبية مصنوعة من نوع خاص ، من مادة **بولي أورثيان** . وحسب تصريح الشركة الألمانية الصانعة ، فإن الإطارات البلاستيكية أسمك من الإطارات المطاطية ، وهي تدوم أطول ، لأنها تقاوم الحك أكثر .

ويتوقع استخدام هذه الإطارات في **الجرارات** . ويمكن استعمالها أيضاً في **السيارات** ، وذلك بعد أن تجتاز مراحل الاختبار .



تفريغ البترول المنسكب



يستعمل الجهاز الموضح في الصورة في **تفريغ النفط الأسود المنسكب قبل أن يقوم بتلويث الشاطئ** ، وذلك عن طريق شفطه من على سطح الماء . والجهاز بسيط للغاية يحتوي على خرطوم بقطر ١٣ إنشاً موصول إلى طوّافة يتم عبرها امتصاص الماء بواسطة مضخة .



قصة قصيرة

بقلم: د. أحمد عبدالمنعم عربود

كان بالأمس!

(١)

أزاح الستار عن النافذة، تدافعت قطرات المطر بشدة لترتطم بالزجاج لترسم عليه لوحة «سيريالية». ترتعد فرائصه وهو يسمع صوت المطر على زجاج النافذة، يشعر بالبرد رغم حرارة الحجرة من الداخل، تطلع إلى المدينة من الدور العاشر في المستشفى الكبير، تراءت أمامه كأشباح هزيلة ساكنة كأنها خرجت لتوها من حرب خاسرة مع المطر. خيوط ضعيفة من الضوء تصل إلى عينيه من المصابيح الخافتة التي تناثرت هنا وهناك كأنها تحتضر، تمتلئ نفسه خوفاً حين يرى المطر يسكب ماءه بشدة على الأشجار البعيدة المترنحة. الظلام حالك، الليل مظلم إلا من ضوء البرق يحيله نهاراً بين لحظة وأخرى.. صوت الرعد يقطع عليه تفكيره، يفزع حين يرى البرق.. يترك الستارة، يتنفس وقد امتلأت نفسه رهبة وخوفاً.

(٢)

يصلح من هندامه أمام المرآة، يشتغل بتجهيز حقيبة السفر، كم يعاوده الحنين إلى حبيبته، كم يتعجل لقاءها.. بعد أيام سيُزفُّ إليها.

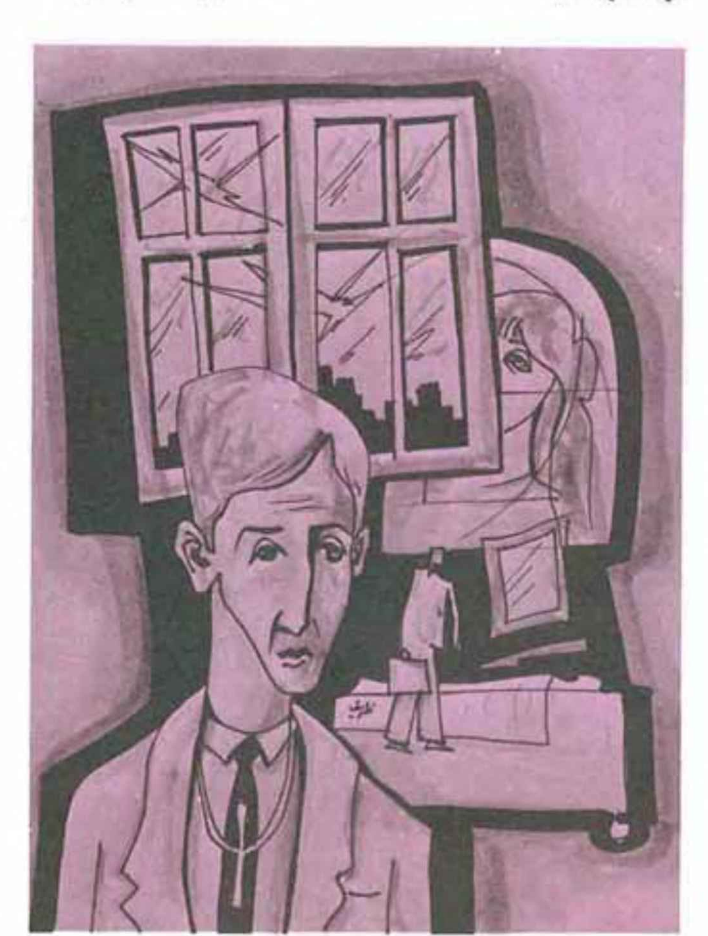
صوت «الترولي» يقترب من الحجرة محدثاً صوتاً بعجلاته الصدئة، يواصل تجهيز حقيبته، يتوقف صوت «الترولي» لينطلق صوت الحكيمة:

ــ دكتور أحمد... حالة مستعجلة.

يترك ما بيده، يفتح باب الحجرة، ينطلق لحجرة الفحص المجاورة.. تتبعه الحكيمة بجهاز قياس الضغط و«السماعة».

(٣)

الساعة تقترب من الثانية بعد منتصف الليل، يزداد المطر تدافعاً، تزمجر السماء.. يرتفع أنين المريض، الدكتور منهمك في فحص المريض، حالته سيئة للغاية، الرعب بكتنف الطبيب وهو ينصت لدقات قلب المريض.. صوت الرعد يفزعه، يحاول إنقاذ المريض.. تسوء حالته... يتوقف المطر، يخفت ضوء الحجرة.. تتوقف الأصوات.. يسقط رأس المريض على المنضدة.. ينطفئ نور الحجرة.. يبدو ضوء القمر خافتاً يرسل ضوءه «ليعزي» الطبيب.. لقد مات المريض.



(٤)

تعود الأنوار.. دمعة تترقرق في عيني الطبيب.. يتأمل في وجه الميت، كيف يموت الإنسان بعيداً عن أهله دون أن يحس به أو يودعه أحد وهم يتوقعون له الشفاء.. يمسك الطبيب بتذكرة المتوفى.. ولكنه مجهول الشخصية، يتجه بحديثه إلى الحكيمة:

ــ إذن فتشي عن بطاقة شخصية في جيبه.

تمد يدها.. تسقط حافظة نقوده، تسقط منها صورة تقع مقلوبة على الأرض. تنحني الحكيمة لتلتقط الصورة، تقلبها.. تتسمر وهي تحملق في الصورة..

ــ يا إلهي.. إنها هي.. إنني أعرفها.. لقد كان على سفر.. وهي «خطيبته».. وموعد الزفاف أول الشهر..

وهنا يستدرك الطبيب، ولكن أول الشهر.. كان بالأمس!!.

قصة قصيرة

بقلم: لي فوانتيان

ترجمها عن الفرنسية: ساسي حمام

فنادق البادية

تنحدر الشمس وراء الجبل. مسافة أخرى قطعت. بدأ المسافر يشعر بشيء من التعب بعد سفر طويل.

عندما تصل إلى قرية نائية ـ قرية لا تعرفها، ولكنك تشعر أنك قد زرتها مرات عديدة لشدة تشابهها مع القرى الأخرى ـ ترى الأبواب مغلقة أو شبه مغلقة، والعمال عائدين إلى منازلهم بخطوات وئيدة، يتبعهم كلب أو بقرة أو بعض الأغنام، النساء أمام الأبواب ينظرن في اتجاهات مختلفة، وينادين بأصوات رقيقة أحدهم للعشاء... يمكن أن تسمع باباً يغلق... «آه لو أستطيع أن أدخل منزلا من هذه المنازل وأصيب قليلاً من الراحة». لن تذهب بعيداً! تكتشف فندقاً ينتظرك على حافة الطريق أو في مفترق الطرق... ستقطع مسافة أخرى غداً، ولكن يمكنك أن ترى أحلاماً وردية هذه الليلة. العلامة الموجودة على الباب تجلب ـ أحببت أم كرهت ـ الدفء إلى قلب المسافر.

عندما يكون المرء في قرية نائية، تحت المطر وقطرات الندى فمن المفضل أن ينام باكراً. وعندما تهب الرياح بقوة ويتساقط الثلج بغزارة ويكون في أحد الفنادق يجب أن ينهض متأخراً.

تدخل فيرحب بك صاحب الفندق وزوجته، إنهما بسيطان وشديدان، وإن لطفهما ينسيك غربتك.

ربما تسقط بين يدي محتال فيوهمك أن القرية المقبلة بعيدة جداً، أو يطلب منك أجراً مرتفعاً مقابل خدماته، ومع ذلك فإن هذه الحيل لا تثيرك رغم أنك ترى فيها مكراً. ولكن هنا هل يوجد واحد غير ماكر وثقيل؟ هذا البوقال الذي يشبه القدر قد استعملته أجيال، وهذا البراد الكبير الأسود المصنوع من الفخار يحتوي على كمية كبيرة من الشاي تكفيك نصف يوم. ربما ظن بعضهم أنها قطعة أثرية. لا يمكن النظر إلا إلى كمية الغذاء وليس النوعية. يقول صاحب الفندق لكل مسافر: لقد قادك القدر إلى فندقي رغم المسافة الطويلة. يجب عليك أن تأكل حتى الشبع ليرتاح ضميري.

في مثل هذه الأمكنة، يندر أن يشعر الإنسان بالوحدة. فعندما لا يجيرك النوم تجد دائماً رفاقاً تتحدث إليهم لأن «كل الناس إخوة»... وتتعالى الضحكات.

«آه... أنت قادم من هناك... من جبال الشمال؟ نحن جيران إذن!».

هؤلاء أتوا من الجبال لبيع غلالهم وثمارهم. أولئك قطعوا النهر لبيع سمكهم، يجرُّون نقالات أو يحملون ألواحاً على أكتافهم. وهناك بائعي السياط والتحف المصنوعة من الصلصال والذين يبدّلون الوقيد بقطع من الخيوط المستعملة. في بعض الأحيان يكون ضمن النازلين مثقف عجوز يعمل طبيباً في الأرياف. كل هؤلاء اجتمعوا هناك صدفة، وشيئاً فشيئاً ترتبط أواصر الألفة بينهم فيصبحوا كأنهم ينتمون لعائلة واحدة. يتكلمون بصراحة ويظهرون دائماً نوايا طيبة تجاه بعضهم؛ يتحدثون كثيراً عن الأسباب الخفية التي جعلتهم يجتمعون في هذا المكان. يعتقدون أن الآلهة هي التي أرادت ذلك هذه الليلة. ستكون هذه العلاقات مفيدة بدون شك في أوقات الشدة!.

يشعل صاحب الفندق



الطيب بعض الحطب للتدفئة في فصل الشتاء، عندئذ يطيب الكلام لهؤلاء الغرباء حول النار وفي الهدوء عن كثير من الأشياء.

رغم أن وسائل النقل أصبحت ميسورة ومتوفرة في هذه القرى النائية فإن الجرائد والمجلات بقيت غير معروفة. ومع ذلك تصل بعض الأخبار عن طريق جرّاري العربات أو حاملي الألواح الذين يقطعون مسافات شاسعة، ويختلطون بكثير من الناس ويرون كثيراً من الأشياء:

أخبار عن انقلابات وقعت، وعن سرقات في بعض القرى. إنهم على علم بكل الأخبار. تنتشر هذه الأخبار بسرعة في القرية فيتناقلونها في الشارع ويضيفون إليها أحداثاً أخرى... بعض هذه الأخبار ليست جديدة. لقد وقعت منذ سنوات فبعثت بعد نسيان وفي غالب الأحيان تدور حول الأشباح والنساء والمشنوقات أو المغامرات العاطفية التي يقوم بها بائعو الخيول، أو راهبة بوذية انحرفت إلخ...

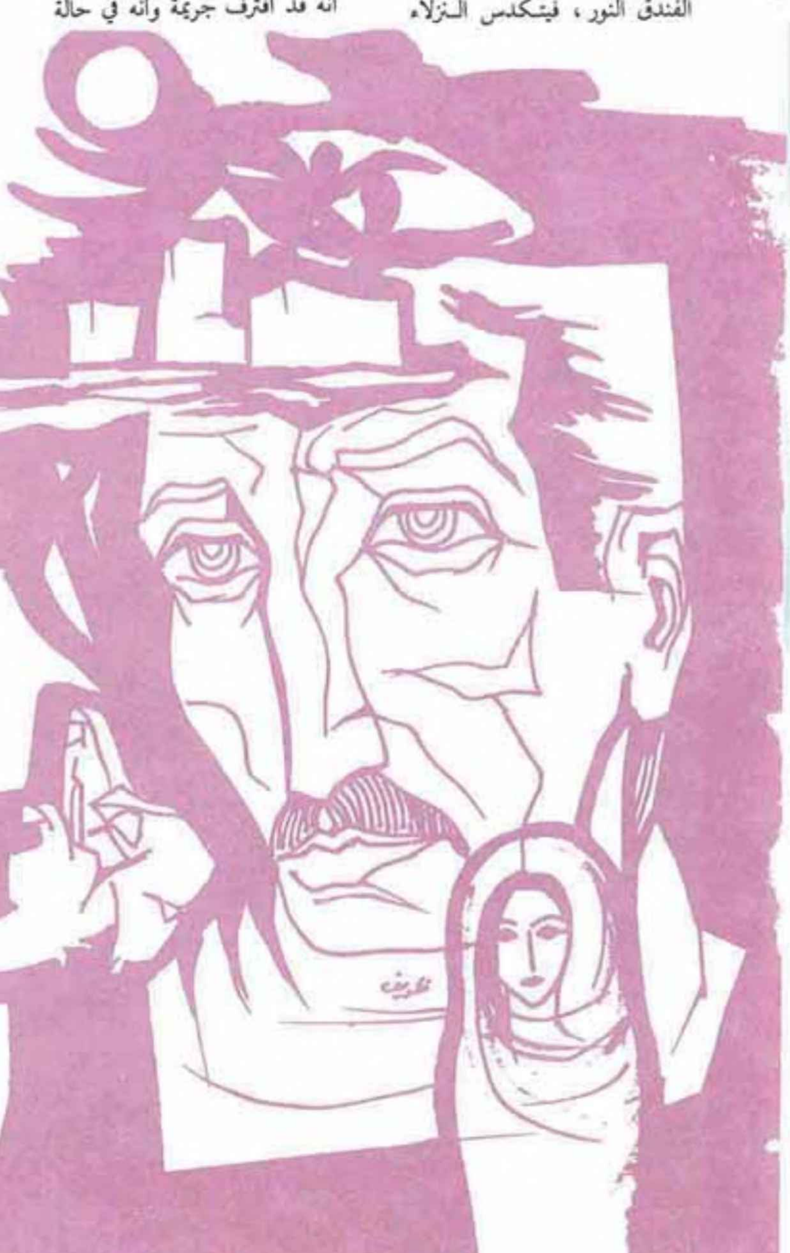
في مثل هذه الفنادق تبعث الحكايات القديمة... في بعض الأحيان يغني أحدهم أغنية جبلية أو أغنية من الشمال بلهجة الجنوب. يتحدث البعض كذلك



عن الوضع السياسي مثل مآسي الحروب ، ولكن يبقى الحديث سطحياً . وأخيراً يطفىءُ صاحب الفندق النور ، فيتكدس النزلاء على سرير كبير وينامون ، ويواصل بعض المسافرين أحاديثهم الشخصية : شاب يعترف لأقرانه أنه قد اقترف جريمة وأنه في حالة فرار منذ سنوات ! يقول الآخر : وأنا أبحث عن زوجتي التي تركتني وحيداً ومن أجلها أقوم بهذه التجارة الصغيرة . . . ويتواصل الحديث بينهما طويلاً ويصبحان صديقين . . . وإذا بـ . . . .

صياح الديك يستنهض الفندق في ضوء القمر وفي الثلج على ألواح الجسر الصغير آثار أقدام تدعو المسافر .

تتعالى النداءات وتسمع أصوات التثاؤب ووقع سنابك الخيل . . . في هذه الساعة يكون صاحب الفندق أكثر حركة . . . يحيي كل زبون ويسأله عن بقية النقود اللازمة لمواصلة السفر . ويذكره بحاجياته ، ويطلب منه أن يمكث لتناول طعام الغداء قبل الرحيل إذا كان غير مستعجل . يخرج كل المسافرين ويأخذ كل واحد اتجاهه الخاص (متى نتقابل ؟ من يعلم ؟ لا أحد متأكد من ذلك !) . تطلق الزفرات ، البعض يردد : حياة قذرة . اجتمعنا وافترقنا . . . ربما للأبد ! لقد تفاهمنا جيداً ! . . .



في الحقيقة وفي مثل هذه الظروف من الصعب حتى على المتعودين على السفر أن لا يشعروا بالحزن . ولكن المؤثر هو هذه العلامات والخطوط والحروف المنقوشة على الجدران أو على قطعة من القرميد : (أحدهم من قرية كذا في مقاطعة كذا قضى ليلة هنا) . نجد كذلك بعض الأبيات الشعرية المنقوشة لشعراء مجهولين تعارفوا هنا صدفة فكتبوها في لحظة انفعال بعد أن نسوا كل شيء وتذكروا كل شيء . عند قراءة هذه الأبيات التي تفصح عن مشاعر حقيقية صادقة يشعر المرء بتأثر لا يوصف . تقول أغنية قديمة :

إن تقابلنا يوماً
وكنت في عربة وكنت
ألبس مظلة من ورق الخيزران
ترجل لتحييني
وإن تقابلنا يوماً
وكنت تحمل مطرية
وكنت أمتطي صهوة جواد
انزل لأحييك .

---

* الأبيات الشعرية الواردة في هذه القصة من قصيدة بعنوان (السفر صباحاً في جبل سانقسان) ، للشاعر و . ن . ثيتفجون (٨١٢ ــ ٨٦٦م تقريباً) . المؤلف .

قصص



المـرآة

كانت الفتاة الصغيرة سريعة الغضب ، وكانت أمها تحاول دون جدوى أن تجعلها تفهم خطورة ومخاطر هذا العيب .

وذات يوم ، كانت الفتاة تجلس أمام مكتبها الذي وضعت عليه مزهرية زهور جميلة . . اقترب أخوها الأصغر بطريقة هوجاء ، فقلب المزهرية التي تحطمت إلى ألف قطعة .

وهكذا غرقت الفتاة الصغيرة في غضب أسود ، خرجت عيناها من رأسها ونفرت عروق جبهتها حتى كادت أن تنفجر ، ففقدت صوابها .

اقتربت الأم منها ، دون أن تقول شيئاً ، ووضعت مرآة أسفل عينيها . لمحت الفتاة الصغيرة وجهها المكدر والمشوش بالكامل ، فانفجرت منتحبة .

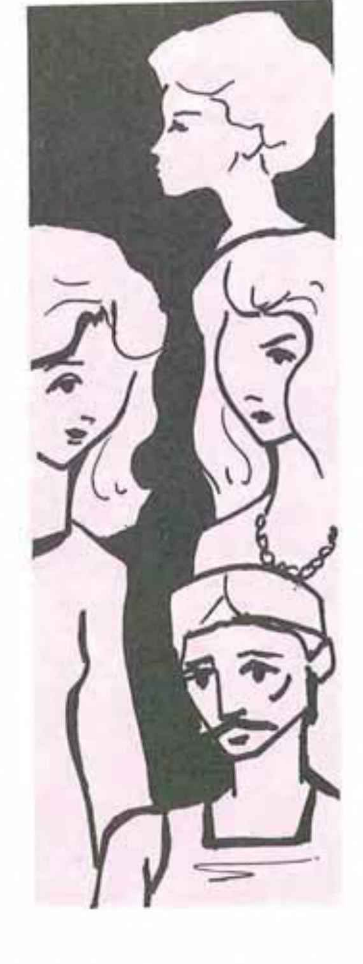
قالت الأم :

«لعلك رأيت في النهاية ، يا طفلتي المسكينة ، قبح الغضب كله ، ويمكنك أن تدركي ، من تشوه وجهك ، تشوه نفسك» .

أبدت الفتاة الصغيرة رغبتها في أن تحسن من حالها ، وبفضل محاولاتها المستمرة استعادت دماثة الطابع وسحر وجهها الشاب .

فقد كانت أمها دائماً ما تقول لها : **«تذكري يا ابنتي أن الوجه هو مرآة النفس ، تشوهه الرذيلة وتجمله الفضيلة» .**

* * *



العقد

اتجهت إحدى السيدات النبيلات بسيارتها مع اثنتين من بناتها إلى أحد قصور الأمراء المقامة في عمق الغابات . فقد كن مدعوات في حفل عرس وكن بطبيعة الحال في أبهى ثيابهن ، تتحلين بالأحجار الكريمة واللآلئ .

عند مدخل الغابة ، لمست عربتهن الشجيرات عن قرب ، حتى شبك فرع مدبب بشعر إحدى الفتاتين ونزع عقد اللؤلؤ الذي كان يزينه .

وما إن رأت الأم هذا المشهد ، حتى أطلقت صيحة مروعة ، جعلت الحوذي يوقف العربة ويهرول خارج كابينته ليساعد السيدات في البحث عن اللآلئ .

كان الأمر يحتاج لأكثر من ساعة حتى يتم البحث ، وكانت الفتاتان حزينتين ، وهما تفكران في تأخرهما عن موعد الحفل ، ولكنهما توقفتا عن الصعود إلى العربة عندما أشار لهما بالتوقف ، حطاب كان قد تقطعت أنفاسه وتمكن بصعوبة بالغة من الكلام .

قال الحطاب في النهاية :

«سيداتي ، حمداً لله على الحادث الذي اعترضكن . فبفضله ، وصلت في الوقت المناسب لكي أبلغكن أمر قطاع الطرق الذين يتربصون بكن في الغابة لسرقتكن ، فما إن فوجئت بسرهم ، حتى هرعت

بقلم: شانون شمايد
ترجمة: خديجة سليمان

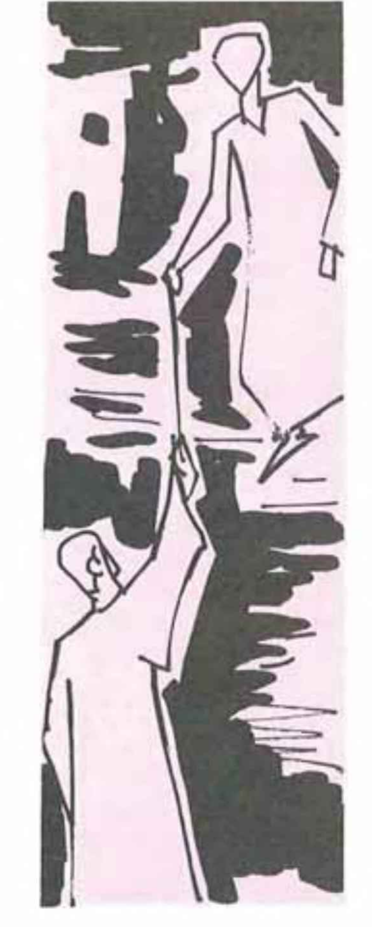
قصص للأطفال

لمقابلتكن، ولكن كان عليّ القيام بمناورة كبيرة لكي أصل إلى هنا، ذلك أن كل ركن في الغابة محاصر بقُطّاع الطرق. وبغير توقفكن الاضطراري كنت سأصل متأخراً جداً، وكانت ستنهب مجوهراتكن وربما تم قتلكن أيضاً».

شكرت السيدة الرجل الشجاع، ومنحته مكافأة كبيرة. وبعد أن أمرت الحوذي بالعودة، قالت لابنتيها:

«انظرا كيف يدبر الله كل الأمور. فقد كانت حياتنا معلقة بالعقد الذي كان يحمل لآلئكما. وكانت ستسلب مع المجوهرات في الوقت نفسه. إن الحادث الذي تسبب في الكثير من حزنكما كان فيه سلامتنا. اعترفا إذن بأن الحوادث التي تزعجنا تؤكد هي أيضاً، إذا استطعنا أن نفهمها، فضل الله علينا جميعاً».

* * *



الوتر

عثر اثنان من المتسولين في طريقهما على وتر قديم، أراد كل منهما أن يحتفظ به لنفسه. فنشأت بينهما مشاجرة مصحوبة بالصياح والصراخ. أمسك أحدهما بطرف الوتر وأمسك الثاني بالطرف الآخر، وأخذ كل منهما يجذبه بكلتا يديه حتى يناله، وفجأة قطع الوتر، وغرق المتعاركان في الوحل.

توقف أحد العابرين على هذا الضجيج، وقال لهما، وهو يضحك ساخراً من خيبة أملهما:

«هكذا تنتهي المعارك عامة، يتم التراجع بعد أن يغطي الجميع بالخزي والهوان، تماماً كما يغطيكما الوحل في هذه اللحظة».

* * *

السلسلة

كان صبياً من الأشقياء، بل كان لصاً أيضاً، لأنه إذا لم يختلس علناً، استولى على كل ما يجده، حتى لو عرف من هو صاحب الشيء.

ذات صباح، وهو يمر أمام مصنع حديد، لمح سلسلة جميلة على الرصيف، ليس ببعيد من الباب. وبعد أن تأكد بنظرة خفية من ان أحداً لا يراه، استولى على السلسلة ولكنه سرعان ما ألق بها وهو يطلق صرخة ألم.

فقال له الحداد، الذي اقترب منه مسرعاً:

«خير ما حدث، فقد وضعت هذه السلسلة المتوهجة بحرارة النار، على الرصيف لكي تبرد.

وأردت أنت أن تسرقها فأصابتك حروق بالغة، وهكذا عوقبت تماماً. فإذا أردت ألا تصاب بما هو أخطر من ذلك، عليك أن تتجنب لمس ما يخص الآخرين مثلما حاولت أن تتجنب دون جدوى لمس الحديد المتوهج».

* * *

قصة قصيرة

بقلم : زياد كمال حمامي

صراخ العاصفة




وثب الصبح على كبد ليل هزيم ، وبان ضوؤه الزائر في مخيمي النازحين . فعمت الحركة الدائبة جميع الممرات والبيوت المتهدمة ، وتهافت العمال لإصلاح ما خربته العيون الجاحظة المتفجرة بالهلاك .

ـ هل بإمكان الأماني أن تزرع زهرة ، أو أن تقطع شجرة ، أو أن تحمل بندقية تخيف بها العصافير ... ؟؟ .

هكذا تساءل ، وهو يجلس على كرسي خيزراني أمام مخزنه في تلك الساعة المبكرة ، وعلى الشارع الرئيسي أطل وشاح الشمس الدافئ . فتمدد قليلاً ... واستسلم لغرامها ومداعبتها .. راح يغط في صمت طويل ، وما هي إلا لحظات ، حتى بدأ خياله الخصب يستعيد الماضي بشكل عفوي ، ولكن الصور الماضية لا ترتبط مع بعضها ، ولهذا تراه يصدر الآهات الجريحة كأنها أغنية نهاوندية ، ولا تخفي نظراته الحزينة التي يلقيها تباعاً على جسد مخزنه المشاد على حافة **مخيم شاتيلا الجنوبي** ... ورود جميلة تزين **الحي الفلسطيني** ... باقات هندسية رائعة مصنفة حسب درجاتها وأسعارها ، وشلال من دمع العيون الغاضبة ينصب على حوض آدمي ممزق يضفي على هيكل المحل جمالا أخاذاً ، ورمزاً حضارياً للحب والسلام ، والموت .

كيف له أن لا يحس ؟ وأن لا يفكر ؟ وهل السكوت الذي يحدثه الملل كالسكوت الذي يوجده الألم ؟ يا لعجب ما يرى ... !؟ ، طائرتان إسرائيليتان تحلقان فوق المخيم ...

تقذفان انتباهه من عل ... لا بد أن ما يحدث شيء غير عادي ؟ ينظر بشكل دائري حول حدود المنطقة المرئية .. يرى جنوداً يتخذون مواقعهم خارج المخيم ... يحس بحركة غير عادية .. أناس يتسللون كالأشباح إلى الداخل .. يلمح أحجام الأسلحة الطودوية التي تجرها الشاحنات العسكرية ..

سيارات ضخمة تنقل أعداداً من المظليين ... تأكد من أن القافلة إسرائيلية عندما تكلم أحد السائقين باللغة العبرية مع سائق آخر ، وكانت القافلة تمرق من أمامه .. لحظتها علم أن عملية حصار كاملة تجري الآن ..

تساءل .. والتساؤل بداية الوصول إلى معرفة الحقيقة .. **أتتكرر مجازر دير ياسين ، كفر قاسم ، اللد والرملة ؟؟ .**

عاد بذاكرته إلى الماضي . إلى القرية الهادئة .. انتبه واصطفى من خيال الصور تلك المجزرة الرهيبة بجزئياتها .. شيئاً .. فشيئاً .. يتذكرون الحادثة .. ينتقل من الحاضر إلى الماضي .. تتضخم الذاكرة .. تصل إلى أعلى درجاتها .. يصبح الماضي حاضراً .. تتكون أمامه الذكريات كأنه يراها في الواقع .. نفسه حاضرة في عملياتها ... يسترجع صور الأشخاص الذين اشتركوا في المجزرة ، وحركاتهم ، وانفعالاتهم الحيوانية : .... كان الوقت مساء . حينا فوجئ بنداءات تدعو الأهالي في **قرية دير ياسين** لإخلائها بسرعة ، لم تكن عائلة (**أبو القاسم**) نائمة في ذلك اليوم ، بل كانت تنتظر مولوداً جديداً ، وكان الارتباك في المنزل متصاعداً ، والولادة عسيرة ، ولما سمع هذه النداءات هب مع السكان الذين تدافعوا يستطلعون الخبر . فإذا هم محاطون من جميع الجهات بالعصابات الصهيونية التي اغتنمت هذا الفزع وما نتج عنه من فوضى .. حاول الإسراع في الدخول إلى المنزل واستخراج بندقيته ، ولكنهم كانوا أسرع منه .. دخلوا بيته .. ضربوه بأخمص بنادقهم .. بأيديهم .. بأرجلهم .. ارتمى على الأرض والجروح تنزف .. وجه أحدهم رأس الحربة إلى بطن الزوجة .. صرخت .. كم فمها بالغطاء الصوفي المعد للوليد وأجهز عليها .. حاول النهوض على الرغم من الجراح العميقة .. تحرك ببطء محاولا المقاومة ولكن ماذا يفعل عصفور في القفص عندما يتلقى ضربات متتالية ، وطعنات ... وإهانة ؟؟

جسده أصبح كقطعة جامدة لا حركة فيها إلا أن الروح ما زالت تشاهد وتتألم لهذا الموقف .. الرهيب .. (سلمى) يلاحقها كلب .. تقاوم .. تدافع عن عذريتها .. لحظات .. والفريسة تلقى على كبد الأرض وخمسة ذئاب تدنسها .. أما (مروة) فقد حاصرها عشرة يداعبونها بلغتهم .. يمزقون ثيابها ..

يتدافعونها .. يضربونها .. يتلذذون بتعذيبها ... !؟ الضحية تحاول الهرب ، لكن الأبواب مزروعة بالبنادق والخناجر .. والمتوحشين .. الأبواب موصدة .. إلا من ذل وعار !؟؟

صور متتالية تمر بسرعة ،

ويطأطئ رأسه خشية أن يتصدع، وفجأة تنفجر قنبلة في الجانب المقابل للمخزن.. تنسف الأرض.. يرتعش خوفاً.. ينقطع شريط الذكريات.. ينتقل من الماضي إلى ساحة الشعور الواضح... يصرخ كصوت عاصفة هوجاء:

ـ المجزرة تتكرر.. القتلة.. القتلة !!

يركض مسرعاً دون أن يغلق أبواب مخزنه، ويكرر بأعلى صوته تلك الكلمات.. يسمعه الناس.. لا يفهمون ما يقصد.. يبادر تابعه (**مصطفى**) إلى فتح الصندوق المالي ويأخذ ما فيه من أموال، ويهم مسرعاً بإغلاق باب المخزن دون أن يقفله.. يركض.. يحاول الوصول إلى معلمه.. أبو القاسم يتابع صراخه.. يدركه مصطفى.. يسير بخطوات واسعة بالقرب من المعلم.. يقول له:

ـ علينا أن ننقذ الأسرة.

ـ اذهب إليهم.. اذهب.

ـ وأنت.

ـ سأبلغ أهلنا في صبرا.. هيا انطلق.. هيا.

يهرول (مصطفى) عبر الأزقة الضيقة، بينما يقف المعلم أمام منزل قرميدي، وكان يلتف حول بابه «التنكي» عدة عمال يقومون بأعمال التصليح فيه من جراء القصف الإسرائيلي أيام الحصار.. يحذرهم:

ـ أسرعوا بعمل أي شيء.. إسرائيل تطوق المخيم.. إنها تعد لأمر خطير.

نظروا إليه ملياً. فأيقن أنهم سمعوا كلامه جيداً، ولكن على ما يبدو لم يأخذوا الأمر بشكل جدي، أيا ترى هدنة الحصار جعلتهم لا يتوقعون أمراً كهذا؟؟ أم أنهم ظنوه مخبولا؟ ولهذا ضحك واحد منهم بسخرية!! بينما تابع الآخرون أعمالهم في ترميم البيت التنكي الذي خربته قذائف الطائرات الأميركية، إلا أن شاباً لم يبلغ السابعة عشرة من عمره بعد، قفز كالنمر من ارتفاع غير عال، واقترب من أبو القاسم قائلاً:

ـ أين هم؟.

ـ منذ الظهيرة وهم يسيطرون على كل مداخل ومخارج المخيمين.

ـ وما جنسيتهم؟.

ـ إسرائيلية.

ـ يا رباه... ماذا أفعل؟ ليس في البيت أحد.

ـ ما بك؟.

ـ أمي تتألم من الولادة، ووالدي رحَلوه.

احتارا معاً، تفرسا بعضهما.. صمت.. تفكير.. ترقب.. وبسرعة العاصفة التي ليس بيدها أن تهب أو لا تهب، هرع الاثنان نحو **مستشفى غزة** الواقع بين شاتيلا وصبرا.. وصلا بعد وقت قصير.. طلبا نجدة.. تطوعت امرأة أجنبية للقيام بالعمل وحملت حقيبتها الطبية، وأسرعت إلى منزل الأم التي تعاني آلام المخاض، وعندما وصلوا لم تكن روحها قد صعدت إلى السماء. فطلبت ملكة الرحمة وعاء ماء حار... بحث أحمد عن صنبور فيه حياة، ولكن ماذا يفعل؟ ويد السلطان مسيطرة على نبع الخصب والنور، والنار تحرق الأجيال، وأجير السلطان يضحك بصوت عال وهو يذبح القضية.

ـ ليتني أنا الضحية.. ليتني.

هكذا تمنى **أحمد** وصرخ، وانهمرت الدموع تغسل وجهه الحنطي.. لحظات من الانتظار طويلة حتى أن أبا القاسم نسي عملية التطويق، كما تناساها غيره، وكأن حياة هذه الأم هي الأهم، ولكنه عندما شعر بأن العملية مستعصية، وبأن قشعريرة تهز كيانه كرعشة الألم، أحس بعمق المأساة، وأسرع إلى المستشفى محاولا الاتيان بسيارة إسعاف، ولكنه عندما وصل كانت أول موجة من الناس الهاربين قد دخلت بعده مباشرة إلى بهو المستشفى للاحتماء به.. يدهش.. الظنون أصبحت حقيقة.. وجوه هستيرية.. رعب.. صراخ، وفجأة تصل امرأة مسرعة قادمة من المدخل الجنوبي للمخيم، وشعرها مبعثر، وتصرخ بأعلى صوتها:

ـ إنهم يقتلون كل شيء.. إنهم يقطعون الرؤوس والأطراف.

يختلط الحابل بالنابل.. أبو القاسم يطلب إسعاف، أم تجهض، وسيدة تطلب نجدة لإنقاذ أطفالها، ورجل فقد رشده، وخلع أسماله وبدا كما ولدته أمه، ويرقص ألماً.. ركض.. ركض.. ركض.. ركض.. توارى عن الأنظار.. صوت طلقات نارية يسمعها الهاربون. ثم هدوء. فصمت.. برهة.. وبدأ الجميع يتحاورون عما سيفعلونه، قرروا أن يذهب عدة رجال ونساء إلى المواقع الإسرائيلية، ليشرحوا لهم ماذا يجري داخل المخيم، وقبل أن يذهبوا انضم إليهم عدة أطباء وممرضين، رفعوا الرايات البيض وساروا إلى أحد الأماكن التي تتمركز فيها القوات الغازية، ولكنهم تأخروا في العودة، حتى أن أبا القاسم لم يستطع الانتظار مع عشرات من الهاربين، وبينما الكثيرون يهربون كان يركض بخطوة طويلة، وأخرى قصيرة، ولا تخفى عرجته على أحد، ويستند بعكازته تارة، ويضع إحدى يديه على خاصرته تارة أخرى، ويلهث، ثم يقف صارخاً بالهاربين في غضب ظاهر، ولكنهم لا يبالون، يلتفت يميناً ويساراً، فيرى حوالي خمسة صبيان صغار يحملون «الكلاشينكوفات» وقد جلسوا على درجات المستشفى يفكرون

بالمصير رغم حداثة عمرهم ، يقترب منهم العجوز قائلاً :

ـ المجزرة تتكرر .. القتلة .. القتلة .. قاوموهم !! .

يرد عليه أحدهم :

ـ لا بد أن نستشهد هذه الليلة .

ويقول أكبرهم :

ـ هيا لنقتحم ذاك الحاجز (أشار بسبابته) ونحاول أن نفتح لأهلنا طريقاً للنجاة .

وبسرعة مذهلة ، تحركت المجموعة الفتية باتجاه الهدف ، بينا خطا العجوز في الاتجاه الآخر ، متوجهاً إلى منزل أم أحمد ، بدون سيارة إسعاف ، ولكنه أخذ حقيبة رسم عليها هلال أحمر ، قال في نفسه محدثها :

ـ لا بد أن يكون فيها ما يفيد .

وفي الطريق ، راعه ما رأى !؟ لم يدهشه منظر البيوت المنسوفة بالديناميت ، ولا صناديق الذخيرة الملقاة على قارعة الطريق ، ولا سحب الذباب التي تحوم حول الركام ، والجثث « يا رب » هكذا هتف من أعماق قلبه ، عندما رأى مجموعة من البشر قد تشابكت أياديهم وسيقانهم بعد أن لاقوا الموت بإطلاق النار على رؤوسهم وأصداغهم من مسافة قريبة ، وقد مزق الرصاص بشرة وجوههم قبل أن يتفتت الدماغ .. علامات غائرة ذات لون قرمزي تدخل الرعب في قلبه ، يشعر بارتجاف .. منظر رهيب .. لا يتمالك نفسه .. تحدثه روحه :

ـ اهرب .. هل ترمي بنفسك إلى الهلاك ؟ .

ولكن عقله يرد :

ـ وماذا بقي من العمر .. ميتة كريمة خير من احتضار لئيم .

قبض على حقيبة الإسعاف بيد ، واستند على عكازه باليد الأخرى ... شعر بحرارة غير إرادية تسري في عروقه ، كالدورة الدموية ، وشعر أيضاً بأن خديه الصفراوين يلتهبان من جراء هذه الأحداث ، وظن أنه عاد شاباً ، ولهذا حاول الإسراع لكي ينقذ أم أحمد ، وفجأة ، يسمع صوتاً ينادي :

ـ ذاك رجل عجوز .

وآخر يرد عليه :

ـ اذبحوه .

عندما سمع هذه المحادثة ، احتمى فوراً بأحد البيوت المهدومة ، وما إن دخل وسط الحطام حتى وجد جثث عدة



نساء وأطفال قد ذبحوا في أطراف البيت ، وعلى ما يبدو أنه بيتهم ، واحدة منهن كانت ملقاة على ظهرها ، وقد مزقت ملابسها ، وظهر رأس طفلة صغيرة من ورائها .. الطفلة ذات شعر قصير داكن مجدول .. وعيناها جاحظتان ، ونظرة عبوس تعلو محياها كأنها فلة قد لطخ الدم فستانها الأبيض .. ارتعش .. غاب عن الوعي قليلاً .. تشخصت عيناه .. حرك يديه المرتجفتين بصورة هستيرية ، فوقع صندوق الإسعاف ، والعكازة ، وخبأ عينيه عن المنظر الرهيب وأسند رأسه على حائط فتحت الرصاصات فيه تجاويفها ، فزاده رعباً وارتجافاً ، وما إن سمع أصوات أقدام القتلة الباحثين عن ضحايا ، حتى أيقن أن هذا اليوم هو آخر يوم في عمره ، ولكن كيف يموت بثمن بخس ؟؟ فعقد حاجبيه وانثنت تجاعيده ، وحمل صندوق الإسعاف ، واتكأ على عكازه ، ومشى ببطء ، وفي أحد الأماكن رأى بعض القتلة يجلس القرفصاء بقرب كومة من الضحايا يفتش في جيوبهم عن أموال فيها ، ويسلب من النساء المقتولات حليهن ، وقد استعصى عليه أخذ خاتم ذهبي من اليد اليمنى لفتاة مخطوبة . فقطع الإصبع وهمَّ بأخذ المحبس ، ولكن « أبو القاسم » اقترب منه رويداً رويداً ، وفجأة أصبحت العكازة مطرقة فولاذية هوت على رأس المجرم ، وقبل أن يصرخ كم العجوز فمه ، ووضع طرف العكازة الدائري على رقبته ، وضغط بشدة وقوة أكثر .. فأكثر .. المجرم فقد الروح ، ولكن العجوز لا يزال يضغط والعرق يتصبب من جبينه كأنها قطرات غفران أو انتقام مقدس .. وقبل أن يهمّ بالذهاب الخفي ، أخذ أسلحة الجندي الغازي ، ووضع في كل جيب من سرواله تفاحة مبرقعة بالمستطيلات قابلة للانفجار . صحيح أنه لا يعرف كيف تستعمل هذه الأدوات ، لكنه أخذها ، وتسلق حائط البيت المنخفض ، وما إن وضع قدماه على الأرض حتى تلمس صفاً من الشباب والأولاد قد امتدت جثثهم على أطراف الجدار ، وعندما نظر إليهم أيقن بأن الضحايا أطلقت عليهم النار من الخلف في عملية إعدام جماعية . فسقطوا على الأرض بشكل يدعو للرهبة والحزن معاً .

لم يعد يكترث لهذه الصور البشعة ، وأصبح همه الوصول إلى الدار ، وإنقاذ أم أحمد ، ولما وصل وجدها مقطعة كخريطة أمة ممزقة ، وعلى شمال صدرها فتحت نافذة مطلة على جدار الزمن ، والشوارع موحلة بالمجازر والدم ، والتاريخ يشتعل بلا ثمن . فقد أجهزت عليه عصابة السلطان ، وهناك .. هناك خلف الأفق عسكر أحمد ومعه أشبال من اليتامى ينتظرون بزوغ الشمس .



الحمام الزاجل

بقلم: محمد عطا

إن تراثنا العربي سخي بذكر الحمام، أنواعه وأشكاله، وعجائبه، وأفراخه وأصله، وهديله، ونوادره، وحكاياته، وطرق العلاج بدمائه.. وغير ذلك مما حفلت به كتب التراث للدميري في (حياة الحيوان الكبرى) وابن قتيبة في (عيون الأخبار) والجاحظ في (الحيوان) وما ذكر في هامشه أن المثنى بن زهير كان أخبر الناس بالحمام.

وذكر ابن إياس، أن الملك المظفر حاجي كان مولعاً بلعب الحمام، فخرج بذلك عن الحد. وذكر على لسان الشيخ شهاب الدين (وقد اشتغل بلعب الطيور، عن تدبير الأمور، والتهى عن أمر الأحكام، بالنظر إلى الحمام، فجعل السطح داره، والشمس سراجه والبرج مناره..)[1].

وحمام الحمى غني عن التعريف لما يتمتع به من حب وتقدير بين المسلمين، ينبع من كونه في حمى الحرم النبوي الشريف، ولما كان المجال يضيق عن ذكر الكثير مما يتعلق بالحمام. فسنقتصر على الحمام الزاجل، الذي يتفوق على غيره من الحمائم بالقدرة الفائقة على عودته إلى موطنه وإن طالت المسافة وبعدت الشقة. وهذا الذي جعل الناس تستخدمه منذ عدة قرون في حمل الرسائل.

وقد استخدم المصريون القدماء الحمام الزاجل في هذا الغرض سنة ١٢٠٠ ق. م. أو في زمن سابق لهذا[2].

مدخل تاريخي

وقيل إن أول من استعمل الحمام الزاجل هو رجل من **جزيرة أوجين** (من جزر اليونان) أتى في سنة ٧٧٦ ق. م. إلى **أثينا** ليحضر الألعاب الأولمبية، واستحضر معه حمامة كانت عنده أخذها من بين أفراخها. فلما برز في هذه الألعاب أرسل الحمامة فلحقت إلى عشها، وبع قدومها علم أهل الرجل بنجاحه في مأموريته. ومن ثم استعمله **اليونانيون والرومان والعرب والمصريون** في مراسلاتهم[3]. ومن ذلك يتضح لنا أن استخدام الحمام الزاجل وسيلة للتراسل كان معروفاً قبل المسيحية، ففي الألعاب الأولمبية اليونانية، وفي أيام سباق العجلات الرومانية، كان بعض اللاعبين يأخذون معهم الحمام الزاجل إلى الملاعب. فإذا أصاب أحدهم الفوز، شدّ إلى عنق الحمامة قطعة من القماش بلون الفريق الفائز، أو بقطعة من بدلته الرياضية، وأطلقها فتبلغ برجها في نفس اليوم، ويعرف أهله وذووه أنه فاز في المباريات[4].

وبعض المؤرخين يتعدى هذا الزمن إلى ما قبل **هوميروس**، فيخبرنا أن الحمام الزاجل قد



استخدم في **حرب طروادة**[٥]. وقد عُني العالم المعروف **تشارلز دارون** بدراسة أنسال الحمام الداجنة وتبايناته وأصله، وقام بعقد مقارنة بين الحمام الزاجل **Carrier Pigeon** الإنجليزي، وبين الحمام القلب قصير الوجه **Tumbler** (يسمى الشقلباظ أو البهلوان) وقد تبين لدارون أنه مع تعدد الفروق بينهما سواء أكان في المنقار أم الجمجمة فإنهما من نتاج واحد وهو الحمام الصخري..[٦].

وقد ذكر أن تاريخ الحمام يرجع إلى زمن الأسرة الخامسة من أسر قدماء المصريين أي منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة ق. م. كما أخبر مستر **«بيرش»** أن الحمام قد ورد ذكره في تاريخ الأسرة التي قبلها. ولقد درج ذكره في تاريخ الرومان وله عندهم قيمة كبيرة على ما يقول **«بلينوس»** ـ ولقد أتوا إلى تلك المفازة ليحصوا ذراريها وفصائلها عدًا ـ.

وكان له شأن كبير عند أكبر خان في **بلاد الهند** عام ١٦٠٠م، وكان يصاحب حاشيته أبداً ما لا يقل عن العشرين ألف حمامة ويقول في ذلك مؤرخ بيته الملكي (ولقد أرسل إليه **ملوك إيران وطهران** بعض أنواع من الحمام النادر، فعمل جلالته على تحسين صفاتها وتهذيبها تهذيباً كبيراً بفضل تهجينها الأمر الذي لم يجرّبه غيره قبل هذا الزمان)[٧].

وتصل أنواع الحمام إلى أكثر من خمسمائة نوع، إلا أن الزاجل أو حمام الرسائل Homing Pigeon يمتاز عنهم جميعاً بحدة الذكاء والمقدرة الفائقة على الطيران والغريزة القوية في الاهتداء إلى موطنه. وهو طائر يتبع **الفصيلة الكولمبية** Columbidae ولفظة Columba في اللغة اللاتينية تعني حمامة، ويكثر في المناطق المعتدلة والحارة. والحمام الأليف مستأنس أصلاً من حمام الصخور Rock Pigeon واسمه العلمي Columbida Livia[٨].

والحمام الزاجل ينقل الرسائل ويعود إلى موطنه مهما بعدت المسافة، **ويطير مسافة ١٠٠٠ كم بدون انقطاع وبسرعة كيلومتر في الدقيقة**، ويزن ١,٥ رطلاً، ومنقاره عريض مغطى بثنيات، وجسمه قوي ممتلئ، ولونه أزرق أو بني أو أبيض، والجناح والأكتاف فاسخة وطرفها مخطط باللون الأسود، ويعطي سنوياً ٩



أزواج من الزغاليل، بوزن الزوج ١,١٥ إلى رطلين[٩].

ولدى هواة الحمام الزاجل مقاييس معينة، تميزه عن باقي الحمام منها أن جسمه يأخذ شكل القارب، وريش الصدر والأجنحة غزير كثيف، وريشة الجناح عريضة ومتلاحمة مع باقي ريش الجناح. وإنسان العين تحيط به دائرة حمراء، وجفن أبيض، وتلعب قوانين الوراثة، وطريقة الانتخاب الذاتي، وأحياناً التهجين دوراً كبيراً في الحصول على سلالة قوية ممتازة.

لغز معرفة الطريق

كيف يعرف الحمام الزاجل طريقه؟:

لا زالت هذه الظاهرة محيرة للعلماء، ولا زالت تطرح علامات الاستفهام ويبقى السؤال ما بقي الحمام وغيره من الطيور تحلق وتطير، وتهاجر من مكان إلى مكان، قاطعة مئات الأميال. ومن أهم ما قيل في أسباب ذلك:

★ **حاسة البصر القوية**: يمتاز الحمام الزاجل بحاسة بصر قوية أثناء النهار ويفقد الرؤية في حالة وجود ضباب أو عندما يرخي الليل سدوله، ومن ثم يضطر إلى الوقوف فوق شجرة حتى يتبلج نور الصباح فيستعد للطيران..

★ **إدراك الاتجاه**: يرى بعض العلماء أن الطيور تهاجر في طريق واحد منذ آلاف السنين، والحمام الزاجل يدرب للعودة إلى موطنه من المتجه نفسه الذي يبدأ منه رحلته فيما بعد..

★ **معرفة طبوغرافية الأرض**: معرفة الحمام للاتجاه تتم عن طريق تأثره بخطوط القوى المغناطيسية التي تمتد من القطب الشمالي المغناطيسي إلى القطب الجنوبي المغناطيسي.. وهكذا تستطيع الحمامة توجيه نفسها بنفسها.. فتصل إلى موطنها..

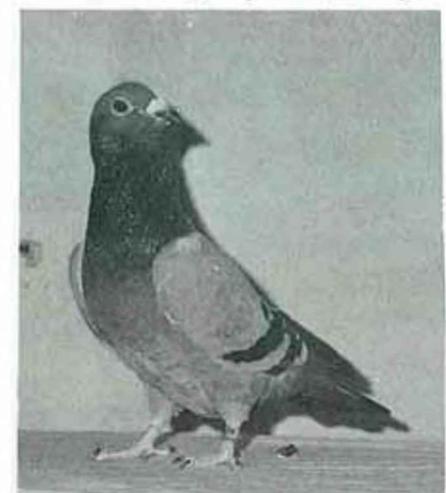
★ **معرفة الوقت وتحديد الزمن**: لكن الأبحاث الجارية أثبتت عدم وجود بوصلة مغناطيسية في رأس الطيور، لذا اعتقد بعض الناس أن الشمس هي التي توجه الحمام الزاجل وغيره لمعرفة الاتجاه، طالما أنها تفقد طريقها ليلاً، فهذا يعني أنها تعرف الوقت أثناء النهار.

ومع كل الفروض السابق طرحها، يظل السؤال السابق مطروحاً في ساحة العلم، ويظل سرًّا خافياً يحاول العلم أن يزيل غموضه بتجاربه واكتشافاته[١٠].

العرب.. والحمام الزاجل

ذكر المؤرخون أن العرب استخدموا الحمام الزاجل أثناء الفتوحات العظيمة التي امتدت من **خراسان** إلى **المغرب** وحتى **الأندلس**.. وقد

★ زاجل / إنجليزي أزرق، يطلق عليه «زجاجي» نسبة إلى لونه: وفي مصر يسمى الحمام الزاجل «رماية».. أما الإنجليز فيسمونه Homing pigeon أو Carrier pigeon ★



★ حمامة القلب أو «الشقلباظ» أو البهلوان وذلك بسبب تشقلبه في الجو أثناء الطيران.. ويسميه الإنجليز Tumbler ★



تعلموا من أهل البلاد استخدام الحمام الزاجل لإرسال المعلومات الحربية[11]. ويعزى إلى **حمدان القرمطي** الذي تزعم حركة القرامطة ما بين عام ٢٥٨ إلى عام ٢٩٨ هجرية.. استخدام الحمام الزاجل في تبادل الرسائل مع نقباء الدعوة[12] وقالوا أيضاً إن نفراً من العلماء في بدء الإسلام عنوا بتربية الحمام الزاجل وتدريبه على الأسفار إلى **العراق وبغداد** في أيام الخليفة **المستعصم**[13].

ولقد تمتعت مصر في أوائل القرن الثاني عشر، ببريد جوي استخدم فيه الحمام الزاجل بنظام منقطع النظير من حيث الدقة والسرعة، وقد استمر هذا البريد ـ بريد الحمام ـ عدة قرون.

وكان أول من نظمه لنقل رسائل الحكومة هو **السلطان نور الدين** الذي ولي الحكم على مصر في عام ١١٤٦ م، فأنشأ محطات للحمام الزاجل في أهم طرق السلطنة، ونظم نقل البريد بتلك الطائرات الصغيرة الحية، في الخطوط التالية:

ـ بين **القاهرة والإسكندرية** ـ بين القاهرة **ودمياط** ـ بين القاهرة **وأسوان** ـ بين القاهرة **ودمشق** عن طريق **غزة والقدس** ـ بين **دمشق وبرنه** على نهر الفرات ـ بين برنه **والقصير** ـ بين **حلب والرحبة** على نهر الفرات ـ بين غزة **وكرك** على البحر الميت ـ بين دمشق **وصيدا وبيروت وطرابلس** ـ بين دمشق **وبعلبك**.

وهي نفس الخطوط تقريباً التي انتظم فيها نقل البريد بواسطة الجياد في ذلك العهد، غير أن الحمام الزاجل كان يقطع المسافة بين المحطتين في ثلث الوقت الذي كانت تقطعها فيه الجياد. وكان في كل محطة من المحطات بريد الحمام برج أو أكثر، وكانت المسافة بين كل محطة حمام وأخرى لا تزيد على اثني عشر ميلاً، وكان اسم السلطان ينقش على منقار الحمام، كما كان هذا الحمام يحمل أرقاماً تكتب على أرجله، ولم يكن يستخدم من هذا الحمام الزاجل إلا الأزرق اللون، كما لم يكن يستعمل في كتابة تلك الرسائل إلا نوع خاص من الورق الرقيق يسمى ورق بريد الحمام[14].

وكانت الرسائل تكتب بإيجاز.. وتطوى في شكل أسطواني، وأحياناً تغلف في كيس من الجلد الرقيق ثم تشد تحت جناح الحمامة، أو إلى ذيلها، أو حول عنقها.

وجرت العادة لزيادة الاطمئنان أن تكتب من صورتين، ترسلان مع حمامتين، تطلق إحداهما بعد ساعتين من إطلاق الأخرى. حتى إذا خلت إحداهما أو قتلت الأخرى أو افترستها الجوارح أمكن الاعتماد على وصول الأخرى.

وقيل إن سبب إرسال الرسالة في صورتين، ذلك أن المسلمين في **عكا** أرسلوا رسالة إلى **صلاح الدين الأيوبي** بواسطة حمامة من حمامهم، فتتبعها طير جارح وضربها فسقطت في معسكر العدو الذي عرف منها مواقع الضعف من عدوه[15].

كذلك جرت العادة على ألا يطلق الحمام في الجو الماطر، ولا يطلق قبل تغذيته بالغذاء الكافي.

وكان تحت إمرة السلطان في القاهرة عدد وافر من الحمام الزاجل، قدره «**المقريزي**» بألف وتسعمائة حمامة، ولم يبالغ المقريزي حين قال: إن الحمام في الأبراج كان يفوق العد والحصر، وإنه كان في مقدور السلطان وهو في أية بقعة من بقاع السلطنة أن يتصل بسائر حكام الولايات ذلك بفضل الحمام الزاجل.

وساعد الحمام الزاجل العرب في حروبهم مع المغول والتتار في جهات سورية وبغداد وكان أكثر استعمالهم له في عهد الخلفاء العباسيين، واستخدمه كذلك الفرس والأتراك خاصة في عهد **السلطان سليمان**، كما استخدمه السلطان صلاح الدين الأيوبي في حصاره لعكا الذي استمر من سنة ١١٨٩ هـ، إلى سنة ١١٩١ هـ[16].

وقد ذكر **الدكتور فيليب حتّي** أن المماليك أتقنوا ـ عدا البريد العادي ـ مصلحة استعمال الحمام الزاجل وكان يُربّى منذ أيام الفاطميين وتحفظ أنسابه في سجلات خاصة[17].

ومما هو جدير بالذكر أنه لما نزل **لويس التاسع** ملك فرنسا إلى **دمياط** سنة ١٢٧٠ م، وسار بجنده إلى **المنصورة**، أخذ ملك مصر الملك **الكامل** خبره بواسطة الحمام الزاجل، فسير إليه جيوشه لوقته فأوقفته عند حده، وكان ما كان من انهزام جنوده عند المنصورة، وأسر لويس وسجنه في دار ابن لقمان[18].

في العصر الحديث

وكان لهذا الحمام في حصار **ألمانيا لباريس** فيما بين سنتي ١٨٧٠/١٨٧١ م، أكبر الفضل في ربط أجزاء المملكة الفرنسية بعاصمتها[19].

كذلك انتبهت ألمانيا لأهميته في نقل البريد، فأقامت له الأبراج في قلاع **«ستراسبورج» و«فانس» و«كولديه» و«روزنبرج» و«توريه»** وبدأت المشروع بخمسمائة حمامة، خصصت في ميزانيتها الحربية سنة ١٨٨٩ م، مبلغاً كبيراً لتحسين إنتاج وتربية هذا الحمام الزاجل ولهذا الضرب من الحمام قوة وسرعة فائقة في الطيران، فقد قطعت إحدى الحمامات الحاملة للرسائل مسافة ٩٠ ميلاً في ١١٠ دقائق.

وقد أبلى الكثير من الحمام بلاء حسناً خلال المعارك والحروب وقد عُدّت عدة حمامات زاجلة من أبطال الحروب، ففي مدينة «**فردان**» بفرنسا على سبيل المثال، توجد لوحة تذكارية تخلد ذكرى



★ زغلول حمام زاجل ★



★ نوع من الزاجل يطلق عليه «مفصصت» نسبة إلى لون ريشه ★

الحمامة الزاجلة رقم ١٤٠/١٨٣ ف ، التي حملت رسالة كانت سبباً في إنقاذ تلك المدينة خلال الحرب العالمية الأولى[٢٠] .

وفي عام ١٩٥٦م ، قرر جيش الولايات المتحدة الاستغناء تماماً عن الحمام المراسل[٢١] وذلك بالطبع لاستحداث وسائل التكنولوجيا الحديثة والأجهزة الإلكترونية في وسائل الاتصال ، والأقمار الصناعية وغيرها خير شاهد على ذلك .

وقد استخدم سلاح الإشارة البريطاني الذي كان متمركزاً في معسكرات **المعادي** بمصر أثناء الحرب العالمية الحمام الزاجل لنقل الرسائل من دورياته التي كانت تجوب الصحراء إلى مقر قيادتها في مصر ، وذلك لتجنب التقاط المخابرات الألمانية لهذه الرسائل إذا ما أرسلت بالراديو[٢٢] .

وقد اهتمت **الحكومة البلجيكية** بالحمام الزاجل عقب الحرب السبعينية وتوسعت في شأنه فأعدت له أندية المسابقات التي خصصت للفائز فيها مكافآت عظيمة ، قاصدة بذلك أن تشجع الشعب على تربية هذا النوع من الحمام[٢٣] ، وبذلك تحول الحمام الزاجل من المراسلة الفعلية ، إلى المسابقات بين المدن والبلدان . .

وفي مدينة **بروكسل** ببلجيكا يقام الأولمبياد الدولي لحمام السباق ، حيث تناقش فيه أهم تطورات ومشاكل الهواية ، كما تقوم الدول المشتركة بعرض أبطالها من الحمام ، ويحضر المؤتمر مندوبو تسع وثلاثين دولة مشتركة في الاتحاد العالمي لسباق الحمام .

وتضم **بلجيكا** أكبر تعداد لهواة سباق الحمام الزاجل . . ويبلغ عددهم ١٦٤٨٨٠ عضواً وتليها **إنجلترا** التي يبلغ عدد أعضائها من هواة الحمام الزاجل ١٠٨١١٦ عضواً ، وفي **ألمانيا** ٩٥٣١٧ عضواً .

وتبلغ أثمان الحمام الزاجل من السلالة الممتازة أثماناً عالية جداً ، ومن ذلك أن الهاوي الإنجليزي **جيم بيس** في مقاطعة **نورفولك** بإنجلترا اشترى ذكر حمام يسمى (سكوت) من الهاوي الفرنسي المشهور (**دورين**) بمبلغ قدره ٣٥٠٠ جنيه استرليني[٢٤] .

في مصر

انتقلت إلى مصر هواية سباق الحمام الزاجل ، وقد تأسست (**جمعية الحمام الزاجل**) في مارس (آذار) عام ١٩٤٥م ، وبدأت بعدد ٤ أعضاء حتى تجاوزت المائة في الوقت الحالي وصار لها عدة فروع في بعض المحافظات . وقد أخذت على عاتقها نشر الوعي السليم عن هواية الحمام وخاصة الحمام الزاجل ، وأصدرت النشرات الخاصة بذلك ، كما قامت باستيراد السلالات الجيدة ونشرها على الأعضاء .



★ نوع من الزاجل الهجين ★

وقد ذكر الصحفي الإنجليزي **كرنان اوسمان** ـ الذي يملك أكبر دور نشر المجلات الخاصة بالحمام في بريطانيا ، وأحدثها مجلة **Racing Pigeon Pictorial** والذي توارث عن والده سلالة الحمام المشهورة في بريطانيا باسم «**حمام اوسمان**» ـ أن هواة الحمام في مصر يبلغون حوالي نصف مليون هاو ، أما المهتمون بسباق الحمام الزاجل فقط ٨٠٠ هاو .

وفي **القاهرة** وحدها ٧٠,٠٠٠ ألف هاو لحمام الغزار (**تريجانييري**) وهو الاسم الذي يطلق على هذا النوع من الهواية القديمة في **مودينا** بإيطاليا .

ويعتبر «**عثمان وامز**» من أوائل الذين أسسوا رياضة سباق الحمام في مصر ، فقد استطاع عام ١٩٣٩م ، قبل بدء الحرب العالمية الثانية أن يستورد عدداً من الحمام الزاجل الذي يربيه والد الصحفي اوسمان . . ومن هذا الحمام استطاع أن يكوّن سلالة جيدة من حمام السباق لمسافات طويلة . . لكن هواية الحمام الزاجل لم تنتشر في مصر انتشاراً ملحوظاً إلا عقب الحرب العالمية الثانية وهزيمة الجيش الألماني في الصحراء الغربية ، حيث انتقل إلى أيدي الهواة عدد كبير من حمام الزاجل الذي كان يستخدمه سلاح الإشارة البريطاني في نقل رسائله أثناء الحرب .

وتنظم الجمعية لهواة الحمام الزاجل في القاهرة سباقاً يشترك فيه ١٠٠ عضو يتنافسون بعدد يتراوح بين ٤٥٠ و ٥٠٠ فرد حمام وذلك من الأقصر على بعد ٤٥٠ ميلاً ومن أسوان على بعد ٦٠٠ ميل[٢٥] .

المراجع والهوامش

(٤ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٠) قصة البريد ، تأليف حسين شيراوي ، المكتبة الثقافية ـ عدد ١٦٧ من ص ١٨/١٥ ، بلينوس الأكبر مؤرخ لاتيني ٢٣ ـ ٧٩م .

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ ابن إياس ، جـ ١ ، قسم أول ، سلطنة المظفر حاجي ٧٤٨/٧٤٧هـ .

(٢ ، ٢١) الموسوعة الذهبية ـ جـ ٥ ، ص ٤٢٦ .

(٣ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩) الرحلة الحجازية ، تأليف محمد البتانوني ، طبعة ١٣٢٩هـ ، من ص ١٤٩/١٤٦ ، وقد أسهب الكاتب في وصف حمام الحمى .

(٥ ، ٧) أصل الأنواع ، تأليف تشارلز داروين ، ترجمة إسماعيل مظهر ، مراجعة د. عبد الحليم منتصر من ص ١٤٨/١٤٠ . أيضاً راجع هامش وتعليقات الكتاب بقلم المترجم .

(٩) الموسوعة العربية الميسرة (حمام) ، ص ٧٣٥ .
الموسوعة الثقافية (حمام) ص ٤١٠ .

(١٠) رحلات الحيوان والطيور ، تأليف د. مرسي ح ، مكتبة ثقافية عدد ١٣١ من ص ٧٦/٧٠ .

(١١ ، ١٧) تاريخ العرب ، تأليف د. فيليب حتي ، جـ ٣ ، طبعة ١٩٥١م ، ص ٧٨٦ وص ٧٩٧ .

(١٢) الحركات السرية في الإسلام ، د. محمد إسماعيل ، صادر عن دار اليوسف ، ص ١٨٧ .

(١٣ ، ٢٣) الطيور والحيوانات الداجنة ، تأليف متبولي صف ، مكتبة الأنجلو ـ الباب الرابع (تربية الحمام) .
خلافة المعتصم في المدة من ٧٨٩ ـ ٧٩١هـ .

(٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥) مجلة هواية الحمام ، العدد الأول ـ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢م ، (مجلة موجهة تصدر عن جمعية الحمام الزاجل بالقاهرة) .

مجلة الحمام الزاجل ، العدد الرابع ١٩٦٩م ، (نشرة شهرية تصدرها جمعية الحمام الزاجل بالقاهرة) .

(٦) راجع (مبادئ علم البيولوجيا) ص ٤٠٣ ، وقد بين أنه من الحمام الصخري استنبط عدد ٦ سلالات جديدة . . الحمام الزاجل يعتبر الثاني منها .

(٨) يسمى الحمام الصخري الأزرق أيضاً The Blue Rock Dove ويكثر وجوده في معظم أجزاء أوروبا وشمال إفريقيا ويتشر حتى شرق الهند ، ويميل إلى إقامة أعشاشه بين الصخور .

راجع New Illustrated Natural History of The World by «Ernest Protheroe», Page 353



أمراض العيون



أورام العيون :

منها : أورام الأجفان ، وأورام الجهاز الدمعي ، وأورام الملتحمة ، وأورام الحجاج ، وأورام العصب البصري ، وأورام العين الداخلية . وهذه الأورام قد تكون سليمة تعالج بالأدوية ، وقد تكون خبيثة تعالج بالاستئصال أو الأشعة .



البلاهة العائلية الكنية :

يبدأ المرض في السنة الأولى من العمر ، وتحدث الوفاة في السنة الثانية منه غالباً ، ينتج المرض عن استحالة شحمية في الشبكية والجهاز المركزي العصبي ، ولهذا يصاب الطفل بالشلل ، ويبدي تنظير قعر العين صورة مشابهة لانسداد الشريان الشبكي المركزي ، ويكون ثنائي الجانب .



تراخوما :

التراخوما مرض مزمن معد ، يصيب الملتحمة والقرنية عند الإنسان ، وينشأ عن الإصابة بفيروس ، ويتميز بتشكل جريبات وحليمات وسبل ، وقد يترك لدى شفائه تندبات قد تؤدي إلى تشوهات في الجفن وتدهور في حدة البصر ، ويستوطن هذا المرض في بعض دول العالم الثالث والوطن العربي ، فهو موجود لدى ٤٠٠ مليون إنسان في العالم .



جحوظ العينين :

يحدث في النساء بشكل أساسي في سن الشباب المبكرة ، وغالباً ما يكون ثنائي الجانب درجة الجحوظ غير واضحة ، ولا تؤدي إلى إصابات تخريبية في العين ، ويعزى هذا الجحوظ إلى تشنج عضلات مولر الحجاجية والجفنية ، ومن العلامات التي تصاحب المرض : ازدياد العصبية وتسارع القلب والرجفان وفقدان الوزن .



حسر البصر :

هي حالة العين الانكسارية التي تتلاقى فيها الأشعة المتوازية الواردة إلى العين في بؤرة تقع أمام الشبكية عندما تكون المطابقة مسترخية تماماً تترك الأشعة الصادرة عن الشبكية العين متقاربة ، وتتلاقى في نقطة أقرب من اللانهاية تسمى النقطة البعيدة للعين ، تشكل الشبكية والنقطة البعيدة ما يسمى بالبؤر المقارنة ، وهنالك حسر البصر المحوري الناتج عن ازدياد القطر الأمامي الخلفي للعين وحسر البصر الانكساري الناتج عن ازدياد تحدب القرنية أو العدسة ، ويعالج غالباً بالنظارات والعدسات وإعطاء الفيتامينات .



الخلط الزجاجي :

وهو هلام يملأ الفراغ الواقع بين العدسة والشبكية ، ويتألف من سطح خارجي وآخر أمامي وقناة شفافة ، ومن الأمراض التي تصيب الخلط الزجاجي مرض السهادير ، وهو عبارة عن ظهور تكثفات متحركة في الخلط الزجاجي أمام العين ، وتشكل هذه التكثفات ظلالا على الشبكية ، وتعطي إحساساً برؤية ما يسمى بالذباب الطائر ، وهنالك أيضاً نزيف الخلط الزجاجي الناتج عن رضوض العين ، وعن أمراض الشبكية ، وأمراض الدم ، وأورام داخل العين .





داء يفيك :

مرض نادر من مجموعة الأمراض النازعة للنخاعين في الجهاز العصبي المركزي ، يتميز بالتهاب العصب البصري الثنائي الجانب وشلل الأطراف ، ويؤدي إلى حدوث عمى مفاجئ في إحدى العينين ، ثم في العين الأخرى بعد فترة وجيزة . أسبابه غير معروفة ، ولا يوجد علاج له .



أذيات العين :

أمراض خطرة تصيب العين ، قد تعالج بالاستئصال للعين ، إذا كانت الحالة غير قابلة للشفاء ، وهي على أنواع منها أذيات ثالة ، وأذيات نافذة ، وأذيات بأجسام أجنبية ، وأذيات كيميائية ، وأذيات حرارية ، وأذيات كهربائية ، وأذيات إشعاعية .



الرمد الطبيعي :

وهو التهاب ملتحمة فصلي ثنائي الجانب ، يظهر في الفصول الدافئة ، ويتميز بحكة شديدة وخوف من الضياء ودماع ومفرزات لزجة ، ويحدث عند صغار السن عادة ، **ونسبة إصابة الذكور أكثر من الإناث** ، ويظهر في الصيف وأواخر الربيع ، وأسبابه ارتكاس تحسسي في الملتحمة نتيجة التعرض لعامل خارجي كالأشعة فوق البنفسجية ، ويشكل الغبار والحرارة عوامل مساعدة ، ويعالج بشكل عام بالأدوية المضادة .



الزرق :

يعرف الزرق بأنه ارتفاع التوتر داخل العين فوق معدله الطبيعي الذي يتراوح بين ١٥ ـ ٢٢ مم زئبق ، علماً بأن ٢٪ من سكان العالم يعانون من الزرق بشكل عام ، وهنالك الزرق الولادي ، ويؤدي إلى كبر حجم العين عامة ، والزرق المكتسب هو زرق أولي وزرق ثانوي ، والزرق النزفي ، والزرق الأحادي الجانب ، ويختلف العلاج حسب طبيعة الحالة .



الساد :

وهو استحالة في العدسة يؤدي إلى تشكيل كثافات ، أو بعبارة أخرى هو تكثيف العدسة ، ويصنف إلى : ساد خلقي ، حيث يحدث تكثف العدسة قبل الولادة أو بعدها بفترة قصيرة ، ولذلك يفضل تسميته ساداً تطورياً ، وله أنواع متعددة . وساد مكتسب هو تكثيف متطور في العدسة ثنائي الجانب يصيب كبار السن غير المصابين بأمراض عامة ، أو موضعية وأسبابه غير معروفة وله عدة أنواع .



إصابات الشبكية :

الشبكية هي الطبقة الأكثر عمقاً في جدار العين ، وتشكل الطبقة الحساسة وهي غشاء رقيق شفاف يبلغ ثخنه ٠,١ مم ، يمتد من المنطقة المنشارية حتى حافة حليمة العصب البصري . ومن الأمراض التي تصيب الشبكية العاهات الخلقية والتطورية ، إصابات الشبكية الالتهابية والنتحية ، الإصابات الوعائية ، اعتلالات الشبكية ، انفصال الشبكية ، التغيرات الاستحالية في الشبكية .



التهابات الصلبة :

تشكل الصلبة ٥/٦ الكرة العينية الخلفية ، وهي طبقة ليفية بيضاء معتمة قوية ، والتهابات الصلبة قد تكون سطحية ، وتصيب طبقة فوق الصلبة أو عميقة وتسبب التهابات الصلبة ، وأسباب الالتهابات غامضة في أغلب الأحيان . أما الالتهابات الصلبة فإنها تصيب كل طبقات الصلبة ، والحالة هنا أشد خطورة ، وهذه الإصابة خاصة بالإناث عادة ، وتعالج هذه الالتهابات بالأدوية .



ضمور حليمة العصب البصري :

يبدأ العصب البصري عند الصفيحة الغربالية كتجمع لمحاور الخلايا العقدية الشبكية ، وينتهي عند التصالب البصري ، ويبلغ طول العصب البصري ٥ سم ونشاهد الأنواع التالية لضمور حليمة العصب البصري : ضمور حليمة العصب البصري الأولي ، ضمور حليمة العصب البصري الثانوي ، ضمور حليمة العصب البصري التالي ، ضمور حليمة العصب البصري الناتج عن الزرق ، ويعالج الضمور بإزالة السبب وإعطاء موسعات الأوعية .



الحالات العينية الطارئة :

التهاب النسيج الخلوي الحجاجي ، جحوظ العينين الخبيث ، التهاب المقلة ، الحول ، التهاب العين الولادي ، التهاب القرنية الحبيبي ، قرحة القرنية الجرثومية ، الزرق الحاد ، النزف والتقيح في الغرفة الأمامية ، انسداد الشريان الشبكي المركزي أو أحد فروعه ، انثقاب العينين .



ظاهرة ماركوس كون :

هي حركات مشتركة بين الجفن والفك ، إذ يحدث انسداد الجفن وارتفاعه عند فتح الفم وإغلاقه ، أو عند تحريك الفك جانبياً ينتج عن خطأ في التعصيب بين العصب الثالث والخامس .



عمى الألوان :

من الاضطرابات التي تصيب الرؤية وهي **خلقية** : وتحدث في ٢٪ من الذكور ، و ٠,٢٪ من الإناث ، قد يكون عمى الألوان كاملاً حيث يبدو الجسم أبيض وأسود ، أو أن تنال الإصابة أحد الألوان الرئيسية الثلاثة ، أي عمى اللون الأحمر ، أو الأخضر ، أو الأزرق ، وهو الأكثر شيوعاً . **مكتسبه** : تسبب العتمة المركزية في التهاب العصب البصري عمى اللون الأحمر والأخضر ، وتسبب العتمة المركزية في وزمة حليمة العصب البصري العمى للون الأزرق .



الغطش :

يُعتمد به نقص الرؤية الجزئي أو شبه الكامل دون سبب موجود في العين يفسر ذلك ، وله أنواع ثلاثة : **الغطش الخلقي** نتيجة عدم استعمال العين لفترة طويلة ، بحيث تهمل هذه العين من قبل الدماغ نتيجة الأخيلة الرديئة التي ترسلها للدماغ ، وهنالك **الغطش السمي** نتيجة التهاب العصب البصري خلف المقلة الناتج عن سموم خارجية ، **والغطش الهستريائي** .



تنادر فوكس :

يتميّز بالتهاب خفيف في القزحية والجسم الهدبي ، مجهول السبب ، تفقد فيه القزحية والجسم الهدبي من أصبغتها ، وتبدي مناطق تليف وضمور أحادي الجانب في أغلب الأحيان ، لا يشعر المريض بشيء إلا حين تشكل الساد الذي يؤثر على الرؤية . نشاهد ترسبات قزحية بيضاء اللون ، عديمة الصباغ على الوجه الخلفي للقرنية ، وقد يختلط بزرق لا يفيد فيه العلاج ، إذ يعتقد أنه مرض استحالي أكثر منه التهابي .



التهابات القزحية :

القزحية هي القسم الأمامي من الطبق العنبي ، وتشكل حجاباً دائرياً ملوناً يقع بين العدسة والقرنية ، ويوجد في مركزه ثقب يدعى الحدقة ، وتحدث التهابات القزحية بسبب عوامل خارجية جرثومية أو بسبب عوامل داخلية ، حيث تنتقل الجراثيم عبر الأوعية الدموية ، وهنالك



عدة أنواع من هذه الالتهابات مثال ذلك : التهاب القزحية الصمغي والسلي والتحسسي . وهنالك أنواع من الالتهابات ناجمة عن داء السكري .



التهاب كيس الدمع :

حيث يشكل انسداد القناة الأنفية الدمعية أهم عامل من العوامل المهيئة لحدوث المرض . ويحدث هذا الانسداد نتيجة أسباب خلقية أو أسباب مكتسبة ، ومن الأعراض الظاهرة فيض الدمع ، مع انتفاخ تحت الرباط الخفي الأنسي ، واحمرار الملتحمة والموق الداخلي واحتقانهما .



داء لبير :

يتميز هذا المرض النادر بضمور العصب البصري الثنائي الجانب ، وهو ذو تطور سريع ، ويحدث لدى الشباب في سن ٢٠ ــ ٣٠ سنة ، ونادراً عند الإناث ، يشاهد التهاب شبكية صباغي كاذب وسواد تحت المحفظة الخلفية ، لا يفقد البصر تماماً وليس له علاج .



مد البصر :

هي حالة العين الانكسارية التي تتلاقى فيها الأشعة المتوازية الواردة إلى العين في بؤرة تقع خلف الشبكية ، عندما تكون المطابقة مسترخية تماماً .

الأشعة الصادرة عن الشبكية تترك العين متباعدة ، تبدو كأنها آتية من نقطة وهمية خلف العين . تسمى هذه النقطة بالنقطة البعيدة للعين ، وهنالك **مد البصر المحوري** الناتج عن قصر المحور الأمامي الخلفي للعين . **ومد البصر الانكساري** ويكون نتيجة تسطح القرنية أو العدسة ، أو نتيجة ضعف قرنية الانكسار في أوساط العين الكاسرة وخاصة العدسة .



نزيف الخلط الزجاجي :

أسبابه : رضوض العين ، التهاب الشبكية ، انفصال الشبكية نتيجة تمزقها ، خثرة الوريد الشبكي المركزي ، التهاب الوريد الشبكي ، فقر الدم ، ابيضاض الدم ، الأورام داخل العين .



مرض هورنز :

ينتج عن إعاقة التغذية العصبية الودية للحدقة ، يؤدي إلى تضييق الحدقة ، خاصة في الضوء الخافت ، وانسداد الجفن بسبب سوء تعصيب عضلات مولر الجفنية ، وغؤور المقلة الظاهري غير الحقيقي بسبب الانسدال ، وتكون المنطقة المصابة دافئة محتقنة وقليلة التعرق بسبب انعدام تعصيب الغدد العرقية في المنطقة ، وقد يحدث نقص تصبيغ .



مرض ويلسون :

مرض وراثي ذو صيغة جسمية مقهورة يصيب الشباب الصغار ، ويتميز باستقلاب النحاس غير الطبيعي ، وتوضعه في أنسجة الكبد والكلى والدماغ والعين ، وبالنسبة للعين يؤدي إلى تصبغ في القرنية على شكل حلقة دائرية قرب اللم .



مرض يفيك :

مرض نادر من مجموعة الأمراض النازعة للنخاعين في الجهاز العصبي أو المركزي ، ويعده الكثيرون شكلاً من أشكال التصلب اللويحي ، يتميز بالتهاب العصب البصري الثنائي الجانب وشلل الأطراف ، ويؤدي إلى حدوث عمى مفاجئ في إحدى العينين ، ثم في العين الأخرى بعد فترة وجيزة . مجهول السبب وليس له علاج .

مدن الشمس

أود أن أقول كلمات حول مقالة السيد هشام أبو عودة «مدن الشمس» التي وردت في العدد (٩٧)، رجب ١٤٠٥ هـ، نيسان (أبريل) ١٩٨٥ م، من مجلة «الفيصل».

إن اجتياز أقطار السموات والأرض بهدف الوصول إلى القمر وغيره ضرب من الإمكان، في حين أن تصورات دايسون ونيفن والدرسون تلغي النظام الشمسي وتفرض نظاماً يستوعب التضخم البشري ويزيد من قدرة البشر على الاستخدام الأمثل للطاقة الشمسية.

إن استبدال كوكبنا الأرضي بكوكب عملاق ممتد وفق قطر قدره متوسط المسافة بين الشمس والأرض (٩٣ مليون ميل) حول الشمس يستبعد وجود الآلة الجوية بما تحويه من مخازن للطاقة ومراكز للعمل وأحزمة لحفظ الحياة من الأشعة الكونية والأشعة فوق البنفسجية وتنظم الحرارة، كما يستبعد الليل والنهار والفصول الأربعة لفقد القدرة على تحقيق التعتيم والميل في الكوكب الجديد.

جدير بنا أن نطرح تصورات لحماية الكوكب الأرضي وآلته الجوية من التدهور الذي رافق الثورة الصناعية والتضخم السكاني، ولزراعة الصحارى بالطاقة الخضراء نأكل منها ونسخرها لأعمالنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

مع أطيب التحيات من،

د. محمد وليد كامل
حلب ـ سورية



مسائل لغوية في (قصر البريون الأحمر)

(قصر البريون الأحمر)، صورة قصصية قصيرة للكاتب السكندري سعيد بدر، تقع في نحو مائة صفحة من القطع المتوسط، وقد سميت المجموعة باسم إحدى صورها الخمس عشرة.

وبرغم جودة الورق والصور التي حلي بها الكتاب، إلا أن به أخطاء كثيرة نحسبها من مسؤولية الطباعة[١].

ونتناول من هذه المجموعة مسائل لغوية تتصل بالكلمة العامية، وتصرف الكاتب أحياناً فيما يشيع من بعض الكلمات . . .

أما **الأفكار** في المجموعة فلعل أهمها ما يدور من مشكلات عائلية تقف منها المرأة موقف التسلط، حيث يصيبها الضرر زوجة أما الرجل فيكاد يغلب على أمره:

● ففي قصة «**الباتعة**» تصوير لقصة امرأة قوية البدن تضرب زوجها أمام الناس، وهو «. . . فم مطبق وعين شاخصة وجسد مستسلم لامرأة لا تتعب»[٢].

● وفي قصة «**ربيب**» تنتحر الفتاة لأن أمها حالت دون زواجها من ابن ضرتها فتقول لابنها: «أما كفاك . . أمه خطفت أباك، وهو يريد خطفك، وأنا أكوى بالحالتين؟»[٣].

● وفي «**جرعة حب**» تقول الفتاة: «منذ تزوج أبي وأمك . . وهي تقبل العمى ولا صبرة عنكم»[٤].

● وفي قصة «**الجد**»: «. . . هذه الكلمة التي ظل يتمناها سنين . . يا معلم . . فقدت الرنة التي كان يطرب لها، فلم يطرب، أصبحت كغيرها من الكلمات، كغيرها من المعاني والأماكن والأشياء، كل الأشياء، ضيقة كثقب الإبرة، ثقيلة كالهم الأزلي»[٥].

وبرغم أن أسلوب الكاتب يعمد إلى الفصحى إلا أنه لم يخل من الكلمة العامية، وقد حاول أن يستبدل بها أحياناً ما ظنه الصواب معجمياً فأخطأه التوفيق، كذلك لم يراع الدقة في بعض الاستعمال.

فمن عدم الدقة عندنا أن يستخدم التعبير القرآني **﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾**[٦] في وصف مشهد طابور أمام مخبز يتعجل الناس الخباز «لينهي عذابهم . . السأم والملل يرتسمان على الوجوه . . . القلوب بلغت الحناجر»[٧].

فأين هذا المشهد الذي يكاد يألفه الناس على ما فيه من مشقة من السياق القرآني يوم الخندق **﴿ هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً ﴾**[٨]؟!.

ومن **عدم الدقة** كذلك قوله: «صوت هدير الماء»[٩]، فالهدير صوت، يقال: هدر الحمام يهدر هدراً وهدوراً وهديراً وتهداراً صوّت.

وفي المثل: «كالمهدر في العُنّة» أي الحظيرة، يضرب لمن يصيح ولا ينفذ قوله ولا فعله[١٠].

ونحسب أن الكاتب استخدم كلمة «هدير» بمعنى التدفق الشديد.

ولعل الكاتب أراد لبعض ما يستخدم تصويباً فاختلط عليه الفرق بين نهج ولهج ، فهو يقول : « لفرط سمنتها كانت تلهج »[11] ، والصواب : تنهج ، وفي الحديث : « أنه رأى رجلاً ينهج » أي يربو[12] من السمن ويلهث . يقال : نهج ــ من باب طرب ــ والنَّهَج ــ بفتحتين ــ البُهر وتتابع النفس[13] . وفي استعمالنا : إنه ينهج من الصعود في السلم . أما لهج به ــ من باب طرب أيضاً ــ فبمعنى أغرى به فثابر عليه ، واللهج ــ بفتحتين ــ بالشيء الولوع به[14] .

ومن **التعبيرات الشعبية** على لسان النسوة غالباً أن يقال : أنا خابزة وعاجنة . وفي المعجم : خبز الخبز واختبزه ، ورجل خابز إذا كان ذا خبز كـ (لابن) و (تامر)[15] .

أما العامية المعاصرة فتستعمل « خابز » والمفعول به إنسان بعينه أحياناً ، وهو استعمال مجازي بمعنى الخبرة بشخص معيّن بعد تجارب كثيرة أو عميقة .

تقول إحداهن في أمها : « . . . أنت لا تعرفها جيداً . . لم تر منها غير الذي حدث ليلة الدخلة . . أما أنا . . خبزاها »[16] .

لقد استعمل الكاتب الروسم اللغوي ، ولو صححه نحوياً فقال : خابزتها لفقد التعبير طعمه كما يتمثله المتلقي في العامية ، كذلك لم يقل : أما أنا فخابزاها ، واستعاض عن الفاء في جواب « أما » وهي حرف شرط وتوكيد بنقطتين متتاليتين كتابة ، كما حذف الألف من اسم الفاعل الدال على النسبة في هذا التعبير إظهاراً لكيفية نطقه مما يعين على تصور الجو الحواري .

ومن **الكلمات الشعبية** التي تمت إلى قواعد الصرف بصلة كلمة « طعمة » ــ بكسر فسكون ــ والطعم قد يوصف بالحلاوة أو المرارة ، غير أنه عند التجريد من الوصف في مثل قولنا : ليس له طعم ، فالمعنى : ليس مما يشتهي ، وعكسه في العامية « طِعِم » ــ بكسرتين ــ .

ومن أوزان الصفة المشبهة **فَعِلٌ** ــ بفتح فكسر ــ كـ « طرب » من طَرِبَ ، غير أن العوام قد يستبدلون الكسرة بالفتحة كقولهم : زنخ ــ بكسرتين ــ والصواب بفتح فكسر .

وتكون الكلمة على وزن فِعْلة صفة مشبهة ، فإذا أردت التذكير فبدون تاء نحو : مِلْح بكسر فسكون من مَلُحَ من باب شرُف .

ومن هذا الوزن كلمة « طعمة » كما في استعمال الكاتب « حلاوتك طعمة قوي »[17] ، ونلاحظ أنه نقل الحوار بالعامية كما هو بالصفة « **قوي** » التي يستعمل بدلا منها في الفصحى كلمة « جداً » .

أما **الأمثال العامية** ذات التعبير بالفصحى فله منها نحو : « الخير فيما اختاره الله »[18] بدلا من « الخيرة » ــ بالكسر ــ كما تذكر في المثل : وهي الاسم من خار الله لك أي اختار[19] .

د . أحمد ماهر البقري

الهوامش

(١) نعتمد على الطبعة الأولى ، ط . السفير بالإسكندرية سنة ١٩٨٣م .
(٢) قصر البريون ، ص ٢٦ .
(٣) قصر البريون ، ص ١٠ ، والصواب : خطفت أباك .
(٤) قصر البريون ، ص ١٩ .
(٥) قصر البريون ، ص ١١٦ .
(٦) سورة الأحزاب ، الآية ١٠ .
(٧) قصر البريون ، ص ٧٩ .
(٨) سورة الأحزاب ، الآية ١١ .
(٩) قصر البريون ، ص ٥٩ .
(١٠) القاموس المحيط ٢ / ١٥٩ .
(١١) قصر البريون ، ص ٢٤ .
(١٢) الربو : النَّفَس العالي ، ولمة أحاديث غيره في النهاية ٥ / ١٣٤ .
(١٣) أما نَهَجَ من باب قطع فمعناه اتخذ منهجاً أو منهاجاً أي طريقاً واضحاً . مختار الصحاح : ن هـ ج .
(١٤) مختار الصحاح : ل هـ ج .
(١٥) مختار الصحاح : خ ب ز .
(١٦) قصر البريون ، ص ١٩ .
(١٧) قصر البريون ، ص ٨٦ .
(١٨) قصر البريون ، ص ١١٤ .
(١٩) مختار الصحاح : خ ي ر .

* * *

الملكة اليمنية

إنني أتابع من العام الماضي الموضوع المنشور عن السيدة الحرة **الملكة أروى بنت احمد** في مجلة « **الفيصل** » فقد قرأت المقال الذي نشر في صلب المجلة في العام الماضي وقد كنت في **كراتشي بالباكستان** ، وبعد عودتي من الباكستان إلى الهند قرأت تعقيب القاضي **إسماعيل الأكوع** الذي أشار إلى بعض التصحيحات كما رآها . ثم كتب **الدكتور عارف تامر** مشيراً إلى تصحيحات رآها في تعقيب القاضي الأكوع ثم ظهر أخيراً تعقيب القاضي الأكوع يصر فيه على عدم تسمية السيدة الحرة الملكة باسم « أروى »

وبعد لا بد لي أن أدلي بملاحظة عامة حول موضوع الدراسات الفاطمية على وجه العموم إن للتراث الفاطمي مظهرين لا يكمل احدهما إلا بالآخر :

★ **الأول** ـ التراث الشفهي ، الذي يتناقله الدعاة الفاطميون والعلماء من تلاميذهم شفاهاً . وهذا التراث يتناول كل قضايا الأدب والتاريخ وكل شيء عن الفاطميين .

★ **والثاني** ـ هو التارث المدون الذي يحتفظ بتفسيره شرعاً الدعاة الفاطميون الوارثون للتراث الأول بالذات .

وقد اعترف بهذه الحقيقة أساتذة جامعيون في مصر وتونس وغيرهما .

وحقيقة يجب التنويه بها وهي أن الأئمة الفاطميين بعد ما تنحوا عن السياسة والحكم في مصر واليمن في القرن السادس الهجري ، عكفوا على الدعوة الإسلامية التربوية ، واختاروا لها دعاة أمناء حفظوا الدعوة بحفظ كلا التراثين الشفهي والمدون طيلة القرون . واستمروا يدعون في اليمن متنحين عن السياسة حتى القرن العاشر الهجري ، وفيه نقلوا الدعوة بنقل كلا التراثين إلى شبه القارة الهندية .

ومنذ ذلك الحين والدعوة الفاطمية قائمة بمهمتها بحفظ التراثين المذكورين في الهند . وإن أتباع هذه الدعوة والدعاة يعرفون اليوم ببطائفة **البهرة** حيث أطلق عليهم هذا الاسم لانشغالهم بالتجارة لأن كلمة « البهرة » تعني باللغة الهندية الكجراتية التاجر .

فعندما سأل القاضي الأكوع **عباس حسين الهمداني** عن أول من أطلق اسم ـ أروى ـ على السيدة الحرة الملكة فقال هم البهرة . فليس البهرة إلا أتباع الدعوة الفاطمية والدعاة الفاطميين الورثاء الشرعيين لكلا التراثين اللذين سبق ذكرهما . فهم أعلم بما في البيت وأهل مكة أدري بشعوبها !

أما عدم ذكر اسم السيدة الحرة الملكة في كتب التاريخ اليمني والكتب الأخرى فلا يعني ذلك أن اسمها ليس ـ أروى ـ فإذا كانت المصادر كلها حتى الوثائق والوصايا ساكتة عن ذلك فليس لنا ان نجزم ونؤكد أن اسمها ـ سيدة ـ وليس ـ أروى ـ . وفي الحقيقة ليس « سيدة » اسماً ولم نسمع عن الفاطميين أنهم أطلقوا مثل هذا الاسم على نسائهم طيلة التاريخ فليس لنا أن نجزم ونقول إن اسمها (سيدة) ولا شيء غيره . وليس هناك كلاماً خاصاً في كتب التاريخ عن اسمها لما دامت الكتب ساكتة فليس لنا أن نستخرج لها اسماً جديداً غير المعروف .

وبالجملة علينا عند سكوت التراث المدون أن نسأل التراث الشفهي . فالداعي الفاطمي الأجل الحادي والخمسين من سلسلة الدعاة الفاطميين سيدنا **طاهر سيف الدين** الذي انتهت إليه وراثة الدعوة والدعاة الفاطميين في عصرنا هذا كما انتهى إليه كلا التراثين يخاطب الحرة الملكة في بيت من الشعر باسمها قائلاً :

مولاتنا أروى عليك سلامنا وأروى ثراك القدس والبركات

ولهذا الداعي الفاطمي في إيضاح كثير من المبهات في التاريخ والأدب الفاطميين لكونه الوارث الشرعي للتراث الفاطمي في كلا مظهريه الشفهي والمدون . وعند جهينة الخبر اليقين .. وفوق كل ذي علم عليم .

طاهر صالح المعقابي
الجامعة السيفية
سورت ـ الهند

التدخين .. ومضاره

اطلعت على مقالة « **التدخين .. العادة والبلاء** » المنشورة في العدد (١٠٣) بقلم الاخ **الدكتور أبو الهيجاء** . المقالة ممتازة وقد عرّفت الإخوة القراء بالتدخين وأضراره على أتم وجه وبدقة وبشكل سلس مبسط جذاب وعسى أن يكون ذلك دافعاً وحافزاً للمدخنين للإقلاع عن هذه العادة الضارة .

شيء واحد أرغب إضافته والاشارة إليه هو **أن ضرر التدخين لا ينحصر في المدخنين أنفسهم إنما يتعداه إلى من يجالسهم ، أو يكون بقربهم** فيستنشق الهواء الملوث بالدخان الذي ينفثونه فيصيبه من ضرره ما يصيبهم وقد يكون بدرجة أقل .

شكراً للأخ الكريم الدكتور أبو الهيجاء ، وشكراً لمجلتنا الحبيبة « **الفيصل** » الغراء ، ولا أغالي إذا قلت إنها في طليعة المجلات الثقافية مستوى ومادة وتبويباً ومظهراً ، مع أطيب تمنياتي لكم بدوام التقدم والازدهار .

د . صلاح الدين الجراح
مدرس بكلية الطب ورئيس قسم العيون
في مستشفى الناصرية في الرياض سابقاً

مع الأصدقاء

اقتراحات

إنني من المدمنين على قراءة هذه المجلة منذ أمد طويل نظراً لما تحمله من ثقافة شاملة وجامعة عن شتى مجالات الحياة ، لذلك بادرت إلى الكتابة إليكم لأول وهلة لأهنئكم وكذلك لأبدي بعض المآخذ أو بعض الاقتراحات الجادة ، وآمل أن تأخذوها بعين الاعتبار وهي :

١ ـ أود أن أبدأ هذه الملاحظات باقتراح هام وهو : لا شك أن مدينة **« مليلة »** المغربية الموجودة على ساحل البحر الأبيض المتوسط واقعة تحت قبضة الإسبان ، وأود أن تعرّفوا للقارئ العربي تلك الجوهرة المغربية ـ كما اعتاد البعض تسميته لها ـ التي ما زالت مفقودة من خلال الركن المخصص لـ : **« في بلاد الله »** وذلك بالصورة والكلمة الموحية المعبرة .

٢ ـ من خلال تتبعي لمجلتكم أصادف دائماً الركن المخصص للرياضة تحت عنوان **« عالم الرياضة »** ولكن ما يتبادر إلى الذهن في الأعداد الحالية أن الركن الرياضي غائب وغير موجود . وهنا لا بد أن أشير إلى أن تلك الصفحة المخصصة للرياضة تغذي وتطعم محتويات العدد ، ولهذا لا بد من أخذها بعين الاعتبار .

٣ ـ لا ريب أن مجلة **« الفيصل »** مجلة العالم العربي دفعت وما زالت تدفع عجلة المعرفة ونشرها على أوسع نطاق . ولكن هناك بعض الإخوة القراء عند شرائهم للمجلة يطلبون من صاحب المكتبة الهدية المخصصة لهم . ومن هذا أود أن تكرموا القارئ الكريم على رأس كل شهر ، وهذا التكريم يتم عن طريق هدية ترفق مع العدد من الداخل .

٤ ـ أود أن يخصص لركن **« العيادة النفسية والاجتماعية »** ثلاث صفحات أو أربع نظراً للتجاوب الذي يحصل بين القارئ والحلول التي تقدمونها له من خلال تلك الصفحات عن مشاكله ومعضلاته .

محمد وعراب
المغرب

● **المجلة :** نرحب بصديق المجلة من المغرب الشقيق ونقول له :

١ ـ سنحاول جادين إن شاء الله إعداد استطلاع ليس عن مدينة « مليلة » المغربية فحسب ، بل عن كل مدن المغرب العربي .. وقد نشرت المجلة استطلاعات عن « الرباط » ، و « مراكش » ، و « فاس » ، و « الدار البيضاء » .

٢ ـ باب « عالم الرياضة » كان ضمن الأبواب في إحدى السنوات الماضية ، ومن عادة المجلة التجديد وتقديم الجديد ، ولو أبقينا على كل الأبواب لما أصبح للكتّاب مجال للكتابة .. ومع ذلك سنحاول إعادة هذا الباب مستقبلاً .

٣ ـ بالنسبة للهدية فنحن نعد « اللوحة » التشكيلية داخل المجلة هدية للمجلة ، كما أضفنا لها لوحة جديدة بعنوان « الشرق .. في عيون الغرب » .

٤ ـ مع قناعتنا بأهمية باب « العيادة النفسية والاجتماعية » إلا أننا لاحظنا تشابهاً كبيراً في المشاكل التي يبعثها القراء ، وهذا يعني تكرار المشاكل .. لهذا فضلنا أن يكون هذا الباب متحركاً بحيث ننشر ما نراه من المشاكل التي لم يسبق للمجلة أن ناقشتها .. وقد اتضح لنا أن مشاكل القراء في مختلف أقطار الوطن العربي متشابهة ومتقاربة .



رسالة .. وصورة

يسعدني كثيراً أن أهنئكم بالمستوى الرفيع لمجلة « الفيصل » ، التي أتابعها منذ العدد الأول .

ويسعدني أن أرسل لكم هذه الصورة التذكارية مع بعض أعداد المجلة .

حسين خليل حسين
الغورية ـ القاهرة



شعر: إسماعيل عذرة

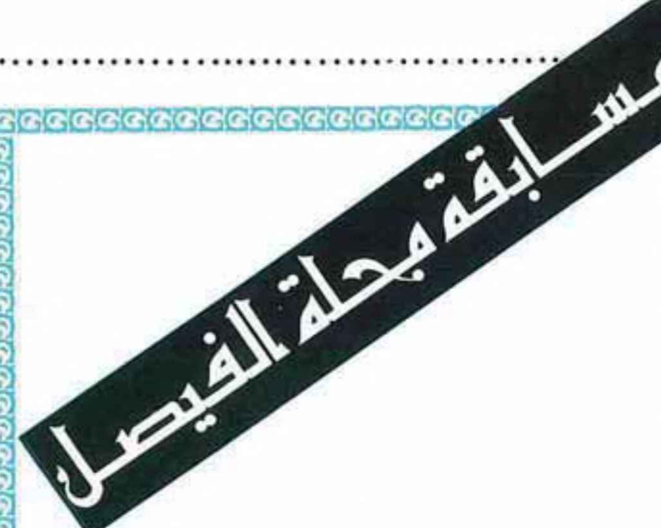
لا تسلها إن نأت عنّا فإنا   نحن أطفأنا الشعاع المشرقا
فغدا القلب يباباً مُعتمساً   بعد أن كان السحاب المغدقا
أقفر الروض وجفّت أدمع   واستحال الشدو نأياً مقلقا
فركضنا والدجى يعدو بنا   نقطف الورد ونجني الزنبقا
فظننا أننا نجني المنى   أو علمنا فبلغنا الأفقا!
ما حسبناه ؛ ظلامٌ بلقع   وسراب في الدجى لن يبرقا
كيف نرقى ، كيف نـ تاف الهوى   والهوى يغفو شعاعاً محرقا؟!

لا تسلها إن نأت عنّا فإنا   نحن أطفأنا الشعاع المشرقا
وبرحنا الحقل قفراً موجعاً   وتركنا الروح لحناً مشفقا
قد عشقنا الورد طيراً صادحاً   وظنناه ربيعاً مونقا
فإذا الورد صباح ذابل   بابه أضحى سراباً مغلقا!

إن أردت الحبَّ لحناً سرمداً   يفتن الدنيا ويشدو الألقا
فاعشقِ الروحَ السماويَّ الذي   مَنْ يذرْهُ ، هل له أن يعشقا؟!
في ظلال الروح تسمو ا... س   ويـ ـالُ الحب نجماً ... دقا
فإذا ما أعتم العقل ضحىً   فاضت الأرواحُ موجاً أزرقا

في سفوح الأيك أمضي باحثاً   لا أبالي ما يكون المرتقى
علّ نفحاً من سماواتٍ علًا   يصطفيني في شذاه شفقا
آه كم أهفو لذيّاك الحمى   ولقاءٍ كان أحلى .. ملتقى
يا رعى الله حمىً أنزلتُه   مـ ...لاً عذباً وماء رقرقا
صيفُه فجرٌ مندّى بالمنى   وشـ ـتاهُ فيضُ حبٍّ سقسقا
تسجع الطير على أفنانها   فتجرُ ...الروح قرباً ولقى!
يا ظلالَ الروح إني هائم   في نجاواكِ . رفيفاً شيّقا
إن حرمتِ القلبَ من إشراقه   أعتمَ القلبُ وعانى الأرقا
أو حكمتِ بالنوى بعد الهوى   عادتِ الدنيا ظلاماً ...رقا!





شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

د ـ إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) .

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل واحدة منها اشتراك مجاني لمدة عام في مجلة «الفيصل» لكل فائز .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .





السؤال الأول :

«الروبوت» .. هو آلة على شكل إنسان يقوم بأداء مهام عضلات الإنسان دون عاطفة ، ويعمل بالإشعاعات أو بالموجات الصوتية .
ما أصل كلمة «روبوت» .. وما معناها .. وما اسم أول من أطلقها لأول مرة .. ومتى كان ظهور «الروبوت» الفعلي الحديث ؟

السؤال الثاني :

في أي تاريخ تم التوقيع على ميثاق الأمم المتحدة ، الذي يعد تاريخ ميلاد هذه المنظمة الدولية ؟

السؤال الثالث :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :
مأدبة الله في الأرض ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ـ شرح العمدة المتعلق بمناسك الحج والعمرة .

السؤال الرابع :

متى كان أول ظهور للبندقية .. وأين ؟

السؤال الخامس :

ماذا تعرف عن مجاعة السنوات السبع .



قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١٠٨)

الاسم : ------------------------------

المهنة : ------------------------------

العنوان : ------------------------------

● أجوبة مسابقة العدد (١٠١) ●

ج ١ وردت آراء في تفسير المقصود بـ «المثاني»، في الآية الكريمة ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾. وفيما يلي أربعة آراء منها:

١ ـ تطلق «المثاني» على القرآن كله.

٢ ـ تطلق على سورة الفاتحة، لأنها سبع آيات تثنّى في الصلاة لقوله تعالى ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾.

٣ ـ تطلق على ست وعشرين سورة، كل واحدة منها أقصر من المئين، وأطول من المفصل.

٤ ـ تطلق على السبع المبدوءة بالثناء على الله، أو بتسبيح الله، أو بلفظ «حم»، أو السبع الطوال.

ج ٢ مؤسس علم النفس التجريبي هو «ويبر»، واسمه الكامل «أرنست هنرستون ويبر» (١٧٩٥ ـ ١٨٧٨ م). وأُنشئ أول معمل لعلم النفس التجريبي الحديث في مدينة «ليبزج» عام ١٨٧٩ م.

ج ٣ معاني المذاهب الأدبية والفنية التالية هي:

* **المذهب الكلاسيكي**: من أقدم المذاهب الأدبية، تطلق كلمة كلاسيك على كل كاتب أو أثر علمي أو أدبي جدير بالدراسة في الكليات أو الجامعات لما فيها من قيم إنسانية وخصائص فنية عالية، ثم أصبح هذا المذهب يطلق على كل من يحتذي آثار القدماء ويحاكيها في فنه.

* **المذهب السريالي**: مقومات هذا المذهب: ● التحليق وراء الحدود المألوفة ● المزج بين تجارب العقل الواعي والعقل الباطن ● التحلل من أصول المنطق وقواعد التفكير ● رفض التقيد بالقالب الواحد أو العرف والتقاليد.

* **المذهب الرومانسي**: تعني الرومانسية: ● الانطلاق في عالم من العواطف والروحانيات ● عدم التقيد بفكرة الوحدات الثلاث (الفعل والزمان والمكان) ● إحلال العاطفة وسيطرة المعاني الإنسانية ● الأخذ بمنطق النفس الإنسانية ودخائلها وأهوائها لا بمنطق العقل والتفكير.

ج ٤ توجد هذه الجامعات في:

* **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**: الرياض ـ المملكة العربية السعودية.
* **جامعة الزيتونة**: ـ تونس.
* **جامعة القرويين**: فاس ـ المغرب.
* **جامعة الأزهر**: القاهرة ـ مصر.

ج ٥ جمع هذه المفردات كالتالي:

* **غريب**: غرباء ـ أغراب ـ غُرُب.
* **شاب**: شُبَّان ـ شَبَبَة ـ شيبة ـ شباب.
* **صبور**: صبورون ـ صُبُر ـ صابرون.
* **كريم**: كرماء ـ أكرام ـ كريمون ـ كرام.

● نتيجة مسابقة العدد (١٠١) ●

فازت **بالجائزة الأولى**، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي، الأخت **منى إبراهيم عبد العزيز السعيد**، عنيزة ـ القصيم ـ **المملكة العربية السعودية**.

وفازت **بالجائزة الثانية**، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي، الأخت **تمام صالح الناطور**، حمص ـ **سورية**.

وفاز **بالجائزة الثالثة**، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي، الأخ **عبد القادر الشرقي**، نهج إبراهيم بن دالي ـ المدية ـ **الجزائر**.

وهناك **سبع جوائز**، قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من **السودان** ـ واد مدني، الأخت **ماجدة عز الدين صالح**.

● من **المغرب** ـ مراكش، الأخت **أباضة زهراء بنت أحمد**.

● من **الأردن** ـ عمَّان، العبدلي، مؤسسة نادر، الأخ **عاطف خميس إبراهيم أبو إسحق**.

● من **مصر** ـ القاهرة، حدائق شبرا، الأخت **نبيلة يوسف إسكندر**.

● من **الجزائر** ـ ولاية غارداية، المنيعة، الأخ **دويده عبد الرحيم**.

● من **سورية** ـ دمشق، جامعة الحقوق، الأخ **غازي جميل الكحلوني**.

● من **السودان** ـ الخرطوم، بواسطة بنك السودان، الأخ **أحمد الباقر سراج الدين**.

بالإضافة إلى **عشر جوائز**، قيمة كل واحدة منها **اشتراك مجاني، لمدة عام، في مجلة «الفيصل»**، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من **اليمن** ـ تعز، ص . ب (٥٠٥١)، الأخ **عز الدين عبد الله أحمد**.

● من **الكويت** ـ ص . ب (٥٨٢٣٢)، الأخ **محمد معن محمد مروان**.

● من **المملكة العربية السعودية** ـ الرياض، ص . ب (٣٥٤)، الأخ **إبراهيم سيد أحمد عيير**.

● من **البحرين** ـ المنامة، ص . ب (٧٢٧)، الأخ **أحمد جمعة عبد محمد**.

● من **مصر** ـ كفر الزيات، الأخت **وفاء أمين الشيخ**.

● من **المملكة العربية السعودية** ـ الطائف، شارع خالد بن الوليد، ص . ب (١١٨٧)، الأخ **حامد محمد حمدان العصيمي**.

● من **السودان** ـ الخرطوم، الصحافة شرق، مربع ٣٧، الأخ **حسن مصطفى إدريس**.

● من **الجزائر** ـ ١ شارع مختار عبد اللطيف، الأخ **محمد بكول**.

● من **اليونان** ـ أثينا، الأخ **عبد السلام محمد الزغيبي**.

● من **مصر** ـ محافظة الدقهلية، المنصورة، الأخ **مصطفى حسن حسن سعد**.

ردود قصيرة

● الأخ (السيد عربوش محمد)، سيدي الأخضر ـ الجزائر.

مرحباً بك صديقاً للمجلة.. وشكراً لمشاعرك النبيلة.

● الأخت (أحلام، أحمد حمزة)، بورسعيد ـ مصر.

نتمنى لك مستقبلاً طيباً في الأدب.. المهم أن تقرئي كثيراً، ولا تسرعي في النشر، وبمرور الزمن ستجدين أن أسلوبك في الكتابة أصبح قابلاً للنشر.

● الأخ (ضحوة جمال بن محمد)، بسكرة ـ الجزائر.

شكراً لمشاعرك.. وفي إمكانك الحصول على المجلة من مكتبات الجزائر، لأن المجلة لا توزع بالمجان.. ولك تحياتنا.

● الأخ (محمد عزيزي)، عنابة ـ الجزائر.

نشكر لك ولأصدقائك اهتمامكم بالمجلة.. ونأمل أن تكون المجلة متوفرة بصورة مرضية بعد زيادة الكمية التي توزع في مدن الجزائر الشقيقة..

● الأخ (الشعوفي عبد الله)، اسفي ـ المغرب.

مرحباً بك صديقاً للمجلة.. ونأسف لعدم إمكانية نشر موضوعك لأن عنوانه كبير، فيما مضمونه لا يتناسب والعنوان، ومثل هذه الموضوعات لا يستطيع أن يتناولها أي قارئ أو كاتب، لأنها تحتاج إلى عمق المعرفة في الشريعة واللغة.. مع تحياتنا.

● الأخ (حفار علي بن بكير)، غرداية ـ الجزائر.

كما تلاحظ من خلال أعداد المجلة اهتمامها بالدراسات الإسلامية.. أما فيما يتعلق بتفسير القرآن فهناك مجموعة من كتب التفاسير التي تغني أي باحث أو دارس في معرفة تفسير الآيات القرآنية.. وفي إمكانك معرفة ذلك من أي عالم موثوق به.. والكتب الإسلامية كثيرة وموجودة في المكتبات، ولا نستطيع أن نحدد كتاباً بعينه، كما أن المجلة لا توزع الكتب.. ولك تحياتنا.

● الأخوان (عبد القادر طاش، وعلي البيتي)، مكة المكرمة ـ السعودية.

نشكر لكما مشاعركما نحو المجلة.. وموضوع المسابقة هناك لجنة لفرز أسماء الفائزين وإجراء القرعة.. وقل أن يخلو عدد من أعداد المجلة من الفائزين في المملكة.. وقضية الفوز في المسابقة ليس لها علاقة بالسعر.. أما اختلاف سعر المجلة من بلد إلى آخر فهذا شيء طبيعي، وقضية اقتصادية تخضع للقدرة الشرائية لدى الأفراد، وهذه القدرة تختلف من مجتمع إلى مجتمع.. وما أوردتماه على لسان أحد أصدقائكما أمر مبالغ فيه، لأن المجلة قياساً إلى غيرها من المجلات المشابهة لها هي أغلى سعراً.

● الأخ (محمد عبد الله)، الدار البيضاء ـ المغرب.

نحن معك في كل ما جاء في رسالتك الصادقة.. سائلين الله أن يحقق للأمة الإسلامية ما يريده لها من خير وفلاح.. والله لا يخذل عباده المؤمنين.

● الأخ (مساعد الملحم)، دمشق ـ سورية.

قصيدتك الشعرية تتميز بالصدق والحماس، لكن هاتين الصفتين لا تكفيان لصنع قصيدة شعرية.. ومع ذلك فهي محاولة تحتاج إلى التكرار، مع عرضها على أحد الأساتذة أو النقّاد لتوجيهك.. لأن طريق الشعر ليس سهلاً، والشعر يعد من أرق الفنون الأدبية وأصعبها.

● الأخ (عبدان محمد أحمد الخثعمي)، بيشة ـ السعودية.

قصيدتك أرسلناها للأستاذ أبي عبد الرحمن بن عقيل حسب رغبتك، لأننا لا نستطيع نشرها لأسباب فنية.. ولك تحياتنا.

● (غازي عبد الكريم بوخاري)، بومرداس ـ الجزائر.

شكراً لمشاعرك نحو المجلة.. ونأسف لعدم استطاعتنا تزويدك بالأعداد التي طلبتها.. وعموماً فقد جلدت الأعداد من العدد ١ إلى العدد ٩٩، وفي إمكانك الكتابة لقسم الاشتراكات بالمجلة لمعرفة قيمة المجلدات.

● الأخ (بوعنان اورمضان) ـ الجزائر.

العدد الذي طلبته أرسلناه إليك بالبريد حتى تتمكن من الاستفادة من الموضوع الذي يتعلق ببحثك الخاص بجهود الجزائر في التعليم.. ومقترحاتك نشرت المجلة عدة موضوعات عن القضايا التي أشرت إليها.. وشكراً لمشاعرك الكريمة.



* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

في الوطن العربي

- الترشيح لجائزة الملك فيصل العالمية للعام القادم .
- مؤتمر عن «الأقليات المسلمة» في الرياض .
- مهرجانان في مصر عن طه حسين وزكي نجيب محمود .
- مشروع لترجمة مائة كتاب بالعراق .
- صدور مجلات جديدة في الوطن العربي .
- كشوف أثرية ومعارض وأمسيات وندوات ثقافية .

في العالم

- معرض عن التراث السعودي في أندونيسيا .
- وفاة كاتب فرنسي ، ومؤلف وروائي بريطانيين .
- سنغور عضواً في قاموس الأكاديمية الفرنسية .
- انعقاد المؤتمر الدولي للقلم في نيويورك .
- كشوفات أثرية في روسيا وبلغاريا .



السعودية :

الترشيح لجائزة الملك فيصل

دعت الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية ، التي تتخذ من الرياض مقراً لها ، الجامعات والمؤسسات العلمية ، ومراكز البحوث في جميع أنحاء العالم **لترشيح من تراه مستحقاً لإحدى الجائزتين التاليتين :**

★ **جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ،** وموضوعها (الدراسات التي تناولت العلاقات الدولية في الإسلام بين المبادئ والتطبيق) .

★ **جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي ،** وموضوعها (الدراسات التي تناولت فنون النثر الأدبي الحديث) .

والمقرر منحها في عام ١٤٠٧ هـ ، وذلك ضمن شروط محددة حددتها الأمانة في إعلانها ، على أن آخر موعد لقبول الترشيحات هو **الرابع من شهر ذي الحجة ١٤٠٦ هـ ،** القادم .

الأقليات المسلمة في مؤتمر

عقد خلال الفترة من ١٢ ـ ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦ هـ ، مؤتمراً في مدينة الرياض ، تحت **إشراف وتنظيم الندوة العالمية للشباب الإسلامي ،** وموضوعه **(الأقليات المسلمة .. آلامها ، آمالها) ،** وذلك بمشاركة قيادات شبابية تمثل (٤٥٠ منظمة) من منظمات العمل الإسلامي في جميع أنحاء العالم مع مجموعة مختارة من مفكري الأمة الإسلامية ، وقد **نوقشت في المؤتمر عدة أمور لها صلة بموضوع المؤتمر منها :**

★ دور المؤسسات الإسلامية في مجتمع الأقليات المسلمة .

كلمة

كلود سيمون

قررت الأكاديمية السويدية منح **جائزة نوبل للأدب** لهذا العام للكاتب الفرنسي **كلود سيمون** . وقد جاء هذا القرار مفاجئاً لأن كلود سيمون لا يعد من الأدباء المعروفين على نطاق واسع عالمياً ، وإن كانت كتبه قد ترجمت إلى أكثر من عشرين لغة ، إذ إن كلود سيمون يعد من أصعب الكتّاب الروائيين ، والذي يتطلب من قارئ رواياته الصبر الشديد في التتبع والتوغل في عالمه الروائي .

وقد كان اسم كلود سيمون موضوعاً منذ عدة سنوات في قائمة الكتّاب المرشحين لجائزة نوبل إلا أنه لم يكن أحد يعتقد جدياً بأنه سيحصل على هذه الجائزة فعلاً ، إذ كان منح جائزة نوبل للأدب مقروناً دائماً بجوانب سياسية ، الأمر الذي كان يجلب انتقاداً دائماً للجنة منح الجوائز بأنها تريد من خلال هذا المنح إثارة ضجة سياسية فقط ، وفي هذه المرة وُصف منح الجائزة إلى كلود سيمون باعتباره توجهاً إلى الأدب الخالص ، وتقديراً للإبداع الأدبي في حد ذاته .

كلود سيمون يعد الثاني عشر من الكتّاب الفرنسيين الذين حصلوا على جائزة نوبل ومنهم **أناتول فرانس ، وهنري بيرجسون ، وأندريه جيد ، وألبرت كامو ،** وأخيراً **جان بول سارتر ،** الذي رفض استلام الجائزة في عام ١٩٦٤ م .

سيرته

ولد كلود سيمون عام ١٩١٣ م ، **في مدغشقر ،** وكان والده ضابطاً في الجيش الفرنسي هناك ، بعد حوالي نصف سنة من مولده ، عاد الوالدان إلى **فرنسا ،** وبعد فترة قصيرة بعد ذلك ، فقد كلود سيمون كلا والديه ، وعاش في رعاية أقربائه الذين كانوا من مزارعي الكروم منذ فترة طويلة ، وكلود سيمون نفسه إضافة إلى توجهه للكتابة الأدبية ، فإنه يمارس زراعة الكروم ، ويعتبر نفسه مزارعاً من حيث المهنة . وعالم المزارعين هذا يجد له انعكاساً واضحاً في روايات سيمون .

في بداية شبابه ، كان من المقرر أن يغدو كلود سيمون مهندساً ، إلا أنه بدأ يتوجه إلى الرسم والتصوير الفوتوغرافي ، وكان مثله الأعلى **سيزان ،** والطابع الصوري لهذين الفنين واضح وملموس في روايات سيمون . في الثلاثين من عمره بدأ الكتابة الأدبية ، وكان متأثراً بدرجة كبيرة **بمارسيل بروست** . وفي عام ١٩٣٦ م ، ذهب إلى **إسبانيا ،** وقاتل أثناء الحرب الأهلية إلى جانب الجمهوريين ، وهذه المغامرة الثورية التي جلبت كثيراً من الأدباء والفنانين الأوروبيين في تلك الفترة تكون مادة رواية **القصر** التي صدرت عام ١٩٦٢ م .

أثناء **الحرب العالمية الثانية** ألقي القبض عليه من قبل النازيين ، إلا أنه تمكن بعد ذلك من الهرب إلى المناطق التي لم يحتلها النازيون من فرنسا .

رواياته

روايته الأولى ظهرت عام ١٩٤٥ م ، والتي لم تجذب له إلا قدراً ضئيلاً من الاهتمام . بعد ظهور روايته **(الريح)** في عام ١٩٥٧ م ، أصبح ينظر إليه باعتباره أحد أعضاء الرواية الجديدة ، تلك المدرسة الأدبية التي أثارت في ذلك الوقت جدلا واسعاً في عالم الأدب ليس في فرنسا وحدها ، وإنما خارجها أيضاً ، والتي كانت تعتني بالخروج والانعتاق من تقاليد الرواية الكلاسيكية . ومن أهم ممثلي هذا الاتجاه الأدبي **ألن روب غرييه ، وناتالي ساروت وميشيل بوتور .**

منذ عام ١٩٥٨ م ، بدأ كلود سيمون يشق طريقه الخاص الذي يظهر متميزاً في رواياته التي صدرت بعد ذلك ، وهي العشب ، شوارع الفلاندر ، معركة عند فارسالوس وحتى في آخر رواياته التي صدرت عام ١٩٨١ م ، (Les Géorgighes) .

نقد أعماله

في إحدى المقابلات أجاب كلود سيمون على الانتقاد الذي وجه إليه من أن رواياته يسود فيها الشكل بقوله : بالنسبة لي الشكل والمضمون هما شيء واحد ، والروائي الذي يريد أن يقول شيئاً جديداً ينبغي له أن يجد شكلاً جديداً أيضاً . الاختراع والتجديد شرطان لا محيد عنهما حينما يريد المرء أن يخلق أي شيء في الأدب .

وقد استخدم كلود سيمون الاستعارة التالية للتدليل على ما يعني بقوله السابق : الإنسان الأول الذي شبّه امرأة ما بالزهرة كان عبقرياً . الشخص الذي قال ذلك للمرة الثانية كان غبياً .

الشخص الذي يدخل عالم روايات كلود سيمون سيتأكد أنها شكلياً مليئة بالإدراكات الحسية ، الألوان ، الروائح ، الأشكال التي لها تجاربها هي الأخرى في محيط الإنسان . العرض عنده يتكون من عرض ما هو موجود في الذاكرة من انطباعات وأحاسيس ، إضافة إلى الإحساس بأجواء مارسيل بروست في رواياته ، فإنها تشابه من ناحية أخرى السرد الملحمي **لوليم فوكنر** . رغم الشكلية في رواياته ، فإن الجفاف الذهني هو آخر ما يمكن أن يُنتقد كلود سيمون عليه . الماضي ، الانهيار ، الذكريات ، الحب والموت الذي يظهر في رواياته باستمرار من أهم موضوعات كلود سيمون .

في رواية **(العشب)** مثلاً ، يقف الموت البطيء لامرأة عجوز في مركز الرواية . هنا كما في رواياته الأخرى يتوصل انطلاقاً من شخص معين ، من لحظة معينة إلى خلق عالم ذي أبعاد تاريخية عميقة . من خلال لغة مطولة إلى حد كبير تتكوم فيها الصور بدقة ، تلك الصور التي تثير تشاركاً في الخواطر مع المؤلف وعالمه .

كلود سيمون يريد في رواياته دائماً وأبداً إبراز الواقع ، والإمساك بدقائقه ، وكلود سيمون يكشف لنا أن إدراكنا مطبوع بما تعلمناه ، وعشناه سابقاً عن الواقع . ورواياته تتضمن عدداً لا نهاية له من القصص المتفردة ، التي هي في الوقت نفسه تبتعد جذرياً عن العرض القصصي التقليدي .

في رواياته مثل : القصر ، شوارع الفلاندر انعكاس لتجارب عاشها بنفسه مثل الحرب الأهلية في إسبانيا في الأولى وهزيمة فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية في الرواية الثانية ، ومع ذلك فإنه من الخطأ الاعتقاد بأن هذه الروايات نوع من سيرة ذاتية . وقد قال **كلود سيمون مرة** : إن الواقع المسرود والموصوف بالنسبة للروائي حقيقة متذكرة ، وهذه الحقيقة المتذكرة لا يمكن أن تكون الواقع نفسه وهو يعني بذلك أن ما نعيشه ينطبع في ذاكرتنا ويأخذ دوماً أبعاداً أخرى ، أبعاداً ذاتية .

كلود سيمون كان دوماً كاتباً منعزلاً إلى حد كبير ، وفي السنوات التي أثير فيها جدل عن التزام الكاتب هاجم في عام ١٩٦٥ م ، **سارتر** الذي كان من أهم الداعين إلى التزام الأديب والفنان سياسياً . فأما أن يكون للكاتب وكتاباته واجب تجاه أدبه وقرائه ، فهو شيء يعترف به كلود سيمون : إنه فتح المجال أمام انطلاق الخيال ، وعالم بدون خيال هو شبيه بكابوس ، شبيه بمعسكر اعتقال كبير ، الطعام فيه متوفر ، العمل سهل ، الأغطية دافئة ، السقوف وطيدة ، ولكن ساكني هذا المعتقل لم يعودوا بشراً وإنما حيوانات .

في رواياته يتجنب كلود سيمون كل ما هو بسيكولوجي ، ويقول من يريد أن يعرف شيئاً عن علم النفس ينبغي له أن يتناول الكتب المختصة بهذا المجال .

في روايته الأخيرة والأكثر نجاحاً بين رواياته (**Les Géorgighes**) هي قصة لتاريخ عائلة تمتد جذورها إلى قرنين إلى الوراء ، إلى عهد **نابليون** . الرواية صدرت في عام ١٩٨١ م .

في تعليلها لمنح الجائزة لكلود سيمون ، ذكرت الأكاديمية السويدية أن سيمون قد وحد في أعماله إبداع الشعر والرسم مع تفهم عميق للوقت في الوجود الإنساني .

أميرة فيصل

★ دراسات متخصصة في أقلية مسلمة معينة .

★ تجارب رائدة في مجال العمل الإسلامي لدى بعض الأقليات المسلمة .

★ المشكلات التي تواجه الأقليات المسلمة .

★ دراسة إحصائية عن الأقليات المسلمة في العالم .

★ برامج وخطط للأقليات المسلمة في العالم .

★ قضايا اللاجئين المسلمين في العالم .

★ حقوق الأقليات المسلمة .

★ مسؤوليات المسلمين المواطنين في بلاد غير إسلامية .

★ استراتيجية الدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية .

★ وضع اللغة العربية في أوساط الأقليات المسلمة .

★ أحكام شرعية عن الأقليات المسلمة .

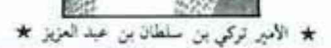
أمسية شعرية

أقيمت بنادي الطائف الأدبي ضمن نشاطه المنبري ، **أمسية شعرية** أحياها كل من الشعراء : (عبد الله محمد جبر ، وعلي صالح الغامدي ، وعلي حسين الفيفي) ، حضرها العديد من المهتمين .

الإعارة بين مكتبات الخليج

عقدت في الرياض تحت رعاية مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ندوة تحت عنوان « **نظام الإعارة بين مكتبات جامعات دول الخليج الأعضاء بمكتب التربية العربي** » ، وذلك بحضور عمداء المكتبات ورؤساء الأقسام بها والمختصين .




★ الأمير تركي بن سلطان بن عبد العزيز ★

نوقشت في الندوة عدة أمور لها علاقة بموضوع الندوة، وأوصت بالأمور التالية:

★ تطبيق نظام الإعارة بين مكتبات جامعات دول الخليج.

★ تحقيق الخدمة المنشودة لتطبيق النظام مثل الأدوات الببليوجرافية، والعمل على استكمال أدوات التوحيد القياسية كالفهارس الموحدة للكتب والدوريات والمطبوعات الحكومية والرسائل والمخطوطات بأشكالها التقليدية والآلية.

أوصت الندوة بتجهيز وحدات إدارية وفنية في كل مكتبة للعمل على تطبيق النظام ومتابعته، ودعمها فنياً وإدارياً، واستخدام الحاسب الآلي مع مراعاة الاستفادة من تجارب الجامعات السابقة، وتأمين متطلبات آلية للنقل السريع للمعلومات عن طريق البث المصور.

كتب جديدة

● «دليل علم كيمياء الأنسجة»، تأليف الدكتور نور الطيب وبشير جرار، صدر عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض.

● «الأقليات المسلمة في الأمريكتين والبحر الكاريبي»، بقلم سيد عبد المجيد بكر، صدر ضمن السلسلة الشهرية التي تصدر عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

● «مسيرة المرأة السعودية إلى أين»، تأليف سهيلة زين العابدين، صدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة.

● «المرأة بين الإفراط والتفريط»، تأليف سهيلة زين العابدين صدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة.

● «كل ما تريد أن تعرفه عن مرض المناعة المكتسبة (أيدز)»، تأليف الدكتور حرب عطار الهرفي، صدر عن تهامة ضمن سلسلة مطبوعاتها.

● «التعليم الفني والتدريب المهني»، كتاب وثائق، صدر عن المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني بالرياض.

● «الإعلام العسكري»، تأليف الأمير تركي بن سلطان بن عبد العزيز، صدر عن دار الوطن للنشر والإعلام بالرياض.

● «أنفاس... على جدار القلب»، تأليف عبد الله عبد الرحمن جفري، صدر ضمن سلسلة كتاب الشرق الأوسط.

● «صباح الخير»، بقلم جهاد الخازن، صدر ضمن سلسلة كتاب الشرق الأوسط، التي تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق.

● «ابن الجوزي وتربية العقل»، تأليف الدكتور عبد الرحمن صالح عبد الله، صدر بمكة المكرمة.

صدرت الكتب التالية عن نادي أبها الأدبي:

★ «محطات أمل الشباب»، تأليف الدكتور عبد اللطيف حسين فرج.

★ «النهج الإبداعي للآمدي الناقد»، تأليف الدكتور عبد الحميد العبيسي.

★ «خراف الأيام»، تأليف راشد الحمدان.

● «وثائق للتاريخ»، صدر عن المركز الإعلامي بجدة.

● «صلاح الدين والصليبيون»، دراسة أعدها عبد الله سعيد محمد الغامدي، صدرت في كتاب عن مكتبة الفيصلية بمكة المكرمة.

● «السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول ـ دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله»، تأليف الدكتورة نادية حسني صقر، صدر عن المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة.

في دائرة الضوء

● الكتاب: الشخصيات العشرون.

● المؤلف: محمود تيمور.

الكتب التي تعنى بالذكريات وخاصة ذكريات الأدباء والمفكرين هي من أمتع ما يقرؤه الإنسان. في هذه الكتب يجد القارئ أن الأديب يجذبه بلغة الأحاسيس والمشاعر وهو في أصفى وأروع لحظات وجوده، لحظات من الفكر والتفاعل مع الأشخاص والأحداث. في هذه الكتب يجد القارئ ما خفي عليه من طبيعة الناس في لحظات جدهم ولهوهم في تفاعلهم مع الحياة، في تعاملهم مع المشكلات والأشخاص، في لحظات غضبهم ورضاهم، في أوقات حزنهم وسرورهم، في الانطباعات المتباينة التي يتركونها في نفس المؤلف. قد يعرف القارئ بعض سير هؤلاء الشخصيات الأدبية من قريب أو بعيد، بالقراءة أو بالسماع أو بالاحتكاك المباشر، ولكنه لا يمكن أن يعرف مقدار ما يعرفه من لازمهم وعاش معهم وخالطهم. كما أن من يكتب عن الشخصيات من الناحية الفكرية أو الوجدانية، يضيف إلى ذلك بعداً آخر، هو انطباعه الشخصي الذي يتأثر سلباً أو إيجاباً بمدى صلته بهم وبتأثره أو تأثيره فيهم.

وكتاب «الشخصيات




★ راشد الحمدان ★



★ عبد الله جفري ★





★ د. سمير سرحان ★

مصـــــــر :

مهرجانان .. في المنيا ودمياط

يعقد في جامعة القاهرة خلال هذا الشهر مارس (آذار) ١٩٨٦م، **المهرجان السنوي الثاني عشر** الذي تقيمه **جامعة المنيا في ذكرى طه حسين**، يستمر المؤتمر أربعة أيام، وتناقش فيه عدة أمور هامة تتعلق بالعربية منها :

★ مشكلات اللغة العربية كموضوع أساسي للبحث والدراسات والمعاجم وتعليم اللغة للأجانب.

★ المشكلات الإملائية والنحوية والصرفية، وذلك بمشاركة أكثر من ٢٠٠ شخصية من رجال الفكر والأدب والإعلام، وأساتذة من الجامعات العربية والعالمية.

ومن ناحية أخرى تقيم كلية التربية بدمياط، خلال هذا الشهر، مهرجاناً أدبياً تكريماً للدكتور (زكي نجيب محمود). ويعد هذا المهرجان التظاهرة الثقافية الثانية التي تقيمها كلية التربية، وذلك بعد الاحتفاء **بالدكتور شوقي ضيف** في العام الماضي.

يشارك في هذا المهرجان أساتذة الفلسفة والنقد الأدبي في مصر وبعض الدول العربية، حيث تناقش مجموعة من الأبحاث التي لها علاقة بفكر ومؤلفات زكي نجيب محمود المفكر والمؤلف والأديب والكاتب.

معرض للكتاب

أقيم في القاهرة خلال شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٦م، الماضي، **المعرض الدولي الثامن عشر للكتاب**، وذلك بأرض المعارض بالجيزة.

شارك في المعرض عدد من الناشرين العرب والأوروبيين، وعرضت فيه العديد من الكتب القديمة والحديثة، مما جعله بعد يحق تظاهرة ثقافية مثيرة، دعت لجلب عدد كبير من المثقفين للمشاركة فيه.

كشف أثري

عثرت بعثة الآثار المصرية على مجموعة **من مقابر أثرية** عليها نصوص باللغة الهيروغلوفية، ترجع إلى عصر الدولة الحديثة، وذلك بالقرب من مدينة (أخميم) في محافظة سوهاج.

كما كشفت بعض القطع الأثرية الأخرى التي ترجع إلى الأسرة ٢٦ المعروفة لدى الأثاريين.

لجنة لقضايا الكتاب

تشكلت لجنة لاختيار مجموعة من أعمال كبار الأدباء في مصر تمهيداً لنشرها في طبعات شعبية بسعر التكلفة، بهدف حل أزمة الكتاب المصري وتوفيره في المكتبات بأسعار مناسبة.

الجدير بالذكر أن هذه الهيئة قد جاءت بتشكيل من رئيس مجلس هيئة الكتاب في مصر **الدكتور سمير سرحان**.

مهرجان شعري

أقيم بدار العلوم خلال شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٦م، **مهرجان شعري أحياه كل من الشعراء :** (فاروق شوشة، ومحمد إبراهيم أبو سنة، وإبراهيم عيسى، ومحمد التهامي، وملك عبد العزيز، وزينب أبو النجا، وعبد اللطيف عبد الحليم)، وحضره العديد من المهتمين.

كتب جديدة

● «**سارة**»، **قصة الراحل عباس محمود العقاد**، صدرت في طبعة جديدة عن **دار المعارف بالقاهرة** ضمن سلسلة «**اقرأ**».

● «**قصة التفسير**»، تأليف أحمد ...

العشرون»، من الكتب الممتعة التي ألفها القصصي الراحل محمود تيمور، صدر في عام ١٩٦٩م، بالقاهرة. وقد تحدث فيه المؤلف عن عشرين شخصية أدبية. وتشمل هذه الشخصيات صفوة من أعلام الفكر والأدب والشعر والصحافة وهم : أحمد لطفي السيد – طه حسين – عبد العزيز فهمي – أحمد أمين – عباس العقاد – إبراهيم المازني – منصور فهمي – محمد حسين هيكل – أنطون الجميل – نجيب الريحاني – الشيخ أبو العيون – فكري أباظة – بشر فارس – زكي طليمات – إبراهيم ناجي – زكي عبد القادر – حسين شفيق – إسماعيل تيمور – محمد تيمور – عائشة تيمور.

وقد عني المؤلف بأن يبرز تلك الشخصيات في صور فنية تتناول جوانب من حياتهم بفصل ما كان بينه وبينهم من الصداقة أو القرابة وصلات الزمالة والميول الأدبية، كما تبرز النواحي التي نبغوا فيها.

وفي هذا الكتاب تبرز كثير من الصور المضيئة عن تلك الشخصيات التي أثرت في الحياة الفكرية والأدبية في مصر والعالم العربي، كما تدعو إلى مزيد من التأمل والتفكير لبحث الجوانب الخفية في تاريخ ثقافتنا المعاصرة.

د. أحمد عبد القادر المهندس
الرياض

* * *




★ جهاد الكبيسي ★


★ د. علي شلش ★

الشرباصي، صدر في طبعة جديدة عن **هيئة الكتاب بالقاهرة**.

● «**دليل المجلات الأدبية ١٩٣٩ ـ ١٩٥٢ م**»، إعداد **الدكتور علي شلش**، صدر في **القاهرة**.

● «**صناعة الجهل**»، تأليف **الدكتورة نعمات أحمد فؤاد**، صدر عن **دار المستقبل العربي بالقاهرة**.

● «**سارق الكحل**»، مجموعة قصصية، للقاص **يحيى حقي**، صدرت في **القاهرة**.

● «**الوداع تاج من العشب**»، **مجموعة قصصية**، تأليف **عبده عبيد**، صدرت عن **الهيئة العامة للكتاب** ضمن سلسلة «**مختارات فصول**».

● «**حاضر العالم الإسلامي**»، تأليف **عبد العظيم عبد العزيز سبيع**، صدر عن **مكتبة السلام العالمية بالقاهرة**.

● «**الفضيحة والستر**»، مجموعة قصصية، تأليف **جهاد عبد الجبار الكبيسي**، صدر عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب**، ضمن سلسلة «**الإبداع العربي**».

سورية :

كشف أثري

عثرت البعثات الأثرية الدولية، التي تعمل تحت إشراف المديرية العامة للآثار والمتاحف خلال موسم تنقيب عام ١٩٨٥ م، **على مجموعة من المكتشفات الأثرية، ولعل من أهمها :**

★ ١٠٠ لوحة مسمارية تعود إلى العصر البابلي الأول، وذلك في موقع «تل ليلان».

★ مبنى من اللبن المشوي، حيث يعتبر نموذجاً راقياً في فن العمارة القديمة.

★ مسلة حجرية مؤلفة من أربعة وجوه نقشت عليها رسوم ومشاهد تشير إلى تطور الفن السوري التشكيلي القديم، ويعود تاريخ هذه المسلة إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وقد اكتشفت في موقع «إيبلا» الأثري.

★ موقع جديد يعد شاهداً على قيام حضارة في موقع «تل خويرة» الواقع عند منتصف المسافة بين مدينتي رأس العين وتل أبيض.

★ أوابد أثرية تعود لعصر مملكة أوراك في الألف الرابع قبل الميلاد، وذلك في موقع «الشيخ حسن» الأثري.

★ كما تم العثور على عدد من البيوت والتماثيل البازلتية، وتمثال صغير من الرصاص.

★ كما تم اكتشاف بوابة لمدينة قديمة يعود تاريخها إلى الألف الثاني قبل الميلاد.

كتب جديدة

● «**إني أواصل الأرق**»، تأليف **الشاعر سليمان العيسى**، صدر عن **دار طلاس**.

الجزائر :

كشف أثري

عثرت بعثات أثرية تعمل تحت إشراف **وزارة الثقافة والسياحة الجزائرية**، على عدة آثار تاريخية هامة في عدة جهات من ولاية **بجاية** منها :

★ المجمع السكني الذي اكتشف في بلدة **بوني** الذي يرجع تاريخه إلى آلاف السنين قبل الميلاد.

★ بقايا حمامات، ومعاصر للزيتون، وأواني فخارية استعملت في عصور متباينة، وتغلب عليها المسحتان البربرية والإسلامية وخاصة منها ما يعود إلى **العهد الفاطمي**.

كتب جديدة

● «**مع الشهداء**»، ديوان شعر للشاعر **أحمد الطيب**، صدر عن **دار الشهاب للطباعة والنشر**.

● «**المسلمون في تاريخ الحضارة**»، تأليف **ستانو ودكب**، ترجمة **الدكتور محمد فتحي عثمان**، صدر عن **ديوان المطبوعات الجامعية**.

● «**الغارة على العالم الإسلامي**»، تأليف **أ. ل. شاتليه**، ترجمة وتلخيص **محب الدين الخطيب**، صدر عن **المطبوعات الجامعية**.

● «**قواعد وأحكام في الاقتصاد الإسلامي**»، تأليف **الدكتور يوسف العظم**، صدر عن **المطبوعات الجامعية**.

● «**الخلدونية ـ العلوم الاجتماعية وأساس السلطة السياسية**»، تأليف **الدكتور نور الدين حقيق**، **تحقيق إلياس خليل**، صدر عن **ديوان المطبوعات الجامعية**.

● «**أوراق في النقد الأدبي**»، تأليف **إبراهيم رماني**، صدر عن **دار الشهاب للطباعة والنشر**.

● «**قصائد للحزن**»، ديوان شعر **للشاعر سليمان جؤادي**، صدر عن **المؤسسة الوطنية للكتاب**.

العراق :

ترجمة مائة كتاب

خدمة للمثقف العربي، ورغبة في جعله يقف على مناحي الإبداع، فقد **قررت «دار آفاق عربية»** العراقية تنفيذ مشروع ثقافي جديد يهدف إلى **ترجمة مائة كتاب**، مختار من الكتب الأجنبية الحديثة في شتى حقول المعرفة، ويتولى عملية الترجمة والمراجعة عدد من الأدباء والمترجمين العراقيين والعرب.



★ د. نعمات أحمد فؤاد ★

من أبرز الكتب التي سيتم نقلها للعربية :

★ نقطة التحول .

★ الواقع والبلاغة .

★ كيفية إنهاء الحرب النووية .

★ عصر الأيديولوجيات .

★ الواقعية الجديدة .

★ علم الفلك والخيال .

★ أساليب الكتابة الحديثة .

★ نظرية الأدب النسوي .

★ الرسم والقصة .

★ قادة الوعي .

أحداث عام ١٩٨٥م

أصدر مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي الذي يتخذ من بغداد مقراً له ، **ملفاً** يشتمل على أحداث عام ١٩٨٥م ، العربية والعالمية السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية .

والمركز بهذا العمل الذي سيقوم به سنوياً يخدم الباحثين والعاملين في المؤسسات الإعلامية والمهتمين بشؤون العالم المختلفة .

صالة للفنون

أقامت الفنانة التشكيلية العراقية وداد الأورفلي أول صالة للفنون بالعراق لعرض الأعمال الفنية فيها .

وتتضمن الصالة ، بالإضافة إلى أعمال الفنانة عدة أعمال فنية أخرى مثل :

★ **صورة للملك فيصل الأول** ـ أول ملك للعراق بعد الاستقلال .

★ **صورة أخرى لمؤسس تركيا الحديثة كمال أتاتورك .**

★ **كمنجة نمساوية** يعود تاريخها إلى سنة ١٧٣١م .

محاضرات

● «المدائح النبوية وأثرها في الفكر الإسلامي» ، محاضرة ألقاها الدكتور محمد بن سعد بن حسين بنادي مكة المكرمة الثقافي .

● «الأيدز المأساة الطبية» ، محاضرة ألقاها الدكتور سامي السيد فتح الله بالمعهد الصحي الثانوي بالدمام .

● «صيغة الميلاتونين والغدة الصنوبرية» ، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الوهاب إبراهيم بمستشفى الدمام المركزي .

● «فهم وتطبيق الرعاية الصحية الأولية» ، محاضرة ألقاها الدكتور حسن بله بالمستشفى المركزي بالدمام .

● «الطرق الحديثة للتوليد» ، محاضرة ألقاها الدكتور ديزاد سباي بمستشفى القطيف العام .

● «الخطوط الرئيسية للنظام الاقتصادي الإسلامي» ، محاضرة ألقاها الدكتور منذر قحف بالمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة .

● «التوراة والإنجيل بين الأصل والموجود» ، محاضرة ألقاها الدكتور محمد عبد القادر خليل بنادي مكة المكرمة الثقافي .

● «كيف نقرأ القرآن الكريم بالكمبيوتر» ، محاضرة ألقاها الدكتور إدريس الخرشاف بمسجد باريس .

● «التنمية في المملكة ـ التحديات الاقتصادية المعاصرة والفعالية الإدارية» ، محاضرة ألقاها الدكتور حسن أبو ركبة بالنادي الثقافي بجدة .

● «أثر الإيمان في بناء الشخصية» ، محاضرة ألقاها الدكتور تهامي نقره بمركز الدراسات الأمنية بالرياض .

● «برامج الحج في التنظيمات الجديدة» ، محاضرة ألقاها عبد الله بوقس بنادي مكة المكرمة الثقافي .

بالإضافة إلى هذا ، فإن الفنانة تنوي توسيع صالتها هذه لتتحول إلى قرية للفن تشمل مهنة التصوير ، وصنع الخزف ، والموسيقى ، وتصميم الأزياء .

السودان

معرض من أجل الجفاف

نظمت دار جامعة الخرطوم للنشر بالتعاون مع **مؤسسة الإعلام** ، وعدد من دور النشر العربية والعالمية **أضخم معرض للكتاب من نوعه يقام في السودان** من أجل **إغاثة منكوبي الجفاف والتصحر** ، وذلك بنادي ناصر الثقافي بالخرطوم ، عرضت فيه عناوين مختلفة قديمة وحديثة ، وحضره عدد كبير من الزوار ومحبي الثقافة خدمة للآخرين .

كتب جديدة

● **«العودة إلى سنار»** ، ديوان شعر **للدكتور محمد عبد الحي** ، صدر في طبعته الثانية عن **دار جامعة الخرطوم للنشر** .

● **«حديقة الورود»** ، ديوان شعر **للدكتور محمد عبد الحي** ، صدر عن **دار جامعة الخرطوم** .



البحرين

خليج الغد

أصدرت جامعة الخليج العربي، التي تتخذ من المنامة مقراً لها **أول عدد من صحيفتها «خليج الغد»**.

جاءت هذه الصحيفة في عددها الأول حافلة بشتى الموضوعات والتحقيقات الصحفية والدراسات الأكاديمية المعدة من قبل أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، ومتخصصين من الخارج، وذلك بالإضافة إلى النتاج الفكري للمبتعثين إلى الخارج.

الأردن

كتب جديدة

● **«أشجار لكل الفصول»**، ديوان شعر **للشاعر محمود الشلبي**، صدر عن **دار الكرمل بعمّان**.

فلسطين

كتب جديدة

● **«انتخابات الكنيست الحادي عشر ١٩٨٤م، والأبعاد السياسية والاجتماعية»**، تأليف **سمير جبور**، صدر عن **مؤسسة الدراسات الفلسطينية**.

الإمارات العربية

مجلس جديد لاتحاد الكتّاب

انتخبت إدارة جديدة لمجلس اتحاد الكتّاب بالإمارات العربية المتحدة، وذلك على النحو التالي:

★ عبد الحميد أحمد: رئيساً للاتحاد.

★ نجيب الشامسي: نائباً للرئيس.

★ عبد الناصر سجواني: أميناً عاماً للسر.

★ ناصر جبران: أميناً للصندوق.

★ علي أبو الريش: مسؤولا عن القضايا الفنية والنشر.

★ أحمد راشد ثاني: مسؤولا عن القضايا الثقافية.

★ مريم جمعة فرج: مسؤولة عن العلاقات الخارجية.

لبنان

التحرير

اسم مجلة لبنانية جديدة تصدر من طرابلس، وهي أسبوعية ويديرها منيف رستم.

موضوعاتها متنوعة تتراوح بين السياسية والمحلية والإقليمية والدولية والثقافية، حيث جاءت في عددها الأول حاوية عدة **مواضيع من بينها الموضوعات التالية:**

★ مقالة تحليلية حول واقع أزمة الثقافة العربية الراهنة، بقلم الشاعر **نزار القباني**.

★ مقابلة مع الروائي المصري **نجيب محفوظ**.

★ تقرير من دمشق عن مهرجانها السينمائي الأخير.

المغرب

كتب جديدة

● **«تاريخ وجدة ...»**، تأليف **الدكتور إسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي**، صدر **في المغرب**.

أندونيسيا

التراث السعودي

قام معهد تعليم اللغة العربية بأندونيسيا التابع **لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** بالاشتراك في المعرض الثقافي الذي أقامته (**جامعة تريتاكتي الأندونيسية**)، والذي اشتركت فيه عدة جامعات ومؤسسات حكومية وأهلية، وذلك بعرض بعض المعروضات التي تمثل البيئة والتراث السعودي، بالإضافة إلى عرض مجموعة كبيرة من كتب التراث والثقافة الإسلامية.

المكسيك

معرض عالمي للكتاب

يقام في المكسيك المعرض العالمي السابع للكتاب، وذلك بمشاركة **العديد من دور النشر العالمية**، ومن بينها **دور النشر العربية**، حيث خصص لها جناح تشرف عليه **الجامعة العربية** وفيه أبرز النتاجات الثقافية والأدبية والعلمية العربية التي تشتمل على مختلف شؤون المعرفة.

فرنسا

وفاة مارسيل أرلان

توفي الكاتب والأكاديمي الفرنسي «مارسيل أرلان»، وذلك عن عمر يناهز السادسة والثمانين، حيث كان من مواليد عام ١٩٠٠م، وذلك إثر إصابته بنوبة قلبية حادة.

المعروف أن مارسيل كان قد **ألّف في حياته العديد من الأعمال الأدبية** منها القصة والرواية والبحث طوال نصف قرن من الزمان، وهو مع ذلك **كان من ركائز (المجلة**



★ ليوبولد سنغور ★

الفرنسية الجديدة)، وهي مجلة أدبية شهيرة، حيث شغل منصب المدير المناوب لها بالاشتراك مع (جان بولهان)، وذلك خلال الفترة من عام ١٩٥٣م، حتى عام ١٩٦٨م، ثم انفرد بعد ذلك بإدارتها، وقد انتخب منذ عام ١٩٦٨م، ليكون **عضواً في الأكاديمية الفرنسية خلفاً (لأندريه موروا)**.

الجدير بالذكر أن مارسيل قد ترك إنتاجاً يضم أربعين كتاباً من بينها العديد من القصص التي مكنته من الحصول على «**جائزة جونكور الأدبية**» في عام ١٩٢٩م، عن مؤلفه «**النظام**»، **وجائزة الأدب الكبرى من الأكاديمية الفرنسية** عام ١٩٥٢م، وأخيراً **الجائزة الوطنية الكبرى للآداب** في عام ١٩٦٠م.

من قصص مارسيل «**أرض أجنبية**»، صدرت عام ١٩٢٣م، و«**مسقط رأس**»، في عام ١٩٣٨م، و«**العفو الكبير**» عام ١٩٦٥م، بالإضافة إلى مقالات أدبية مثل: «**باسكال**» كتبه عام ١٩٤٧م، و«**الرسم الحديث**» كتبه عام ١٩٤٩م، و«**ماريغو**» كتبه عام ١٩٥٠م.

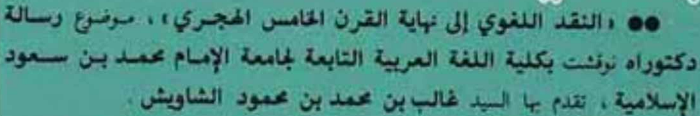
قاموس الأكاديمية وسنغور

انتخب الرئيس السنغالي السابق والشاعر العالمي ليوبولد سنغور ليكون **عضواً في اللجنة المشرفة على الأكاديمية الفرنسية**.

المعروف أن هذه اللجنة مكونة من اثني عشر عضواً، وتقوم بإكمال العمل الذي بدأ منذ عام ١٩٣٥م، وذلك بوضع نسخة جديدة من المعجم المذكور، حيث تعهدت بالانتهاء منه خلال اثني عشر عاماً اعتباراً من عام ١٩٨٥م.

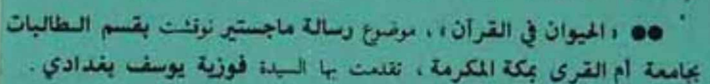
جائزة مدينة باريس

حصل الفنان التشكيلي (جان بول





رسائل جامعية



●● «**النقد اللغوي إلى نهاية القرن الخامس الهجري**»، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، تقدم بها السيد **غالب بن محمد بن محمود الشاويش**.

●● «**الحيوان في القرآن**»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بقسم الطالبات بجامعة أم القرى بمكة المكرمة**، تقدمت بها السيدة **فوزية يوسف بغدادي**.

●● «**سياسة الدولة العثمانية في نجد والحجاز خلال الحرب العالمية الأولى من ١٣٣٢ ـ ١٣٣٧هـ**»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية تربية البنات بجدة**، تقدمت بها السيدة **لطيفة ناصر المطلق**.

●● «**الحياة العلمية في العراق خلال العصر السلجوقي**»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة**، تقدم بها السيد **مريزن العسيري**.

●● «**إتحاف الورى في أخبار أم القرى لنجم الدين عمر بن فهد ـ تحقيق ودراسة**»، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بجامعة أم القرى بمكة المكرمة**، تقدم بها السيد **عبد الكريم علي الباز**.

●● «**الصحابيات في مسند الإمام أحمد بن حنبل**»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية تربية البنات بالرياض**، تقدمت بها السيدة **مريم ياسين فطاني**.

●● «**محمد إقبال وموقفه من الحضارة العربية**»، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بجامعة أم القرى بمكة المكرمة**، تقدم بها السيد **خليل الرحمن عبد الرحمن**.

●● «**كتاب الرضاع وكتاب النفقات من كتاب الحاوي الكبير للماوردي ـ تحقيق ودراسة**»، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بجامعة أم القرى بمكة المكرمة**، تقدم بها السيد **عامر سعيد الزياري**.

●● «**ديوان الجند ـ نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر الخليفة المأمون**»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية التابعة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة**، تقدم بها السيد **عبد العزيز عبد الله السلومي**.

●● «**النزعة الإسلامية للشعر السعودي المعاصر**»، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض**، تقدم بها السيد **حسن بن فهد الهويمل**.

●● «**عناصر سياسة اقتصاد الرّحل في عهد ما قبل الاستعمار في الجزائر**»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **في جامعة الجزائر**، تقدم بها السيد **حاكم رمضان**.

●● «**الحاجيات الاجتماعية والتنمية في الجزائر**»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **في جامعة الجزائر**، تقدم بها السيد **الحاج علي محمد**.

●● «**المكان في فلسفة ابن سينا**»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية آداب جامعة بغداد**، تقدم بها السيد **حسن مجيد العبيدي**.




★ نورمان ميللر ★

ريوبل) على **جائزة باريس السنوية هذا العام** ، التي تمنح سنوياً لعدد من الفنانين في المجالات الفنية المختلفة .

وكان (جان بول) الذي ولد في **مونتريال بكندا** عام ١٩٢٤م ، قد اتجه إلى باريس عشية **الحرب العالمية الثانية** ، ثم بدأ يعرض أعماله إلى جانب الفنانين التجريبيين الكبار .

أحدث الكتب

● **« المخابرات السوفييتية في فرنسا »** ، صدر في **باريس** ، **بقلم أحد محرري مجلة «لوبوان» الأسبوعية** .

● **« العباءة السوداء »** ، **ترجمة** وإعداد الكاتبة العراقية **إقبال القزويني** ، صدر عن **دار نشر إكسبرس أديشن** باللغة الفرنسية .

● **« المرأة في الرسم الاستشراقي »** ، تأليف **لين تورنتون** ، صدر في **باريس** .

● **« روايات ما قبل »** ، مجلد يتضمن **الأعمال الروائية الكاملة للروائي الفرنسي (جي . اش . روزني انيه)** رئيس **أكاديمية غونكور** سابقاً ، صدر في **باريس** .

● **« أم كلثوم ــ كوكب الشرق »** ، كتاب وضعته **إيزابيل صياح** ، صدر عن **دينويل للنشر بباريس** .

● **« ما بعد الحياة ، معتقدات وأبحاث حول الحياة ما بعد الموت »** ، تأليف **هيلين رينار** ، صدر في **باريس** .

● **« تاريخ الأدب الخيالي في فرنسا »** ، تأليف **مارسيل شنيدر** ، صدر في **طبعته الثانية بباريس** .

بريطانيا :

وفاة إيشروود و غريفز

توفي المؤلف البريطاني الأصل **(كريستوفر إيشروود)** عن (٨١) عاماً ، وذلك في منزله **بسانتا مونيكا** .

المعروف أن إيشروود هو **مؤلف القصة المعنونة «وداعاً برلين»** ، التي تحولت إلى فيلم سينمائي بعنوان **«كباريه»** ، حيث عرض في الستينات من هذا القرن .

ومن ناحية أخرى توفي الشاعر والروائي البريطاني (روبرت غريفز) عن عمر يناهز التسعين عاماً ، حيث كان من مواليد عام ١٨٩٥م ، وفي عام ١٩٢٩م ، انتقل إلى **جزيرة مايوركا** ، ولم يغادرها إلا خلال **الحرب الأهلية الإسبانية** التي وقعت خلال الفترة من عام ١٩٣٦م ، إلى عام ١٩٣٩م ، وكان هذا الشاعر قد اكتسب شهرة عالمية بعد نشر كتابه **(وداعاً لذلك كله)** ، الذي روى فيه ذكرياته خلال الحرب العالمية الأولى ، وله غير هذا الكتاب العديد من الدواوين الشعرية والروايات والبحوث الأدبية من أبرزها : (كلاوديو ، والأساطير اليونانية) .

أحدث الكتب

● **« الإمبراطورية البريطانية في الشرق الأوسط في الفترة من عام ١٩٤٥م ، إلى عام ١٩٥١م »** ، تأليف **دابليوام روجر لويز** ، صدر في **لندن** .

بلغاريا :

كشف أثري

في قرية روجوزين الواقعة شمال غربي بلغاريا ، تم اكتشاف **كنز ثمين** يرجع إلى **القرن الرابع قبل الميلاد** ، إبان حضارة التراس ، ويحتوي على (١٦٥) قطعة من الفضة المذهبة ، وذلك عن طريق أحد المزارعين الذي كان يحفر في مجرى للمياه في حديقته عندما اكتشف في الأرض (٦٥) إبريقاً وطبقاً من الفضة المذهبة المحلاة بالنقوش من زهور ونباتات وحيوانات وأشخاص ومشاهد من بعض الصور وأساطير حضارة تراس ، وصور من رحلات الصيد ، وصور أخرى للخيل ، وبعد هذا الاكتشاف من قبل هذا المزارع ، اكتشف علماء الآثار الذين واصلوا البحث في هذه المنطقة ، على بعد خمسة أمتار من الحديقة ، فوجدوا نحو مائة من الأواني الأخرى التي تعد من الكنوز الثمينة ، والتي تدل على مدرسة متقدمة للفن التراسي ، فكل هذه الأشياء التي تم العثور عليها صنعت منذ القرن الرابع قبل الميلاد .

روسيا :

كشف أثري

عثر علماء الحفريات بالاتحاد السوفييتي على **بقايا حوائط في صالة عرش قيصر روسيا (بطرس العظيم)** ، تحت مسرح الصبرميتاج في لينينجراد ، وذلك أثناء عمليات إصلاح وترميم المسرح .

وكان بطرس الأكبر أو العظيم ــ في نظرهم ــ قيصراً لروسيا خلال الفترة من عام ١٦٨٢م ، إلى عام ١٧٢٥م ، وقد جاء هذا الاسم (العظيم) لأنه حقق لروسيا الكثير من الانتصارات الحربية ، وجعل منها دولة ذات شأن ، وبعد موته خلفته زوجته **(كاترين)** في الحكم .

أمريكا :

المؤتمر الدولي للقلم

عقد في نيويورك خلال شهر يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨٦م ، **(المؤتمر الدولي لنادي القلم)** ، وذلك بمشاركة حوالي **سبعمائة كاتب من كافة أنحاء العالم** ، ومن بينهم بعض الأدباء المرموقين في مجال الأدب المعاصر ، وذلك لمناقشة موضوع **(خيال الكاتب وخيال الدولة)** ،



★ جانتر جراس ★

ولعل من أشهر المشاركين في هذا المؤتمر الذي استمر أسبوعاً واحداً :

★ كوبو أبي من اليابان .

★ جورج أمادو من البرازيل .

★ نادين جوردير من جنوب إفريقيا .

★ جانتر جراس من ألمانيا الاتحادية .

وغيرهم من الكتّاب المرموقين .

الجدير بالذكر أن « **نورمن ميلر** » ، هو الذي **يرأس هذا المؤتمر** الذي عقد في **مكتبة نيويورك** ، وهو المؤتمر الثامن والأربعون .

أحدث الكتب

● « **الأطباء الجدد على مشارف القرن العشرين** » ، تأليف **ديفيد بلاك** ، صدر في **الأسواق الأميركية** .

● « **العلم والحضارة في الصين** » ، تأليف **جوزيف نيدهام** ، صدر عن **مطبعة جامعة كامبريدج** .

● « **البيليوجيا والتكنولوجيا البيولوجية . الجزء الثاني : الزراعة** » ، تأليف **فرانشيسكا براي** ، صدر عن **مطبعة جامعة كامبريدج** .

● « **المدخرات (البطاريات) الحديثة : مقدمة لمصادر الطاقة الكهروكيميائية** » ، تأليف **كولن فانسنت وفرانكو بونينو** ، صدر عن **دار إدوارد أرنولد في بلتيمور** .

● « **سجل العلم : من العصور القديمة إلى العصور الوسطى** » ، تأليف **جون موردوخ** ، صدر عن **دار أبناء تشارلز سكربنر** .

● « **جدول الترتيب الدوري** » ، تأليف **بريمو ليفي** نقله من الإيطالية إلى الإنجليزية **ريمون روزينتال** ، صدر عن **دار كتب شوكن** .

✫ ✫ ✫





●● دليل للمطابع ودور النشر ●●

سيصدر عن دار الندوة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، دليل سنوي **للمطابع والصحف والمجلات ودور النشر والمكتبات وشركات التوزيع والإعلان في الدول العربية** .

ومن المقرر أن يتضمن هذا الإصدار معلومات حديثة ومفصلة عن كل جهة من الجهات التي سيتطرق لها ، وذلك تسهيلاً للمثقف العربي من المحيط إلى الخليج .

●● بيادر ●●

ذلك هو **اسم الملف الثقافي الذي سيصدر عن نادي أبها الأدبي** ، حيث سيحتوي على : الشعر والدراسات الشعرية ، والقصص ، والدراسات النقدية للقصص المنشورة ، إلى جانب دراسات عن المسرح والفن التشكيلي والتصوير الفوتوغرافي ، ودراسة أنثروبولوجية عن القصائد الشعرية الشعبية في **منطقة عسير** ، ونشر المحاضرات المتميزة التي ألقيت بالنادي في العام الفائت ١٤٠٥ هـ ، مع نص أدبي تجريبي مزيج من النثر والشعر . ويأتي إصدار هذا الملف بمناسبة الاحتفال بمرور ست سنوات على تأسيسه ، **وبهذه المناسبة سيقيم النادي عدة أمسيات ثقافية وندوات أهمها ندوتان :**

★ الندوة الأولى : **كيف نصنع جيلاً يقرأ؟** .

★ الندوة الثانية : **إشكالية معاصرة** .

ويشترك فيها **يحيى المعلمي ، وسعيد السريحي ، وعبد الله الصهولي ، والدكتور يحيى ساعاتي** ، ويدير الندوة **علوي طه الصافي رئيس تحرير مجلة (الفيصل)** .

●● مجلة الطيران المدني ●●

ستصدر رئاسة الطيران المدني مجلة متخصصة ، تعنى **بشؤون الطيران المدني والمطارات بصورة خاصة ، وكذلك سيكون من اهتمامها :** الأمور المتعلقة بالعلوم والتكنولوجيا ، والأمور المتعلقة بالطب والهندسة ، والأمور المتعلقة بالإدارة والآداب .

وهي مجلة ربع سنوية ، حيث سيصدر العدد الأول منها في شهر رجب القادم ، **ويرأس تحريرها القاص السعودي محمد علي قدس** .

●● كتب جديدة ●●

● « **الحزن الرمادي** » ، **مجموعة قصصية للقاصة رقية حمود الشبيب** ، ستصدر عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض** .

● « **فواصل للارتحالات** » ، **ديوان شعر للشاعر فاروق بنجر** ، سيصدر **بمكة المكرمة** .



دعـــوة إلى الترشـيـــح

لجائزة الملك فيصل العالمية للطب و جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم

يسر الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية في الرياض، المملكة العربية السعودية أن تدعو الجامعات والمؤسسات العلمية والطبية، ومراكز البحوث في جميع أنحاء العالم لترشيح من تراه مستحقاً لإحدى الجائزتين التاليتين:

١. جائزة الملك فيصل العالمية للطب في موضوع: "**الوقاية من العمى**"

٢. جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم في موضوع: "**الرياضيات**"

والمقرر منحهما في عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م).

أ. تخضع جميع الترشيحات لتقدير لجنة الاختيار وحكمها.

ب. يجوز أن يشترك في الجائزة أكثر من شخص واحد.

جـ. تعلن أسماء الفائزين في شهر ربيع الثاني ١٤٠٧هـ (ديسمبر ١٩٨٦م) ويتم تقليد الفائز في إحتفال رسمي يقام في مدينة الرياض لهذا الغرض.

د. تتكون الجائزة من:
١. شهادة تحمل اسم الفائز وملخصاً للعمل الذي أهله لتسلم الجائزة.
٢. ميدالية ثمينة.
٣. مبلغ نقدي قدره (٣٥٠،٠٠٠) ثلاثمائة وخمسون ألف ريال سعودي.

هـ. يرجى ملاحظة الشروط الآتية عند الترشيح:

١. أن يكون المرشح لهذه الجائزة قد أسهم بجهد علمي بارز يتعدى ما هو عادي وينتج عنه فائدة ملحوظة للبشرية وإغناء للفكر الإنساني في مجال موضوع الجائزة الموضح أعلاه.

٢. أن تكون الأعمال متمشية مع قواعد البحث العلمي ومناهجه وأن تتميز بالجدة والأصالة.

٣. أن تكون الأعمال المرشحة للجائزة مطبوعة ومنشورة، ويفضل أن تقترن الأعمال بموجز باللغة العربية إذا كانت منشورة بغير العربية.

٤. أن لا تكون الأعمال المرشحة قد منحت جائزة من قبل من أي مؤسسة علمية أو عالمية.

٥. أن يتم الترشيح لهذه الجائزة من قبل المؤسسات العلمية كالجامعات والأكاديميات ومراكز البحوث في جميع أنحاء العالم، ولا تقبل الترشيحات الفردية ولا ترشيحات الأحزاب السياسية.

٦. تتضمن الترشيحات معلومات وافية عن المرشح تبين حياته العلمية والعملية ومؤلفاته وأعماله المنشورة مع صور من مؤهلاته العلمية، وثلاث صور فوتوغرافية مقاس ٦×٩ سم. كما يرجى إيضاح عنوان المرشح الكامل ورقم هاتفه.

٧. ترسل الترشيحات مع عشر نسخ من العمل المرشح من داخل المملكة وخارجها بالبريد الجوي المسجل إلى العنوان الموضح في الفقرة (١٠) أدناه.

٨. آخر موعد لقبول الترشيحات والأعمال المرشحة هو **٤** من شهر **ذي الحجة ١٤٠٦هـ** الموافق (**٩ أغسطس ١٩٨٦م**)، وما يصل بعد هذا التاريخ لا يلتفت إليه، إلا إذا أجل موضوع الجائزة إلى العام القادم.

٩. لا تعاد الأعمال والترشيحات إلى مرسليها، فاز المرشحون أم لم يفوزوا.

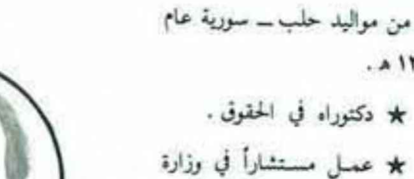
١٠. تعنون جميع المكاتبات باسم، الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية ص.ب ٢٢٤٧٦ الرياض ١١٤٩٥ المملكة العربية السعودية. تلكس PRIZE SJ ٢٠٤٦٦٧

والله ولي التوفيق

من كتاب هذا العدد

د . محمود محمد بابللي





من مواليد حلب ــ سورية عام ١٣٤٠ هـ .

★ دكتوراه في الحقوق .

★ عمل مستشاراً في وزارة التجارة ، فأستاذاً بالمعهد العالي للقضاء بالرياض .

★ يعمل حالياً في المحاماة والاستشارات القانونية .

★ كان عضواً في عدد من الوفود الإسلامية التي مثلت المملكة العربية السعودية .

★ له عدد من الأعمال المطبوعة ، أحدهما باللغة الفرنسية ، وله أعمال أخرى تحت الطبع ، وله عدد من المقالات والأبحاث والمحاضرات .



وجيه أحمد الحيمي

★ من مواليد دمشق ــ سورية عام ١٩٢٩ م .

★ إجازة كلية الآداب ــ قسم الجغرافيا ، ودبلوم عام في التربية .

★ عمل في التدريس أكثر من ثلاثين عاماً .

★ يعمل حالياً مدرساً في دار المعلمين الثانية بدمشق ، ومكلف ببعض الحصص في كلية التربية ــ جامعة دمشق .

★ له عدد من الأبحاث ، وساهم في عدد من الكتب المدرسية .

د . شاكر عبد الحميد سليمان

★ من مواليد أسيوط ــ مصر عام ١٩٥٢ م .

★ دكتوراه في علم النفس .

★ عمل معيداً ، فمدرساً مساعداً .

★ يعمل حالياً مدرساً بكلية الآداب ــ جامعة القاهرة ، قسم علم النفس .

★ له كتاب مطبوع ، واثنان تحت الطبع .

★ له دراسات نقدية ، ودراسات في الفن التشكيلي .

د . فؤاد حسن أبو الهيجاء

★ من مواليد عين حوض ، حيفا ــ فلسطين عام ١٩٤٢ م .

★ دكتوراه في اللغة العربية ــ قسم الأدب والنقد .

★ عمل مدرساً بمدارس التعليم العام .

★ يعمل حالياً مدرس أول للغة العربية بثانوية حليب الشيوخ .

★ له بعض الأعمال المخطوطة ، (أحدهما رسالة الماجستير ، والآخر رسالة الدكتوراه) .



د . أحمد عبد المنعم عربود





★ من مواليد دمنهور ــ مصر عام ١٩٥٦ م .

★ بكالوريوس الطب والجراحة .

★ عمل طبيباً في عدة جهات .

★ يعمل حالياً «نائب الجراحة العامة بمستشفى دمنهور التعليمي» .

★ له رسوم كاريكاتيرية .

★ حصل على الجائزة الثانية على جامعة الإسكندرية في القصة القصيرة .



●● منذ ثلاثة آلاف سنة مضت، كان البخور والمر والبهارات والذهب، أهم عطاءات الجزيرة العربية للعالم.. وهي تقدم له اليوم «الذهب الأسود».. بين هاتين الحقيقتين، كان الدين الإسلامي وما زال أهم عطاياها للعالم. طالع ص (٤).

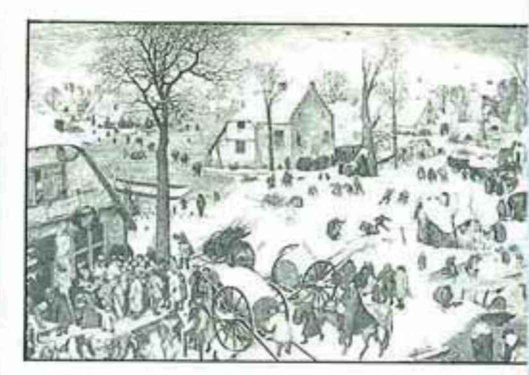


●● إن التراث الأدبي الإسلامي، والشعر العربي، بجاهليته وعهوده الإسلامية المختلفة عصوراً ورقعاً أرضية.. هو مخزني الذي لا ينفد، غير أني أريد أن أكون البدوي الذي يتعامل مع الحضارة، فالحضارة عندي سلوك مطلوب. طالع ص (٣٥).

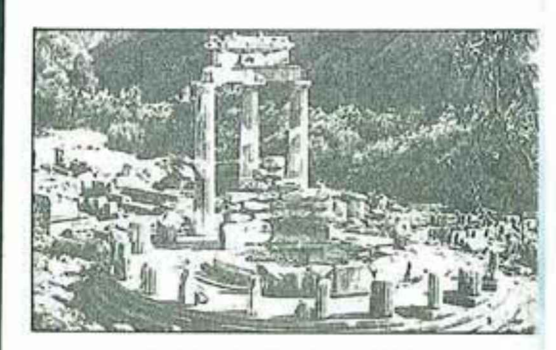


●● قام الماليزيون بدورهم يعبرون عن سخطهم وإنكارهم للجرائم الإسرائيلية الهمجية، ويعلنون عن تأييدهم المطلق للإخوة المسلمين أصحاب الحق من الفلسطينيين والعرب في لبنان. طالع ص (٦٧).

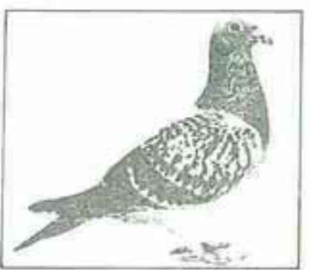
...دد ●● في هذا العدد ●●



●● إن قيمة العمل الفني، تتمثل في التنظيم للعناصر التصويرية، من خط وكتابة وسطح ولون. فالاهتمام إذن، ينصب على ما هو كامن وفريد في التصوير، أي على ما لا يمكن إيضاحه أو إدراكه على أي نحو آخر. طالع ص (٩٤).



●● فكرة حركة القارات والمحيطات، ليست جديدة، بل تمتد بجذورها إلى أقدم العصور، ووجدت انعكاسها بأشكال وصور مختلفة في روايات، وأساطير، الشعوب والمجتمعات القديمة عبر التاريخ. طالع ص (١٠٥).



●● كان الملك المظفر حاجي.. مولعاً بلعب الحمام، فخرج بذلك عن الحد.. فقد «اشتغل بلعب الطيور، عن تدبير الأمور، والنهي عن أمر الأحكام، بالنظر إلى الحمام، فجعل السطح داره، والشمس سراجه، والبرج مشاره...». طالع ص (١٢٣).

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 108 - NINTH YEAR - FEB/MAR. 1986.

العدد (١٠٨) ـ جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ ـ السنة التاسعة ـ شباط (فبراير) / آذار (مارس) ١٩٨٦م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To:

المراسلات:

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

مجلة الفيصل ـ ص.ب (٣)
الرياض ١١٤١١، المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس: ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج.ع. اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠ قرشاً	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R 150 Others S.R 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية:

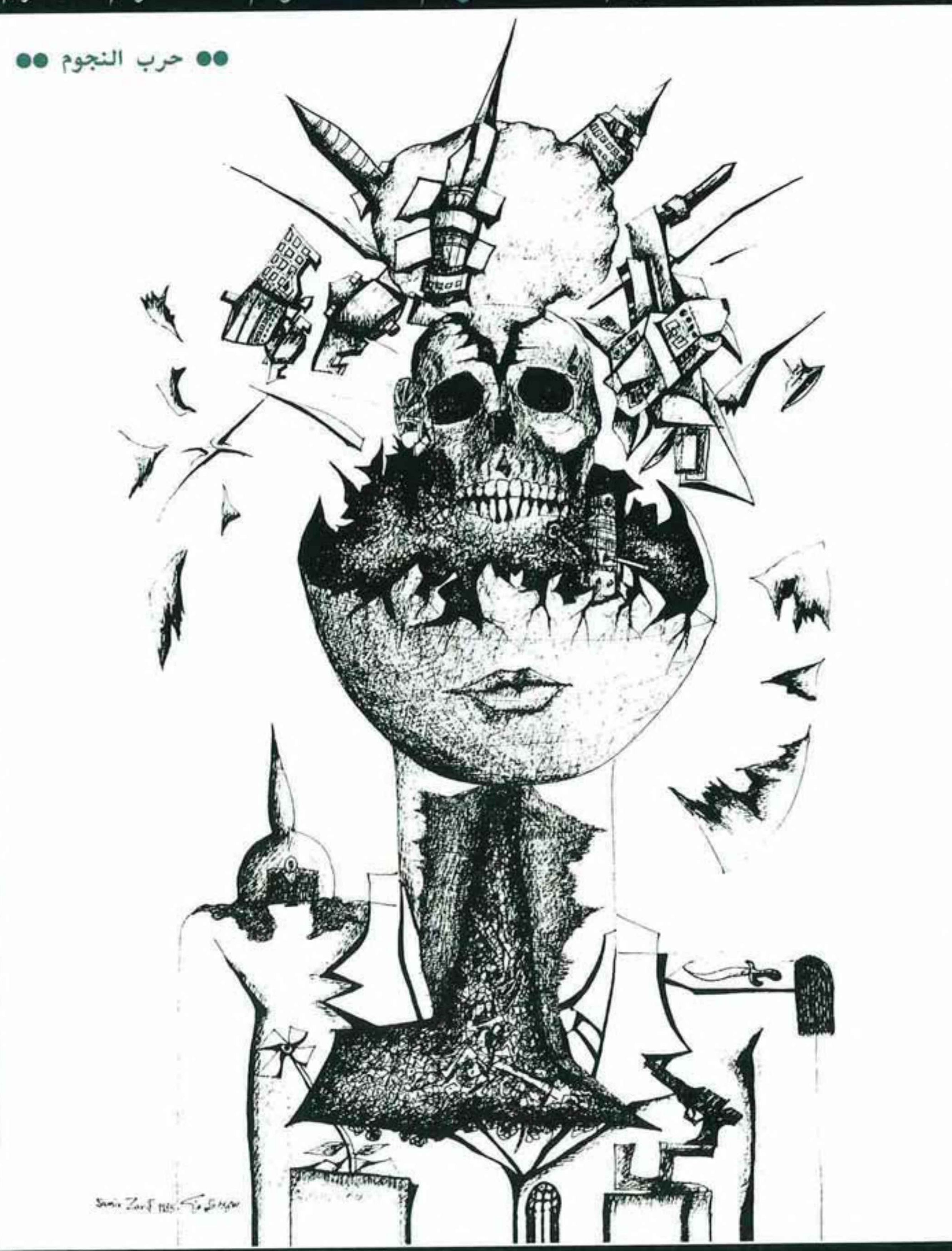
للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

شركة الطباعة العربية السعودية

ص.ب ٦٤٦٣ الرياض ١١٤٤٢ ☎ المكتب ٤٦٣٣٤٥٢ المطابع ٤٦٥٨٩٩٠

●● حرب النجوم ●●



في العدد القادم

« النظام الشمسي » . .

هذا العالم الساحر الذي تتجلى فيه روعة الخلق وبديع صنعة الخالق . . يتألف من تسعة كواكب متباينة في خصائصها الطبيعية ـ الفيزيائية والكيميائية ـ وفي طبيعة أقمارها .

من أشهر هذه الكواكب :

● « عطارد » ، أقرب الكواكب إلى الشمس ، وثانيها من حيث صغره .

● « الزهرة » ، ثاني الكواكب بعداً عن الشمس . وهو مغطى بالغيوم .

● « المريخ » . كوكب متجمد منذ الأزل ، قطره يساوي نصف قطر الأرض .

● « المشتري » . أضخم كواكب الشمس على الإطلاق . يفوق حجمه حجم الأرض بألف وأربعمائة مرة .

● « زحل » ، سادس الكواكب بعداً عن الشمس بقرصه الذي يتألف من مجموعة من الحلقات .

ترى . . ما الخطوات التي صاحبت نشوء نظام هذه الكواكب حول الشمس ؟

كيف يمكن لسحابة من الغاز أن تتحول إلى شمس وكواكب ؟

ما الظواهر الغريبة التي تم اكتشافها فوق أقمار بعض هذه الكواكب ؟

الإجابة على هذه الأسئلة ، وغيرها كثير ، ستطالعها في العدد القادم ، في الموضوع الخاص : « الكواكب . . بين النار والجليد » .





من البيوت القديمة .. في مدينة نجران